A-PDF Image To PDF Demo. Purchase from www.A-PDF.com to remove the watermark

الإبداع الفكري

المجموعة المختصرة في تزكية النفس

اقترب من الله..!

بحث وتأليف
ناصر بدر المجيبل

تقديم

أ.د. محمد سعيد رمضان البوطي
أ.د. خالد المذكور
أ.د. محمد عبدالغفار الشريف
د. طارق السويدان

اقترب من الله!

المجموعة المختصرة في تزكية النفس

بحث وتأليف
ناصر بدر المجيل

تأليف : ناصر بدر المجيبل

n.almujaibel@hotmail.com

مدير المشروع : أحمد علي شريجي

ahmad@ebdaaco.com

المراجعة والتدقيق : أنس عبدالله سالم

anas@ebdaa.ws

المراجع الشرعي : يب ولد محمد محفوظ الشنقيطي

تصميم واخراج : رمزي فيصل الهريمي

عبدالعزيز عصمت العتريس

الإخراج الإلكتروني : عبدالعزيز عصمت العتريس

aziz@ebdaaco.com

الناشر

شركة الإبداع الفكري للنشر والتوزيع - الكويت

جميع الحقوق محفوظة للناشر (شركة الإبداع الفكري)

e-mail: info@ebdaastore.com - www.ebdaastore.com

هاتف: 22404854 - 22404883 - فاكس: 22404852

ص.ب 28589 الصفاة 13146 الكويت

الإبداع الفكري

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة الكاتب	6
مقدمة اللجنة الشرعية	8
تقديم وتزكية د.محمد سعيد رمضان البوطي	9
تقديم وتزكية د.خالد المذكور	10
تقديم وتزكية د.محمد عبدالغفار الشريف	11
تقديم وتزكية د.طارق السويدان	12
الباب الأول: ملخصات كتب التزكية	13
توطئة	14
تعريف التزكية	14
حكم تزكية النفس	15
أهمية تزكية النفس	16
أقسام تزكية النفس	17
وسائل تزكية النفس	18
كتاب: المستخلص في تزكية النفس	24
كتاب: من الفكر والقلب	41
كتاب: إحياء علوم الدين	45
كتاب: الفوائد	54
كتاب: مدارج السالكين	65
كتاب: ترتيب المدارك وتقريب المسالك	67
كتاب: حياة الصحابة	70
كتاب: سير أعلام النبلاء	71
كتاب طبقات الحنابلة	79
كتاب: مناقب الإمام أحمد	81
كتاب: العوائق	83
كتاب: مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب	88
كتاب: تهذيب التهذيب	97

كتاب: حياة الصحابة	70
كتاب: سير أعلام النبلاء	71
كتاب طبقات الحنابلة	79
كتاب: مناقب الإمام أحمد	81
كتاب: العوائق	83
كتاب: مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب	88
كتاب: تهذيب التهذيب	97
كتاب: صفة الصفوة	99
كتاب: أفراح الروح أو رسالة إلى أختي المسلمة	109
الباب الثاني : سير و أعلام التزكية	117
■ من سير الصالحين:	118
● الفضيل بن عياض	118
● أبو العطاء السكندري	124
● الحسن البصري	127
● رابعة العدوية	132
● عامر بن عبيد الله التميمي	136
● إبراهيم بن أدهم	139
● عمر بن عبدالعزيز	143
■ كيف ماتوا؟	154
■ محمد صلى الله عليه وسلم ، كأنك تراه	164
الباب الثالث: الشعر والتزكية	181
الشعر والتزكية.	182
مناجاة الصالحين وثناؤهم على الله تعالى	194
الباب الرابع: خواطر باحث عن الطريق. (ناصر بدر المجيبل)	203
خواطر ناصر بدر المجيبل	204
الخاتمة	220
المراجع	221
الشكر	234

إهداء

أهدي هذا الكتاب ..
لكل من يبحث عن لذة المناجاة مع الله ..
لكل من يبحث عن تطهير قلبه من أمراضه ..
لكل من يبحث عن تزكية نفسه من شوائبها ..
لكل من يبحث عن القرب من الله ..
أهديك .. خلاصة جهد مضنٍ وبحثٍ طويل

ناصر بدر المجيبل

الباب الأول

1

ملخصات كتب التزكية

توطئة:

إن الله سبحانه وتعالى خلق هذا الإنسان مؤلفاً من ثلاثة عناصر، هي: العقل والبدن والروح. وأشرف هذه العناصر الثلاثة الروح التي هي نفخة غيبية من عند الله قال تعالى ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ (الإسراء 85). وقال تعالى: ﴿ ونفخت فيه من روحي﴾ (ص: 72)

وقد رتب الله على هذه العناصر الثلاثة عناصر الدين، فجعل الإسلام لمصلحة البدن، والإيمان لمصلحة العقل، والإحسان لمصلحة الروح، وجعل التكامل بين هذه العناصر والتوازن بينها مطلوباً، فلا يكون الإنسان سوياً مستقيماً إلا بالاعتدال والتوازن بين هذه العناصر، فلا بد من العناية بها جميعاً والسير بها في خط متواز، حتى لا يحصل ميل أو اعوجاج في هذه النفس البشرية، فإن من مال إلى أحد هذه العناصر دون غيره وأولاه عناية على حساب الجوانب الأخرى كان إنساناً معوجاً غير مستقيم.

وأهم هذه الجوانب وأشدها خطراً هو عنصر الإحسان الذي لا يكمل إيمان المسلم إلا به، وعنصر الإحسان إنما يتعلق بتزكية النفوس[1].

تعريف التزكية وبيان المراد بها :

التزكية في اللغة مصدر زكّى الشيءَ يزكيه، ولها معنيان:

المعنى الأول: التطهير، يقال: زكيت هذا الثوب أي طهرته، ومنه الزكاء أي الطهارة.

والمعنى الثاني: هو الزيادة، يقال: زكى المال يزكو إذا نمى، ومنه الزكاة لأنها تزكية للمال وزيادة له[2].

وعلى أساس المعنى اللغوي جاء المعنى الاصطلاحي لتزكية النفوس، فتزكية النفس شاملة لأمرين :

أ – تطهيرها من الأدران والأوساخ، قال في الظلال : التزكي التطهر من كل رجس ودنس[3].

ب – تنميتها بزيادتها بالأوصاف الحميدة[4].

وعلى هذا المعنى جاءت الآيات القرآنية بالأمر بتزكية النفس وتهذيبها، قال الله تعالى : ﴿قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى﴾ (الأعلى: 14 - 15) وقال سبحانه ﴿...ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾ (الشمس: 7 – 10) يقول ابن كثير رحمه الله في هذه الآيات : يحتمل أن يكون المعنى : قد أفلح من زكى نفسه أي بطاعة الله كما قال قتادة، وطهرها من الرذائل والأخلاق الدنيئة، كقوله تعالى: "قد أفلح من تزكى" "وقد خاب من دساها" أي دسسها وأخملها ووضع منها بخذلانه إيّاها عن الهدى، حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله عز وجل، ويحتمل أن يكون المعنى : قد أفلح من زكى الله نفسه وقد خاب من دسى الله نفسه[5].

هـذا عـن تعريف التزكيـة، أما النفس فقد ورد فـي القرآن الكريم وصفها بثلاث صفـات : المطمئنة، واللوامـة، والأمـارة بالسـوء، وقد اختلف الناس: هل النفس واحـدة وهذه أوصاف لها، أو للعبد ثلاثة أنفس : نفس مطمئنة، ونفس لوّامة، ونفس أمّارة ؟

فالأول قول الفقهاء والمتكلمين وجمهور المفسرين، وهو قول محققي الصوفية، والثاني قول كثير من أهل التصوف، والتحقيق أنها واحدة باعتبار ذاتها، وثلاث باعتبار صفاتها، فالنفس المطمئنة : هي التي قـد سـكنت إلـى ربها وطاعته وأمره، فاطمأنت إلـى محبته وعبوديته وذكره، واطمأنـت إلى لقائه ووعده، واطمأنت إلى قضائه وقدره، واطمأنت إلى ضمانه وكفايته وحسبه، وأنه لا غنى لها عنه طرفة عين.

وأما اللوامة: (فهي النفس اللؤوم التي تُنَدِّم على ما فات وتلوم عليه) كما قال ابن عباس وقتادة.

وأمـا الأمـارة: فهـي التـي تأمر صاحبها بما تهواه من شـهوات الغـي واتباع الباطل؛ فـإن أطاعها قادته إلـى كل شـر وقبيـح، ولم تكن أمارة إلا بموجب الجهل والظلـم، لأنها خلقت في الأصل جاهلة ظالمة، والعدل والعلم طارئ عليها بإلْهَام فاطرها.

فلولا فضل الله ورحمته على المؤمنين ما زكت منهم نفس واحدة، فإذا أراد الله بنفس خيراً جعل فيها مـا تزكـو بـه وتصلح من الإرادات والتصورات، وإذا لم يرد بها ذلك تركها على حالتها التي خلقت عليها من الجهل والظلم[6].

حكم تزكية النفس:

ذهـب الغزالـي رحمـه الله إلـى أنهـا فرض عين علـى كل مؤمـن ولو لم يكـن متحلياً بالأخلاق الذميمة، فيلزم كل أحد أن يتعلم أمراض القلب وكيفية تطهيرها.

وذهـب الجمهـور إلـى أنـه ليس فرض عيـن إلا في حق مـن تحقق أو ظن وجـود مرض من الأمـراض فيـه، فيلزمـه حينئذ تعلم سـبل عـلاج ذلك المـرض، وقالـوا: إن تعلم أمراض القلـوب فـرض كفاية على الأمة عامة وليس فرض عين على كل أحد، وقد اسـتند الغزالي في رأيه هذا إلى أن الأصل عنده في الإنسـان هو وجود هذه الأمراض وليس السـلامة منها، واستدل على ذلك بأن النبي صلى الله عليه وسلم وهو أفضل البشر قد شق الله صدره مرتين وأخـرج منـه المضغـة السـوداء التي هي محل هذه الأمراض في الإنسـان، فـإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم احتاج إلى ذلك فغيره من باب أولى، واستدل الجمهور بأن الأصل في الإنسـان السـلامة من هذه الأمراض لقول الله تعالى: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ (الروم:30) وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة). رواه الشيخان وأدلة الجمهور أوجه وأقوى كما ترى.

ولكن قد جمع الشيخ محمد الحسن – حفظه الله – بين هذه الأدلة بأن حمل دليل الغزالي على أن الذي في عامة بني آدم هو القابلية لهذه الأمراض لا وجودها، وبالتالي يكون الشق بالنسـبة للنبي صلى الله عليه وسـلم ليـس علاجاً لمرض موجود وإنما هـو منع للقابلية، فهو العصمة التي لا يمكن أن يحل بعدها شيء من هذه الأمراض[7].

أهمية تزكية النفس للإنسان:

والتزكية مهمة للإنسان من عدة أوجه :

1- أن الله عز وجل - وهو الحق وقوله الصدق - أقسم في كتابه أحد عشر قسماً على فلاح من زكى نفسه وعلى خسران من أهمل ذلك، قال تعالى: ﴿والشمس وضحاها﴾. (الشمس: 1)

2 - أن النفس من أشد أعداء الإنسان الداخليين، لأنها تدعو إلى الطغيان وإيثار الحياة الدنيا، وسائر أمراض القلب إنما تنشأ من جانبها، ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله من شرها كثيراً، كما في خطبة الحاجة[8] وكما في حديث أبي هريرة عند ابن أبي حاتم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ: "فألهمها فجورها وتقواها" فقال: "اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها" وفي المسند والترمذي أنه صلى الله عليه وسلم علم حصين بن عبيد أن يقول: "اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي".

قال ابن القيم رحمه الله: وقد اتفق السالكون على اختلاف طرقهم وتباين سلوكهم على أن النفس قاطعة بين القلب وبين الوصول إلى الرب، وأنه لا يدخل عليه سبحانه ولا يوصل إليه إلا بعد إماتتها والظفر بها[9] .

قال بعض العارفين : انتهى سفر الطالبين إلى الظفر بأنفسهم[10] .

3 - أن التزكية طريق الجنة، قال الله تعالى: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾ (النازعات: 40 - 41) فهي إذن شرط لدخول الجنة.

4 - أن الإنسان محب للكمال، فينبغي له أن يعمل على إكمال نفسه بتزكيتها وتربيتها، فهذه النفس تصاب بالأعراض التي تصاب بها الأبدان، فهي محتاجة إلى تغذية دائمة ومحتاجة إلى رعاية، ومحتاجة كذلك إلى متابعة للازدياد من الخير كما يزداد البدن من الطاقات والمعارف، فلذلك احتاج الإنسان إلى أن يراقب تطورات نفسه، ويعلم أنها وعاء إيمانه، وأهم ما عنده هو هذا الإيمان، فإذا سلبه فلا فائدة في حياته، فلا بد من العمل على تنمية هذا الإيمان وزيادته عن طريق تزكية هذه النفس وتهذيبها[11] . يقول سيد قطب رحمه الله : إن هذا الكائن مخلوق مزدوج الطبيعة، مزدوج الاستعداد، مزدوج الاتجاه، بمعنى أنه في طبيعة تكوينه : من طين الأرض، ومن نفخة الله فيه من روحه، وهو لذلك مزود باستعدادات متساوية للخير والشر، والهدى والضلال، فهو قادر على التمييز بين ما هو خير وما هو شر، كما أنه قادر على توجيه نفسه إلى أيهما أراد، وهذه قدرة كامنة في كيانه يعبر عنها القرآن بالإلهام تارة "ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ..." ويعبر عنها بالهداية تارة "وهديناه النجدين" وإلى جانب هذه الاستعدادات الفطرية الكامنة قوة واعية مدركة موجهة في ذات الإنسان هي التي تناط بها التبعة، فمن استخدم هذه القوة في تزكية نفسه وتطهيرها وتنمية استعدادات الخير فيها وتغليبها على استعدادات الشر فقد أفلح، ومن أظلم هذه القوة وخبأها وأضعفها فقد خاب "قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها"[12] .

أقسام تزكية النفس:

تنقسم تزكية النفس إلى قسمين رئيسين هما:

التخلية	التحلية
فالتخلية: يقصد بها تطهير النفس من أمراضها وأخلاقها الرذيلة.	وأما التحلية: فهي ملؤها بالأخلاق الفاضلة واحلالها محل الأخلاق الرذيلة بعد أن خليت منها.

فالأخلاق الرذيلة مثل : الشرك والرياء، والعجب، والكبر، والبغض والحسد، والشح والبخل، والغضب، والحرص على الدنيا وحبها لذاتها وإيثارها على الآخرة، والفضولية وعدم الجد في الحياة....

وأما الأخلاق الفاضلة فكالتوحيد والإخلاص والصبر، والتوكل والإنابة، والتوبة، والشكر، والخوف والرجاء، وحسن الخلق في التعامل مع الناس، والشفقة عليهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ونفعهم بقدر المستطاع، وعدم تغيير قلوبهم بما ليس بلازم شرعاً...

إذن فلا بد للإنسان أن يتعرف على الأخلاق الذميمة وعلى أسبابها ويعلم أنها موجودة لديه حتى يمكنه التخلص منها فإن من لم يشعر بالمرض ويتعرف على أسبابه لا يمكنه علاجه، ولكي يستطيع الإنسان الانتصار على نفسه ينبغي له أن يضع أسساً للتعامل معها في ثلاث محاور :

1 – الإنصاف منها، وعدم تبرئتها فقد كان صلى الله عليه وسلم يقتص من نفسه وهو المعصوم المسدد بالوحي.

2 – ترك الانتصار لها من الغير بأخذ الثأر لها والانتصار لها، فإنها ظلومة جهولة، وإذا كانت هي المظلومة فقد قال الله عز وجل: ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ (الشورى: 43).

وقال سبحانه : ﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوه كأنه ولي حميم...﴾ (فصلت: 43)

3 – اتهامها دائماً، فإنه إذا لم يتهمها الإنسان أغوته وقادته إلى التهلكة، فأنت مخير في الوجهة التي ترتضيها لنفسك، فإذا سرت وراءها وأطلقت لها الزمام سارت بك إلى أسفل سافلين، وإن قدتها أنت وطمحت بها إلى المراتب العالية انقادت لك وراء ذلك، فهي كالطفل تماماً كما يقول البوصيري:

والنفس كالطفل إن تهمله شب على ... حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

فإذا عامل الإنسان نفسه على هذا النحو ملكها واستطاع توجيهها نحو الخير، فإذا دعاها إلى عبادة انقادت له واستسلمت، وإن دعيت إلى شر وجدت تأبياً ونفوراً عنه، أما الذي لا يعالج نفسه هذا العلاج ولا يجتهد في مجاهدتها عما تهوى وتحب، فإنه إذا دعاها إلى العبادة نفرت، وإذا رأت أنه سيحملها على طاعة من الطاعات شردت، مثل الدابة تماماً، فالدابة إما أن تكون مطيعة وإما أن تكون شروداً حروناً، وكذلك النفس إذا عودها الإنسان على ترك هذه الأخلاق الذميمة كانت كالدابة المطيعة المنقادة، يحمل عليها ما شاء وتسير به حيث شاء، أما إذا تعودت على هذه الأخلاق الذميمة وأرخى لها الحبل على الغارب فإنها تكون شروداً حرونا إذا احتاج إليها لم يستطع إمساكها، وإذا أحست بأي حمل سيحمله عليها نفرت منه، فلا بد من مراقبة هذه النفس ومتابعتها، وليختبر مدى استعدادها للأوامر وانصياعها للخير باستمرار : فإن الذي إذا سمع النداء حي على الصلاة حي على الفلاح أخذه النعاس وبحث عن الوسادة، أمثال هذا نفسه ما زالت مريضة لم تنقد له بعد، والذي ينام على فراشه إذا تعارً من الليل لم يستطع أن ينتصر على نفسه فيستيقظ ويذكر الله ويتوضأ ويصلي حتى تحل عنه عقد الشيطان، نفسه ما زالت مريضة تحتاج إلى علاج، والذي لا تطاوعه نفسه إذا أراد صوم النفل أو إنفاق المال أو أراد أي عمل خير نفسه ما زالت مصابة بمرض عضال مخوف لا بد من علاجه قبل فوات الأوان، فلا بد أن يضع الإنسان نفسه في قفص الاتهام وأن يحملها على العزائم، وإلا قادته هي إلى المهالك ومهاوي الردى[13].

وسائل تزكية النفس:

وأما الوسائل التي يتوصل بها إلى تزكية هذه النفس وتهذيبها، فمنها وسائل مجملة ووسائل مفصلة :

فأما الوسائل المجملة فنذكر منها :

1 – العمل على تطهير النفس من أخلاقها الرذيلة التي ذكرنا بعضها كالرياء والعجب والشح والبخل، والحرص والطمع، والأمن من مكر الله...

2 – تحليتها بالأخلاق الحميدة الفاضلة بعد أن أصبحت جاهزة لها بتخليها عن الأخلاق الدنيئة، وهذه الأخلاق هي مثل : الإخلاص، والإنابة، والخوف من الله، والشكر، والتواضع..

3 – المحافظة على الفرائض، لأنها أفضل طاعة يتقرب بها العبد إلى مولاه وفي الحديث القدسي "وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه" رواه البخاري.

4 – الإكثار من النوافل لقول الله عز وجل في الحديث القدسي: "..ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه..." رواه البخاري، وأعظمها تأثيراً في تزكية النفوس هو ما كان منها أكثر مذلة وخضوعاً لله عز وجل.

5 – تدبر القرآن، فهو جلاء القلوب، وإذا صفا القلب زكت النفس، ففي الحديث : ((إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد،

قيل: وما جلاؤها؟ قال : تلاوة القرآن وذكر الموت)[14] وقد قال الله عز وجل: ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته﴾ (النور: 29) وقال سبحانه ﴿أفلا يتدبرون القرآن...﴾(النساء: 82) .

أما الوسائل التفصيلية فمنها :

١ – التوبة

فهي أول مقامات منازل العبودية عند السالكين، وبها يذوق الإنسان حلاوة الانتقال من التخلية إلى التحلية، قال الله عز وجل منوها بشأنها: ﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾(النور: 31) وقال سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم...﴾(التحريم: 8) .

٢ – لزوم الاستغفار والذكر عموماً

لقول الله عز وجل: ﴿ومن يَعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين﴾(الزخرف: 36) .. وقوله سبحانه: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم...﴾(آل عمران: 135) وقال تعالى: ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما﴾ (النساء: 110) وقال تعالى: ﴿والمستغفرين بالأسحار﴾ (آل عمران: 17) ﴿وبالأسحار هم يستغفرون﴾ (الذاريات: 29) ﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا﴾ (نوح: 10) إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث.

٣ – مخالفتها والإنكار عليها وعدم تلبية رغباتها لأنها داعية للراحة والعصيان

يقول الغزالي رحمه الله : اعلم أن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك، وقد خلقت أمارة بالسوء مبالغة في الشر فرارة من الخير، وأمرت بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل القهر إلى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها، فإن أهملتها جمحت وشردت ولم تظفر بها بعد ذلك[15] .

يقول ابن القيم رحمه الله :... ومما يعين على هذه المراقبة : معرفته أنه كلما اجتهد فيها اليوم استراح منها غداً إذا صار الحساب إلى غيره، وكلما أهملها اليوم اشتد عليه الحساب غداً، ومما يعينه عليها أيضاً معرفته أن ربح هذه التجارة سكنى الفردوس والنظر إلى وجه الرب سبحانه، وخسارتها دخول النار والحجاب عن الرب تعالى، فإذا تيقن هذا هان عليه الحساب اليوم، فحق على الحازم المؤمن بالله واليوم الآخر ألا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها وخطواتها، فكل نفس من أنفاس الحر جوهرة نفيسة لا نظير لها يمكن أن يشتري بها كنْزاً من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبد الآبدين، فإضاعة هذه الأنفاس، أو اشتراء صاحبها بها ما يجلب هلاكه خسران عظيم لا يسمح بمثله إلا أجهل الناس وأحمقهم وأقلهم عقلا، وإنما يظهر له حقيقة هذا الخسران يوم التغابن ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا﴾ (آل عمران: 30)[16] .

٤ – توبيخها وتقريعها من أجل حملها على الطاعة :

يقول الغزالي رحمه الله: (...إن لازمت نفسك بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة كانت نفسك هي النفس اللوامة التي أقسم الله بها، ورجوت أن تصير النفس المطمئنة المدعوة إلى أن تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية، فلا تغفلن ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها، ولا تشتغلن بوعظ غيرك ما لم تشتغل أولاً بوعظ نفسك، أوحى تعالى إلى عيسى عليه السلام: يا ابن مريم عظ نفسك، فإن اتعظت فعظ الناس، وإلا فاستح مني) [17].

٥ – الإكثار من وعظها وتذكيرها بالموت والدار الآخرة :

فتخاطبها بمثل ما خاطبها به الغزالي في إحيائه حيث يقول : ويحك يا نفس لا ينبغي أن تغرك الحياة الدنيا ولا يغرك بالله الغرور، فانظري لنفسك فما أمرك بمهم لغيرك، ولا تضيعي أوقاتك، فالأنفاس معدودة، فإذا مضى منك نفس فقد ذهب بعضك، فاغتنمي الصحة قبل السقم، والفراغ قبل الشغل، والغنى قبل الفقر، والشباب قبل الهرم، والحياة قبل الموت، واستعدي للآخرة على قدر بقائك فيها، يا نفس أما تستعدين للشتاء بقدر طول مدته، فتجمعين له القوت والكسوة والحطب وجميع الأسباب، ولا تتكلين في ذلك على فضل الله وكرمه حتى يدفع عنك البرد من غير جبة ولبد وحطب. وهو القادر على ذلك، أفتظنين أيتها النفس أن زمهرير جهنم أخف برداً وأقصر مدة من زمهرير الشتاء، أم تظنين أن ذلك دون هذا، أم تظنين أن العبد ينجو منها من غير سعي ؟ هيهات !! .. إلى أن يقول : فإذا كنت يا نفس لا تتركين الدنيا رغبة في الآخرة لجهلك وعمى بصيرتك فما لك لا تتركينها ترفعاً عن خسة شركائها، وتنزهاً عن كثرة عنائها، وتوقياً من سرعة فنائها، أم مالك لا تزهدين في قليلها بعد أن زهد فيك كثيرها، فيا حسرة عليك إذ خسرت الدنيا والدين، فبادري ويحك يا نفس فقد أشرفت على الهلاك، واقترب الموت وجاء النذير، ويحك يا نفس مالك إلا أيام معدودة هي بضاعتك إن اتجرت فيها، وقد أضعت أكثرها، أما تعلمين يا نفس أن الموت موعدك، والقبر بيتك والتراب فراشك، والدود أنيسك، والفزع الأكبر بين يديك، ويحك يا نفس أما تستحين تزينين ظاهرك للخلق، وتبارزين الله في السر بالعظائم، أفتستحين من الخلق، ولا تستحين من الخالق، ويحك أجعلته أهون الناظرين إليك، أتأمرين الناس بالخير وأنت متلطخة بالرذائل، تُدْعَيْن إلى الله وأنت عنه فارة، وتذكرين بالله وأنت له ناسية، أما علمت أن المذنب أنتن من العذرة، وأن العذرة لا تطهر غيرها، فلم تطمعين في تطهير غيرك وأنت غير طيبة في نفسك، ويحك يا نفس لو عرفت نفسك حق المعرفة لظننت أن الناس لا يصيبهم بلاء إلا بشؤمك [18].

٦ – سوء الظن بالنفس والحيلولة بينها وبين الاغترار بالعمل والإدلال به على الله

فإن حسن الظن بالنفس يمنع من كمال التفتيش، يقول ابن القيم رحمه الله :... على السالك أن لا يرضى بطاعته لله، وألا يحسن ظنه بنفسه، فإن الرضى بالطاعة من رعونات النفس وحماقاتها، ودليل على جهل الإنسان بحقوق العبودية وما يستحقه الرب سبحانه ويجب أن يعامل به، ثم إن رضى الإنسان وحُسن ظنه بنفسه يتولد منهما من العجب والكبر والآفات الباطنة ما هو أشد من الكبائر الظاهرة من الزنا وشرب الخمر، ولا يكمل هذا المعنى عند العبد إلا أن يربأ بنفسه عن تغيير المقصرين من إخوانه، فازدراء الإنسان بنفسه أولى به من تعيير المقصرين، [19] وأنين المذنبين أحب إلى الله من دجل المسبحين، وأن تبيت نائماً وتصبح معترفاً خير من أن تبيت قائماً وتصبح مُدَلاً [20].

٧ – تنقية العمل من حظوظ النفس وشوائب الرياء :

فقد جعل ابن القيم رحمه الله تصفية العمل من الشوائب هي أساس الإخلاص في العمل، بحيث لا يمازج عمل الإنسان ما يشوبه من شوائب إرادات النفس من طلب التزين في قلوب الخلق أو طلب مدحهم والهرب من ذمهم، أو طلب تعظيمهم أو أموالهم أو خدمتهم ومحبتهم... إلى غير ذلك من العلل والشوائب التي عقد متفرقاتها هو إرادة ما سوى الله بعمله كائناً ما كان، فلا بد من التفتيش عما يشوب الأعمال من حظوظ النفس، وتمييز حق الرب منها من حظ النفس، ولعل أكثرها أو كلها أن تكون حظاً لنفسك وأنت لا تشعر... [21].

٨ – محاسبة النفس :

وقد دل على وجوب محاسبة النفس قول الله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد" (الحشر: 30) وقوله صلى الله عليه وسلم: "الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني"[22]، دان نفسه: أي حاسبها.

وأخرج الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر، (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية).

وقال الحسن البصري: "إن العبد لا يزال بخير ما كان له واعظ من نفسه وكانت المحاسبة من همته"

وقال ميمون بن مهران: "لا يكون العبد تقياً حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه" وقال الحسن: "المؤمن قوام على نفسه، يحاسب نفسه لله، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة..." وكتب عمر بن الخطاب إلى أحد عماله فقال: "حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة، فإن من حاسب نفسه في الرخاء قبل حساب الشدة عاد أمره إلى الرضى والغبطة، ومن ألهته حياته وشغلته أهواؤه عاد أمره إلى الندامة والخسارة" وكان الأحنف ابن قيس يجيء إلى المصباح فيضع أصبعه فيه ثم يقول: حِس يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا، ما حملك على ما صنعت يوم كذا ؟

وذكر الإمام أحمد عن وهب قال : (مكتوب في حكمة آل داود : حق على العاقل ألا يغفل عن أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلو فيها مع إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه، ويصدقونه عن نفسه، وساعة يخلى فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل، فإن في هذه الساعة عوناً على تلك الساعات، وإجماماً للقلوب) [23].

ويؤكد ابن القيم رحمه الله على ضرورة محاسبة النفس والتفتيش عليها فيما تعمله من الطاعات حتى لا تغتر بالكم على حساب الكيف، يقول رحمه الله: (...فإن من العابدين أناساً توفرت هممهم على استكثارهم من الحسنات دون مطالعة عيب النفس والعمل والتفتيش على دسائسها ومحاسبة النفس عليها، ويحملهم على استكثارها رؤيتها والإعجاب بها، ولو تفرغوا لتفتيشها ومحاسبة النفس عليها والتمييز بين ما فيها من الحظ والحق لشغلهم ذلك عن استكثارها، ولأجل هذا كان عمل العابد القليل المراقبة لعمله خفيفاً عليه فيستكثر منه ويصير بمنزلة العادة، فإذا أخذ نفسه بتخليصها من الشوائب وتنقيتها من الكدر وما في ذلك من شوب الرياء وجد لعمله ثقلاً كالجبال وقلَّ في عينه، ولكن إذا وجد حلاوته سهل عليه حمل أثقاله والقيام بأعبائه والتلذذ والتنعم به مع ثقله، حتى يقول : وإذا كان استعظام الطاعة ذنباً، فإن استقلال المعصية ذنب أيضاً، فالعارف من صغرت حسناته في عينه، وعظمت ذنوبه عنده، وكلما صغرت الحسنات في عينك كبرت عند الله، وكلما كبرت وعظمت عندك قلت وصغرت عند الله [24].

٩ – الإقلال من النوم والأكل والكلام :

ومما يعين على تزكية النفس عدم الإكثار من هذه الأمور الثلاثة والإفراط فيها، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله موجبة لقسوة القلب، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي، وكثرة الأكل موجبة لقوة نوازع النفس الشهوانية لدى الإنسان، وتوسيع مجاري الشيطان فيه، وكثرة الأكل موجبة لكثرة النوم، وكثرة النوم موجبة للعجز والكسل فضلاً عن أنها مضيعة للعمر، وقد قيل : من أكل كثيراً شرب كثيراً فنام كثيراً فخسر كثيراً.

١١ – التحلي بالصبر واليقين :

فبالصبر ينتصر على شهوات نفسه فيحجزها عن المحرمات ويحبسها على الطاعات، فجانبا التزكية : التخلي والتحلي لا يمكن الحصول عليهما إلا عن طريق الصبر، قال تعالى: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ (الزمر: 10) ﴿إن الله مع الصابرين﴾ (البقرة: 153) ﴿والله يحب الصابرين﴾ (آل عمران: 146) وقال ﷺ :"والصبر ضياء" رواه مسلم.

وأما اليقين فإنه يقضي به على ثبات النفس التي يُوسوس لها الشيطان، ولذلك كان من حصل على هذين المقامين يعد من أئمة الهدى في هذا الدين، قال سفيان : بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، قال الله عز وجل: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ (الأنبياء: 73).

١٢ – الدعاء: من أسباب تزكية النفس الدعاء،

فهو سلاح المؤمن، بأن يلجأ الإنسان إلى الله دائماً أن يقيه شر نفسه وأن يعينه على طاعة الله، فقد كان من دعائه عليه الصلاة والسلام: ((اللهم اجبرني وأنعشني، واهدني لأحسن الأعمال والأخلاق، لا يهدي لأحسنها ولا يصرف سيئها إلا أنت)) رواه الطبراني الأوسط والأصغر وإسناده جيد.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

---

(1) نقلاً عن شريط تزكية النفس للشيخ / محمد الحسن بتصرف يسير.
(2) نقلاً عن شريط التزكية، وانظر القاموس مادة زَكِيَ ص 1667.
(3) الظلال ج6 ص 3893.
(4) نقلاً عن شريط التزكية لمحمد الحسن.
(5) انظر ابن كثير في سورة الشمس.
(6) إغاثة اللهفان لابن القيم ج1 ص75 – 78.
(7) نقلاً عن شريط التزكية للشيخ محمد الحسن.
(8) هي قوله صلى الله عليه وسلم : (الحمد لله نحمده ونستعينه...) أخرجه أبو داود والترمذي وصححه والحاكم والبيهقي.
(9) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ج2 ص 75.
(10) المرجع السابق.
(11) نقلاً عن شريط التزكية.
(12) الظلال ج6 ص 3893.
(13) اقتباس من شريط التزكية مع إضافة وحذف.
(14) مسند الشهاب.
(15) إحياء علوم الدين ج 4 ص 382.
(16) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ج1 ص 80.
(17) إحياء علوم الدين للغزالي ج4 ص 382.
(18) إحياء علوم الدين ج4 ص 386.
(19) تهذيب مدارج السالكين.
(20) نفس المرجع.
(21) تهذيب مدارج السالكين.
(22) رواه أحمد والترمذي.
(23) يراجع لهذه الأقوال إغاثة اللهفان لابن القيم ج1 ص78 – 79.
(24) انظر تهذيب مدارج السالكين لابن القيم.

أضع بين أيديكم في هذا الباب خلاصة في استخراج وتلخيص شذرات الحكم مما احتوتها أمهات كتب التزكية والرقائق لأئمة المسلمين وأعلامهم، أضع بين أيديكم ملخصاً لأكثر من ٦٠ كتاباً، لعلها تكون مفتاحاً وضياء لأحدنا.

كتاب: المستخلص في تزكية الأنفس

المؤلف: سعيد حوى

نبذة عن الكتاب:

يعتبر هذا الكتاب من أجمل ما كتب ونقح من كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي رحمه الله، ففيه يضع المؤلف منهاج التزكية لدى الغزالي بأسلوب مبسط، وخفف عنه ما أثاره بعض العلماء من ملاحظات على الكتاب، يعطي الكتاب أسلوباً علمياً عملياً في تزكية النفس وتطهيرها.

صفات أهل العلم

على المعلم أن يكون عاملاً بعلمه، فلا يكذِّبُ قوله فعلهُ، لأن العلم يُدرك بالبصائر، والعمل يدرك بالأبصار، وأصحاب الأبصار أكثر.

المستخلص ص٢٢

وزر العالم

وزر العالم في معاصيه أكثر من وزر الجاهل، إذ يزل بزلته ناس كثير ويقتدون به، وفي ذلك قال علي رضي الله عنه: (قصم ظهري رجلان: عالم متهتك، وجاهل متنسك، فالجاهل يغر الناس بتنسكه، والعالم يغرهم بتهتكه).

المستخلص ص٢٣

من وسائل التزكية

من وسائل تزكية النفس وتطهيرها: الخدمة العامة والخاصة والتواضع، فإنهما ينفيان الكبر والعجب، ويعمقان الألفة والمودة، وقد أمر الله به رسوله ﷺ فقال: ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ (الحجر: 88).

المستخلص ص٣١

خاصية الإنسان

لا يمكن أن يكون الإنسان إنساناً إذا كان يجوع فيأكل، ويشبع فينام، ويشتهي فيجامع، ويغضب فيقاتل، فقط! فالبهائم كلها تشاركه في ذلك، إن خاصيته تكمن في معرفة الله تعالى بالنظر في ملكوته والتفكر في عجائبه والوصول لنور اليقين في قلبه، وهذه المنزلة لا تعطى لإنسان رضي من الدنيا بعيشة البهائم، بل إن فعل ذلك، فهو شر من البهيمة بكثير، فقد أُعطي النعمة وكفر بها. أما البهيمة فلم تُعط ما أُعطي.

المستخلص ص١٠٠

أقسام الناس في ذكر الموت

إما منهمك، أو تائب مبتدئ، أو عارف منته.

أما المنهمك: فلا يذكر الموت، وإن ذكره فيذكره للتأسف والسخط على دنياه، وهذا يزيده ذكر الموت بعداً من الله، فهذا كاره للقاء حبيبه ، إن كان يحبه.

أو تائب: فإنه يكثر من ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفي بتمام التوبة، أو يخاف أن يخطفه الموت قبل إتمام التوبة وإصلاح الزاد. وهذا معذور في كره الموت خوفاً وخشية من تقصيره، كالذي يتأخر عن حبيبه مشتغلاً بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه.

وأما العارف: فإنه يذكر الموت دائماً لأنه موعد لقاء حبيبه، والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب.

وأما الأعلى من هذا وذاك، فمن فوض أمره إلى محبوبه، فصار لا يختار ولا يتمنى لنفسه موتاً ولا حياة، بل يكون أحب الأشياء إليه أحبها إلى مولاه وحبيبه، فقد انتهى به الحب والولاء بمقام التسليم والرضا، وهي الغاية والمنتهى.

المستخلص ص١١٣

حب الموت

روي عن حذيفة أنه لما بلغته الوفاة قال : (حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم، اللهم إن كنت تعلم أن الفقر أحب إلي من الغنى، والسقم أحب إلي من الصحة، والموت أحب إلي من العيش، فسهل علي الموت حتى ألقاك) فهذا محب مشتاق لملاقاة حبيبه.

المستخلص ص١١٢-١١٣ بتصرف

فضح الدنيا

قال الحسن رحمه الله: فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحاً.

المستخلص ص١١٤

احذر الموت

كتب أحد الصالحين لإخوانه قائلاً: يا أخي احذر الموت في هذه الدار، قبل أن تصير إلى دار تتمنى فيها الموت فلا تجده.

المستخلص ص١١٤

ذكر الموت

قال إبراهيم التيمي: شيئان قطعا عني لذة الدنيا: ذكر الموت، والوقوف بين يدي الله عز وجل.

المستخلص ص١١٤

متى الأجل

قال مُطَرِّف بن عبدالله: لو علمت متى أجلي لخشيت على ذهاب عقلي! ، ولكن الله تعالى منّ على عباده بالغفلة عن الموت، ولولا الغفلة ما تهنوا بعيش، ولا قامت بينهم الأسواق.

المستخلص ص١١٧

عمر بن عبد العزيز مع الموت

قال عمر لبعض العلماء: عظني، فقال: لست أول خليفة يموت، قال: زدني، قال: ليس من آبائك أحد إلى آدم إلا ذاق الموت، وقاد جاءت نوبتك، فبكى عمر.

المستخلص ص١١٧

ثلاث وثلاث

قال سلمان الفارسي: ثلاث أعجبتني حتى أضحكتني: مؤمل الدنيا والموت يطلبه، وغافل وليس يُغفل عنه، وضاحك ملء فيه -فمه- ولا يدري أساخط رب العالمين عليه أم راضٍ، وثلاث أحزنتني حتى أبكتني: فراق الأحبة محمد وحزبه، وهول المطلَع -القيامة-، والوقوف بين يدي الله، ولا أدري إلى الجنة يُؤمر بي أم إلى النار.

المستخلص ص١١٧

الجهل

الجاهل في الموت، هو من عوّل على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب، وليس يتفكر المسكين، أن مشايخ بلده لو عُدوا لكانوا أقل من عُشر رجال البلد، وإنما قلوا لأن الموت في الشباب أكثر، فإلى أن يموت شيخ، يموت ألف صبي وشاب.

المستخلص ص١١٨

عمر بن الخطاب

عن أنس بن مالك، سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يوماً وقد خرج وخرجت معه حتى دخل حائطاً فسمعته يقول- وبيني وبينه جدار- وهو في الحائط، «عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، بخ بخ ! والله لتتقينّ الله أو يعذبنك».

المستخلص ص١٢٦

التواضع

سئل الفضيل بن عياض عن التواضع فقال: أن تخضع للحق وتنقاد له، ولو سمعته من صبي قبلته، ولو سمعته من أجهل الناس قبلته.

المستخلص ص١٣٥

أفضل الرجال

قيل لعبدالملك بن مروان: أي الرجال أفضل؟ فقال: من تواضع عن قدرة، وزهد عن رغبة، وترك النصرة عن قوة.

المستخلص ص١٣٦

عابد الكوفة

قال منصور بن عمار: سمعت في بعض الليالي عابداً يناجي ربه وهو يقول: يا رب وعزتك ما أردت بمعصيتك مخالفتك، ولا عصيتك إذ عصيتك وأنا بمكانك جاهل، ولا لعقوبتك متعرض، ولا لنظرك مستخف، ولكن سوّلت لي نفسي، وأعانني على ذلك شقوتي، وغرني سترك المرخيَ علي، فعصيتك بجهلي، وخالفتك بفعلي، فمن عذابك الآن من يستنقذني؟ أو بحبل من أعتصم إن قطعت حبلك عني؟ واسوأتاه من الوقوف بين يديك غداً، إذا قيل للمُخفّين: جوزوا، وقيل للمثقلين حُطّوا، أمع المخفين أجوز؟ أم مع المثقلين أحط؟ ويلي كلما كبر سني كثرت ذنوبي، ويلي كلما طال عمري كثرت معاصيّ، فإلى من أتوب وإلى متى أعود؟ أما آن لي أن أستحي من ربي !

المستخلص ص١٣٢

بهذا صارمالك مالكاً

قال زياد النمري: الزاهد بغير تواضع كالشجرة التي لا تثمر، وقال مالك بن دينار: لو أن منادياً ينادي بباب المسجد ليخرج شركم رجلاً والله ما كان أحدٌ يسبقني إلى الباب إلا رجلاً بفضل قوة أو سعي، قال: فلما بلغ عبدالله بن المبارك قوله قال: بهذا صار مالك مالكاً. وقال الفضيل: من أحب الرياسة لم يفلح أبداً

قال أبو يزيد: مادام العبد يظن أن في الخلق من هو شر منه، فهو متكبر، فقيل له: فمتى يكون متواضعاً ؟ قال: إذا لم ير لنفسه مقاماً ولا حالا.

المستخلص ص١٣٦

الشيطان وعمر

قال صلى الله عليه وسلم: (ما سلك عمر فجاً إلا سلك الشيطان فجاً غير الذي سلكه عمر). متفق عليه

فإذا امتلأ القلب بنور اليقين والزهد بالشهوات، دفع الشيطان دفعاً عن القلب، فلا مكان في القلب لشهوة شيطانية ولا وسوسة.

المستخلص ص١٤٢

استجابة الدعاء

قيل لإبراهيم بن أدهم: ما بالنا ندعوا فلا يستجاب لنا وقد قال تعالى :﴿ادعوني استجب لكم﴾ (غافر: 60) ؟ قال: لأن قلوبكم ميتة، قيل: وما الذي أماتها؟ قال: ثماني خصال: عرفتم الله ولم تقوموا بحقه، وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده، وقلتم: نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تعملوا بسنته، وقلتم: نخشى الموت ولم تستعدوا له، وقال تعالى: ﴿إن الشيطان لكم عدوّ فاتخذوه عدواً﴾ (فاطر: 6) فواطأتموه على المعاصي، وقلتم: نخاف النار وأرهقتم أبدانكم فيها، وقلتم: نحب الجنة ولم تعملوا لها، وإذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وافترشتم عيوب الناس أمامكم فأسخطتم ربكم، فكيف يستجيب لكم؟

المستخلص ص١٤٣

خوف عمر

كان عمر رضي الله عنه يسأل حذيفة ويقول له: (أنت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين، فهل ترى عليّ شيئاً من آثار النفاق؟) إذا كان هذا قول عمر، فماذا نقول نحن؟

المستخلص ص١٤٨

لا أحد يستحق الجنة بعمله

قال ﷺ لأصحابه وهم خير الناس: (ما منكم من أحد ينجيه عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلاّ أن يتغمدني الله برحمته) وبكى صلى الله عليه وسلم. متفق عليه.

في هذا الحديث حكمة وعبرة، فعندما يقوم عبد بتأدية واجب كلفه الله به، لا يعني أنه تفضل ومنّ على الله بأداء مهمته، بل هذه وظيفتك التي أنزلت للأرض من شأنها، فالمنة والفضل لله أن رزقك التوفيق في إنجاز مهمتك. وفوق كل هذا وذاك، يجازيك على شيء هو خلقه لك وخلقك له، و وفقك ويسر لك إنجازه، ثم يشكرك على شيء ليس لك في إنجازه شيء. فسبحانك ربنا ما أكرمك.

حديث قدسي

قال عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسي الذي يرويه عن ربه تبارك وتعالى:

(الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني فيهما قصمته ولا أبالي) اخرجه مسلم

فإنها صفات خاصة فيه وحده، ولا تليق إلا به، فمن تكبر أو تعظم على عبد من عباده فقد نازع الله في حقه، وما أهلك فرعون ونمرود إلا هذا.

المستخلص ص١٥٧

في العجب

عن ابن عطاء السكندري قال: (أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس، وأصل كل طاعة ويقظة وعفّة عدم الرضا منك عنها، ولأن تصحب جاهلاً لا يرضى عن نفسه، خير لك من أن تصحب عالماً يرضى عن نفسه، فأي علم لعالم يرضى عن نفسه، وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه؟).

المستخلص ص١٨٦

التكبر بالنسب

روي عن أبي ذر أنه قال: قاولت رجلاً عند النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له: يا ابن السوداء! فقال النبي: (يا أباذر طَفَّ الصاع، طف الصاع، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل!) فقال أبو ذر رحمه الله: فاضطجعت وقلت للرجل: قم فطأ على خدي).

عجيب كيف عالج أبو ذر تكبره بأخمص قدم من تكبر عليه ! إذ عرف أن العز لا يقمعه إلا الذل.

المستخلص ص٢٠٢

مايُبقي هذا من قلب العبد؟!

مشى قوم خلف الحسن البصري فمنعهم وقال: ما يبقي هذا من قلب العبد ؟ فخشي غفر الله له أن يعجب بمن خلفه فيزيل عجبه كل ما في قلبه من تقوى.

المستخلص ص٢٠٤

خدمة بيته والعمل بيده

روي أن عمر بن عبدالعزيز أتاه ضيف ذات ليلة، وكان يكتب فكاد السراج أن ينطفئ، فقال الضيف: أقوم إلى المصباح فأصلحه؟ فقال: ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه، قال: أفأنبه الغلام ؟ قال: دعه في نومه، فقام وأخذ وملأ المصباح زيتاً، فقال الضيف متعجباً: قمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين ! فقال: ذهبت وأنا عمر، ورجعت وأنا عمر، ما نقص مني شيء! وخير الناس من كان عند الله متواضعاً.

رحم الله أمير المؤمنين، فلو رأى حال أبسط الناس منا اليوم، لا يقوم في بيته بتحريك ساكن، إلا وأمر الخدم، أو أهله، ولو قام بنفسه لوجد كثير منا ثقلاً في ذلك، فأين نحن منك يا بن عبدالعزيز؟

المستخلص ص ٢٠٥ بتصرف

حكمة علي

قال علي رضي الله عنه: (لا ينقص الرجل الكامل من كماله ما حمل من شيء إلى عياله)

علي وأبو عبيدة وابن الخطاب وأبو هريرة وزيد وأنس رضي الله عنهم ومعلمهم صلى الله عليه وسلم، كانوا خيرالناس لأهلهم، فهل نحن اليوم بأعلى منهم منزلة ومكانة لنستكبر على خدمة أهل بيتنا !

المستخلص ص ٢٠٥ بتصرف

أنا عبد

كان من أحوال المصطفى ﷺ أنه يأكل على الأرض، ويقول: (إنما أنا عبد، آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد) رواه أبو يعلى والبزار

فلم يرفع عليه الصلاة والسلام مرتبته فوق مرتبة عبيد الله، فهو عند نفسه واحد منهم.

المستخلص ص٢٠٧

زهد حاكم

ويروى أن عمر بن عبدالعزيز رحمه الله كان قبل أن يصبح أميراً للمؤمنين تشترى له الحلة -الرداء- بألف دينار، فيقول: ما أجودها لولا خشونة فيها، فلما استخلف وصار أميراً للمؤمنين، كان يشترى له الثوب بخمسة دراهم فيقول: ما أجوده لولا لينة فيه! فقيل له: أين لباسك ومركبك وعطرك يا أمير المؤمنين؟ فقال: إن لي نفساً تواقة وإنها لم تذق من الدنيا طبقة إلاّ تاقت إلى الطبقة التي فوقها، حتى إذا تاقت إلى الخلافة نلتها، ثم وهي أرفع الطبقات، تاقت إلى ما عند الله عز وجل.

المستخلص ص ٢٠٦

السخاء

الأخلاق عطايا من عطايا الرحمن، يضعها الله ويرزقها من يشاء، وليس بعد الإيثار درجة في السخاء.

نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند أهله شيئاً ، فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب بالضيف إلى أهله، ثم وضع بين يديه الطعام وأمر امرأته بإطفاء السراج، وجعل يمد يده للأكل كأنه يأكل وهو لا يأكل حتى أكل الضيف، فلما أصبح ، قال له رسول الله ﷺ: (لقد عجب الله من صنيعكم الليلة إلى ضيفكم) ونزلت فيهم الآية: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ (الحشر: 9).

المستخلص ص ٢١٣

لمؤمن الحق

قال صلى الله عليه وسلم: خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الخلق.

فكان عليه السلام يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، لأن البخل سوء أدب مع الله، فكأنك تخاف أن ينقص رزقك الذي هو من عند الله، فينقص ما عند الله، ولأنك تعتقد أنك صاحب المال فتمنعه، ولأن حب المال قد دخل قلبك، ومن دخل قلبه حب المال دخلته الدنيا، ومن دخلت قلبه الدنيا فلا إيمان له.

المستخلص ص ٢١١ بتصرف

سخاء الرسول

قالت عائشة رضي الله عنها: (ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيامٍ متوالية، حتى فارق الدنيا، ولو شئنا لشبعنا، ولكنا كنا نؤثر على أنفسنا) رواه الشيخان والبهقي

واشتهر عن المصطفى صلى الله عليه وسلم، أنه كان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر.

المستخلص ص٢١٣

سخاء الفقراء

خرج عبدالله بن جعفر إلى ضيعة له، فمر بنخيل قوم، وكان فيه غلام أسود يعمل فيه، وأتى الغلام بطعام يومه، فدخل الحائط «المزرعة» كلب، ودنا من الغلام، فرمى الغلام إليه بقرص فأكله الكلب، ثم رمى إليه الثاني والثالث، فأكلهما، و عبدالله ينظر إليه، فذهب إليه وقال له: يا غلام كم قوتك كل يوم؟ فقال: ما رأيت – الأقراص الثلاثة –، قال: فلم آثرت به هذا الكلب؟ قال: هذه الأرض ليست بأرض كلاب، وإنه جاء من مسافة بعيدة جائعاً، فكرهت أن أشبع وهو جائع، فقال: فما أنت صانع اليوم –بجوعك–، قال: أطوي يومي هذا، فقال ابن جعفر: أُلامُ على السخاء! إن هذا الغلام لأسخى مني، فاشترى الحائط والغلام وما فيه وأعتق الغلام ووهبه له.

المستخلص ص ٢١٤

الجهل والعلم

قال بن مسعود: كفى بخشية الله علماً، وكفى بالاغترار بالله جهلاً.

المستخلص ص٢٢٠

العزة بالإسلام

عوتب عمر بن الخطاب في بساطة ثوبه عند قدومه لفتح الشام، فقال: إنا قوم أعزنا الله بالإسلام، فلا نطلب العزة في غيره، – أو كما قال: فإن ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله –.

المستخلص ص ٢٢١

لولا القيامة

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من اتقى الله لم يشف غيظه، ومن خاف الله لم يفعل ما يشاء، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون.

المستخلص ص٢٤٢

الغضب

قال بعض الصالحين: إياك والغضب، فإنه يجرك لذلّ الاعتذار.

المستخلص ص ٢٣٣

في الغضب

قال ﷺ: (من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه لأمضاه، ملأ قلبه يوم القيامة رضا) وفي رواية (ملأ قلبه أمناً وإيماناً). رواه أبو داود وابن أبي الدنيا صلى الله عليه وسلم فقد أوتي جوامع الكلم، فلم يكن يغضب لنفسه، وإنما يغضب إذا انتهكت حرمات الله.

المستخلص ص ٢٤٢

التّرفع عن الإساءة

قال رسول الله ﷺ: إن امرؤ عيّرك بما فيك، فلا تعيره بما فيه. ففي ذلك ترفع عن ذكر البذيء من الكلام، والتفتيش عن مساوئ الناس، فيشتدوا عليك، وتنشغل بذلك.

المستخلص ص٢٤٦

سادات الناس

سأل معاوية عُرابة بن أوس: بم سدت قومك يا عرابة ؟ قال: يا أمير المؤمنين، كنت أحلم على جاهلهم، وأعطي سائلهم، وأسعى في حوائجهم.

وفي ذلك قال الشاعر :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان

المستخلص ص ٢٤٤

تُقْرِضُ عِرْضَكَ

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: أدركت الناس ورقاً لا شوك فيه، فأصبحوا شوكاً لا ورق فيه، إن عرفتهم نقدوك، وإن تركتهم لم يتركوك، فقالوا له: كيف نصنع؟ قال: تُقْرِضهم من عرضك ليوم فقرك.

المستخلص ص٢٤٤

إجابة محرجة

سب رجل ابن عباس رضي الله عنه، فلما فرغ الرجل من السباب قال ابن عباس: هل للرجل حاجة فنقضيها؟ فنكّس الرجل رأسه واستحيا.

المستخلص ص١٣٥

أفضل الرجال

قيل لعبدالملك بن مروان: أي الرجال أفضل؟ فقال: من تواضع عن قدرة، وزهد عن رغبة، وترك النصرة عن قوة.

المستخلص٢٤٥

ولي حميم

قال أنس بن مالك ﷺ في الآية: ﴿فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليٌّ حميم﴾ (فصلت: 34) فقال: هو الرجل يشتمه أخوه فيقول: إن كنت كاذباً فغفر الله لك، وإن كنت صادقاً فغفر الله لي.

وقال أحدهم: شتمت فلاناً من أهل البصرة، فصبر عليّ، فاستعبدني بذلك زماناً.

المستخلص ص ٢٤٤

فهو شيطان

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: من استُغضِب فلم يغضب فهو حمار، ومن استرضِي ولم يرض فهو شيطان.

المستخلص ص٢٤٧

أهون من التراب

قال الحسن: والله لقد أدركت أقواماً كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذي تمشون عليه، ما يبالون أشرقت الدنيا أم غربت، ذهبت إلى ذا أو ذهبت إلى ذا.

المستخلص ٢٥٣

الدنيا والآخرة

قال علي رضي الله عنه: الدنيا والآخرة ضرتان، فبقدر ما ترضي إحداهما، تسخط الأخرى.

المستخلص ص٢٥٣

لو كنت صادقاً

قال أحدهم لرجل حكيم: ما رأيت في الناس صادقاً!، فقال له: لو كنت صادقاً لعرفت الصادقين.

المستخلص ص٢٦٩

السر والعلن

قال يزيد بن الحارث: إذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك النَّصَف، وإن كانت سريرته أفضل من علانيته فذلك الفضل، وإن كانت علانيته أفضل من سريرته فذلك الجور.

المستخلص ص٢٧٣

علامات الزاهد

قسّمها الإمام حجة الإسلام لثلاث:

أن لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود. وهي علامة الزهد في المال.

أن يستوي عنده ذامه ومادحه. فهي علامة الزهد في الجاه.

أن يكون أنسه بالله والغالب على حلاوة قلبه حلاوة الطاعة، فالأنس بالله والدنيا لا يجتمعان في قلب مؤمن.

الخوف والأمن

قيل للحسن: يا أبا سعيد، كيف نصنع؟ نجالس أقواماً يخوّفونا حتى تكاد قلوبنا تطير! فقال: والله أن تخالط أقواماً يُخوفونك حتى يدركك أمن، خير لك من أن تصحب أقواماً يؤمنونك حتى يدركك الخوف.

وقال سليمان الداراني: ما فارق الخوف قلباً إلا خرب.

المستخلص ص٢٩٠

البكاء من خشية الله

قال صلى الله عليه وسلم:

(لا يلج النار أحد بكى من خشية الله، حتى يعود اللبن في الضرع) رواه الترمذي والنسائي

وقال : (ما من قطرة أحب إلى الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله تعالى أو قطرة دم أهريقت في سبيل الله سبحانه وتعالى). رواه الترمذي

وقال: (سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله) وذكر منهم: (رجلاً ذكر الله خالياً ففاضت عيناه) رواه الشيخان

المستخلص ص٢٩٠

غاية الخوف والرجاء

قـال عمـر رضي الله عنه: لو نودي ليدخل النار كل الناس إلا رجلاً واحداً لرجوت أن أكون أنـا ذلـك الرجل، ولو نودي ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلاً واحداً لخشـيت أن أكون أنا ذلك الرجل.

فكان عمر في قمة الخوف والرجاء حتى إنه كان يسأل حذيفة كاتم سر المنافقين ويقول له: هل ذكرني الرسول صلى الله عليه وسلم مع المنافقين!

فإذا كان هذا حال عمر الذي لا يسير الشيطان معه في نفس الطريق، فكيف بحالنا ؟

المستخلص ص ٢٩٢-٢٩١ بتصرف

خوف العارفين

كان حذيفـة يقـول: إنه يأتي على القلب سـاعة يمتلئ بالإيمـان حتى لا يكون للنفاق فيه مغرز إبرة، ويأتي عليه ساعة يمتلئ فيها بالنفاق حتى لا يكون للإيمان فيه مغرز إبرة، وقد عرفت بهذا خوف العارفين من سوء الخاتمة.

المستخلص ص٢٩٥

روحانية

اجتمـع ذات يـوم وهيـب بـن الـورد وسفيان الثوري ويوسف بن أسباط، فقـال الثـوري: كنـت أكـره مـوت الفجـاءة قبـل اليوم، واليـوم وددت أني مت، فقال له يوسف: لِمَ؟ قال: لمـا أتخـوف مـن الفتنـة، ، فقال يوسـف: لكني لا أكره طـول البقاء، فقال سفيان: لِمَ؟ قال: لعلي أصادف يوماً أتوب فيه وأعمل صلحاً، فقيل لوهيـب: ماذا تقول أنـت؟ فقال: أنا لا أختار شيئاً، أحب ذلك إليّ أحبه إلـى الله سـبحانه وتعالـى، فقبّلـه الثوري بيـن عينيه، وقال: روحانية ورب الكعبة.

المستخلص ص٣٢٤

شكر الله

قال أحـد الصالحيـن: الحمد لله الـذي رضـي بالحمـد شـكراً مـن عباده.

فـلا حمد ولا شـكر يفي بحق الله، ولكنه كرم الكريم أن رضي به.

المستخلص ٣٠٥

لا يبالي

يقـول عمر رضـي الله عنه: لا أبالـي أأصبحت غنياً أو فقيراً، فإني لا أدري أيهما خير لي؟!

المستخلص ٣٢٣

الهم كفارة

في حديث عائشة رضي الله عنها: (إذا كثرت ذنوب العبد ولم تكن له أعمال تكفرها أدخل الله عليه الهموم فتكون كفارة لذنوبه) أخرجه الإمام أحمد بلفظ (ابتلاه الله بالحزن)

المستخلص ص٣٣٢

ستر

استر من أخيك ما تحب أن يستر منك فقد قال عليه الصلاة و السلام: (من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة). رواه مسلم والمغتاب والمتجسس والمنتقم والمكافئ على الإساءة، بمعزل عن هذا الوصف، والمتصف به من لا يتحدث عن مخلوق لله إلا بأحسن ما فيه، فمن تغافل عن المقابح وذَكَرَ المحاسن فهو ذو نصيب من هذا.

المستخلص ص٣٤٨

ملك في الدنيا والآخرة

سأل أحدهم أحد الشيوخ وقال: أوصني، فقال له: كن ملكاً في الدنيا وملكاً في الآخرة، فقال: وكيف؟ فقال: اقطع طمعك وشهوتك عن الدنيا تكن ملكاً في الدنيا والآخرة، فإن المُلْكَ في الحرية والاستغناء.

المستخلص ص ٣٤٥

نقاء أبي بكر

روي أن عمر بن الخطاب رأى أبا بكر الصديق رضي الله عنهما وهو يمد لسانه بيده فقال له: ماذا تصنع يا خليفة رسول الله !، فقال: هذا أوردني الموارد! (أي أهلكني)، يقال: إنه كان يضع في فمه حصاة فيمنع بها نفسه من الكلام.

المستخلص ص٣٨٣

خشية الله

قال الحسن: تكلم قوم عند معاوية، والأحنف بن قيس ساكت، فقال له: ما لك يا أبا بحر لا تتكلم؟ فقال له: أخشى الله إن كذبت، وأخشاك إن صدقت.

المستخلص ص٣٨٥

شدة الكلمة

قال عليه الصلاة والسلام: (إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها أبعد من الثريا) أخرجه ابن أبي الدنيا بسند حسن.

المستخلص ص٣٨٩

العلم لثلاث

قال عمر رضي الله عنه: لا تتعلم العلم لثلاث ولا تتركه لثلاث: لا تتعلمه لتماري به، ولا لتباهي به، ولا لترائي به، ولا تتركه حياء من طلبه، ولا زهادة فيه، ولا رضا بالجهل منه.

المستخلص ص٣٩١

البر

قال عمر رضي الله عنه: البر شيء هيّن، وجه طليق وقول ليّن.

المستخلص ص٣٩٤

الضحك المذموم

نظر وهيب بن الورد في قوم يضحكون في يوم عيد فقال: إن كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين، وإن كان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين!

المستخلص ص ٤٠٢

مداعبة وتبسم الرسول

روي أن رسول الله قيل له: إنك تداعبنا فقال: إني وأمزح ولا أقول إلا حقاً. رواه الترمذي

المستخلص ص٤٠٣

من النفاق

قال الحسن: كان يقال: إن من النفاق اختلاف السر والعلانية، والقول والعمل، والمدخل والمخرج ، وإن الأصل الذي بني عليه النفاق الكذب.

المستخلص ص٤٠٧

أقسام الناس في ذكر الموت

عن أنس رضي اللّه عنه أن رجلاً مر بمجلس في عهد رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فسلم الرجل فردوا عليه ، فلما جاوزها ، قال أحدهم : إني لأبغض هذا ، قالوا : مه ، فواللّه لنُنَبئنّه بهذا ، انطلق يا فلان ، فأخبره بما قاله له ، فانطلق الرجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذي كان وبالذي قال ، قال الرجل : يا رسول اللّه ، أرسل إليه ، فاسأله لم يبغضني ؟ قال له رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : لم تبغضه ؟ قال : يا رسول اللّه ، أنا جاره ، وأنا به خابر ، ما رأيته يصلي صلاة إلا هذه الصلاة التي يصليها البر والفاجر ، فقال له الرجل : يا رسول اللّه ، سله هل أسأت له وضوءاً ، أو أخرتها عن وقتها ؟ فقال : لا ، ثم قال : يا رسول اللّه ، أنا له جار ، وأنا به خابر ، ما رأيته يطعم مسكيناً قط إلا هذه الزكاة التي يؤديها البر والفاجر، فقال : يا رسول اللّه ، سله هل رآني منعت منها طالبها ؟ فسأله، فقال : لا ، فقال : يا رسول اللّه أنا له جار ، وأنا به خابر ، ما رأيته يصوم يوماً قط إلا الشهر الذي يصومه البر والفاجر ، فقال الرجل : يا رسول اللّه ، سله هل رآني أفطرت يوماً قط ، لست فيه مريضاً ولا على سفر ؟ فسأله عن ذلك ، فقال : لا ، فقال له رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : قم فلعله خير منك .أخرجه أحمد بإسناد صحيح.

المستخلص ص٤٢٢

كظم الغيظ

قال صلى الله عليه وسلم: من كظم غيظاً وهو يقدر على أن يمضيه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي الحور شاء. أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه ابن ماجه

المستخلص ص٤٢٣

علاج التعجب والغيبة

وأما التعجب إذا أخرجك للغيبة، فتعجب من نفسك أنت ! كيف أهلكت نفسك ودينك بدين غيرك أو بدنياه، وأنت مع ذلك لا تأمن عقوبة الدنيا!، وهو أن يهتك الله سترك كما هتكت بالتعجب ستر أخيك.

المستخلص ص٤٢٣

نفع الناس

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين. أخرجه مسلم وقال: إن الله يكره أذى المؤمنين. اخرجه ابن المبارك بإسناد جيد

المستخلص ص٤٤٥

اللين الهين

قال عليه الصلاة والسلام: أتدرون على من حرمت النار؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: اللين الهين السهل القريب.

أخرجه الترمذي.

المستخلص ص٤٤٧

اتباع العورات

قال صلى الله عليه وسلم : يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو كان في جوف بيته. أخرجه أبو داود بإسناد صحيح

المستخلص ص٤٥١

خير قوم

كان أبو الدرداء يجلس إلى القبور، فلما سئل قال: أجلس إلى قوم يذكرونني معادي، وإن قمت عنهم لا يغتابونني.

المستخلص ٤٦٠

الخوف من الموت

لما مات أخو مالك بن دينار رحمهما الله خرج مالك في جنازته يبكي ويقول: والله لا تقر عيني حتى أعلم إلى ماذا صرت إليه، ولا أعلم ما دمت حياً.

المستخلص ص٤٦٠

الدعاء للأبناء

جاء رجل إلى ابن المبارك يشكو ولده، فقال له: هل دعوت عليه؟ قال : نعم . فقال له: لقد أفسدته.

المستخلص ٤٦٣

أضع بين أيديكم في هذا الباب خلاصة في استخراج وتلخيص شذرات الحكم مما احتوتها أمهات كتب التزكية والرقائق لأئمة المسلمين وأعلامهم، أضع بين أيديكم ملخصاً لأكثر من ٦٠ كتاباً، لعلها تكون مفتاحاً وضياء لأحدنا.

كتاب: من الفكر والقلب

المؤلف: د.محمد سعيد البوطي

نبذة عن الكتاب: كتاب منوع من أروع ما قرأت في الكتب، يتحدث فيه المؤلف عن الأدب والحب والمناجاة والمنطق، والفلسفة والسير، الكتاب أشبه بخواطر الشيخ البوطي، وما أحلاها من خواطر.

اقتنصت لكم روائع من بعض الفصول من هذا الكتاب..

فصل الدين والحب

يقول البوطي:

سألني شاب ما رأي الإسلام في الحب؟

فقلت له: عليك أن تصحح صيغة السؤال أولاً، فإن الإسلام ليس رجلاً من الناس، ولا من تأليف رجل من الناس، حتى يكون صاحب رأي وفكر فيما يقرره ويرتئيه، إن الإسلام مجموعة من الأحكام الإلهية ألزم الله بها عباده، قضاء قاطعاً لا خيرة لأحد من الناس فيه.

ويقول: تأثر الناس بما انتشر في وسائل الأعلام تحت شعار "رأي الدين" كأنه يتحدث عن رأي علم الاجتماع أو الفلسفة، فيكون الدين رأياً بين هذه الآراء!، ومعاذ الله أن يكون الأمر كذلك.

ثم قلت للسائل: وإنما ينبغي أن تكون صيغة سؤالك: ما هو حكم الإسلام في الحب؟

قال: هذا ما قصدته، ولكن سبق لساني على الصيغة السائدة.

قلت: ولكن الإسلام لا حكم له في الحب، أرأيت أن الإسلام يحكم بشيء على الكراهية والحزن والخوف والجوع؟ ، فهو أيضاً لا يحكم بشيء على الحب.

إنما أحكام الإسلام تتعلق بما يصدر عن الإنسان من أفعال اختيارية، لا انفعالات قسرية.

معنى أن الإسلام دين الفطرة، أنه يلبي كل حاجات الإنسان وتطلعاته ومشاعره، في صورة من العدل والاستقامة والتنظيم، أي أنه لا يكبت في الإنسان شيئاً من مشاعره وانفعالاته ووجدانه، لكنه يعلمه السبيل الأمثل لمعالجتها والاستجابة لها.

الإسلام لا يقول: لا تكره، أو لا تحب، أو لا تجع! ، ولكنه يقول لك: إذا جعت فلا تسرق، وإذا كرهت فلا تظلم، وإذا أحببت فلا تنحرف.

من الفكر والقلب

ومشاعر الحب والعواطف في كيان الإنسان، أشبه ما تكون بسراج يتقد في غرفة بليل مظلم، فإن أطفأت السراج انقلب المكان إلى ظلام موحش دامس، وإن بالغت في رفع الذبالة "الشمعة" ومد لسان اللهب، تحول السراج المضيء إلى نار محترقة، قد تحيل الغرفة كلها إلى رماد أو ألسنة من اللهب.

من الفكر والقلب

كان الحب سراً من أسرار القلب، يربي فيه فضائله، ويحوط بالحفظ ثوابته، ويغرس في النفس بذور الرحمة والإنسانية، بعد أن يقتلع منها جذور الأثرة والأنانية، فكان بذلك خير مهاد لبناء الأسرة، وأفضل روح لبناء الأمة، وأقوى زناد لتفجير ينابيع الحكمة وإذكاء شعلة الأدب.

ويقول: أما الحب اليوم، فقد غدا الحب سراً من أسرار "التواليت" يثير في النفس غرائزها، ويقلع من الروح فضائلها، ثم إنه قد أصبح عرضة للسلب والنهب، تجده في كل سكة وزقاق وشارع مزدحم! وبذلك أصبح الحب مدمراً لكيان الفرد والأمة، وأعظم خطر على بناء البيت والأسرة.

من الفكر والقلب

كم في الناس تعساء، إذ حيل بينهم وبين تطلعات حبهم، ولكنهم مع ذلك عاشوا سعداء بالحب نفسه!.

من الفكر والقلب

فصل: مناجاة قلب كسير

كيف يكون القلب كسيراً وأنت النور الذي يشع في حناياه، والأمل الذي يخفق به ويعيش عليه !، بل .. كيف لا يكون كسيراً، وقد ذلّ لعظيم سلطانك، ودان لسابق حكمك وقضائك !.

من الفكر والقلب

إن في كل جلال جمالاً، وفي كل ابتلاء لطفاً، وهل في اللطف ما هو أعظم من انصراف العبد إليك، وتحوله عن الأغيار إلى ملازمة بابك الكريم!

من الفكر والقلب

مولاي: لئن نسيتني أفراح الدنيا، فإن عزائي بما فاتني منها عظيم ما ألقاه من الأنس بذاتك والأمل في رحمتك، ولئن أبكتني صروف الليالي والأيام، فإن عزائي معها بكائي على أعتاب لطفك، وبين يدي ربوبيتك، وشتان بين دموع اعتصرتها الآلام من العيون، ودموع استجابت لذل العبودية، فانحدرت تبكي لمن خلق الوجد في القلوب، وأودع الحرقة في الدموع.

مولاي: أأشكرك على ما أوليتني من نعمة الصبر على البلاء، أم أشكرك على ما أوليتني بذلك من سعادة القرب إليك ولذة المناجاة لك؟

من الفكر والقلب

إلهي سألوني عن وجودك، فقلت لهم: متى عرفتم أنفسكم رأيتموه، ولولا ظلالكم عن كينونتكم لما افتقدتموه.

من الفكر والقلب

يسألوني عن أقدس سر من أسرارك، فقلت لهم: إنه القلب ! يخفق ويحس، ويحن ويئن، في عالم لا تطوله يد المال والمتاع ولا الصنعة والخداع، ولا الدنيا وزخرفها، أو المادة وقيمها، عروش الدنيا وممالكها، وبطشها وسلطانها، كل ذلك أقل من أن يقاوم خفقة من خفقات قلب محب! ونعيم الدنيا وأفراحها، ولهوها ولذائذها، كل ذلك أقل من أن يخلق لمعة فرح في قلب حزين !

من الفكر والقلب

يا من استوى في خلقه الأمل واليأس، والتقى في تقديره الموت بالحياة، يا منشئ النور من الظلام، ومبدع الفرح من الأحزان، يا من هذا سر لطفك وطعم إحسانك وحنانك، ، يا إلهي: كيف أيأس إذاً وأنت ربي !، أم كيف لا ينعشني الأمل وأنت حسبي !

من الفكر والقلب

فصل خواطر وأشجان:

الحب الذي يأتي به القلب وحده، تذهب به صحوة صادقة من العقل، فالخطب فيه يسير، والحب الذي يأتي به العقل وحده، تقضي عليه نزوة من عاطفة متمردة، فأمرها أيضاً يسير، أما الحب الذي يأتي به العقل والقلب معاً، فداء عضال، لا يذهب به، إلا جنون مطبق أو موت مريح ! ويا رحمة الله لمن يعاني مثل هذا البلاء !

من الفكر والقلب

فراغ الحياة والفكر

أقبل إليّ أحد الفضوليين، وقد ظهر على وجهه الحرص والاهتمام، وسألني: كم كان عدد الدراهم التي باع بها أخوة يوسف عليه السلام أخاهم؟ يقصد قوله تعالى : (وشروه بثمن بخس دراهم معدودة)، قلت: لا أدري عدد ذلك بالضبط، ولكن ربما كان مساوياً لعدد أركان الصلاة !

قال: وكم هي أركان الصلاة؟

قلت: أنت مكلف بإقامة الصلاة في كل يوم خمس مرات، بجميع مالها من أركان، ومع ذلك فأنت لم تشعر خلال عمرك كله بالحاجة إلى معرفة شيء من هذه الأركان!، ولو عشت قرناً كاملا لن ولم يسألك الله ولا أحد من أصدقائك عن عدد الدراهم التي بيع بها يوسف عليه السلام، إنه فراغ الحياة والفكر.

من الفكر والقلب

فصل القيم الروحية:

مرد نعيم الإنسان في آخرته بسبب اتباعه الإسلام روحاً وجسماً معاً، ومرد شقاء الإنسان في آخرته بسبب إعراضه عن الإسلام في دنياه إلى الجسم والروح معاً. فالنعيم والعذاب للجسد والروح.

من الفكر والقلب

كتاب: إحياء علوم الدين

المؤلف: أبو حامد الغزالي – حجة الإسلام-

نبذة عن الكتاب: كتاب جامع في التربية والأخلاق والتصوف والفقه والعقيدة ، وهو من أهم كتب المواعظ وأعظمها .

رتبه رحمه الله على أربعة أقسام ، ومقدمة في العلم ، وبين في الربع الأول أحكام العبادات وكشف عن أسرارها ، وذكر آدابها وسننها والترغيب فيها ، وخصص الربع الثاني للعادات كالنكاح، والأكل والكسب ، والحلال والحرام ، والصحبة والعزلة ، والمعاشرة والسفر ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبين فيه أسرار المعاملات الجارية بين الناس ، وأفرد الربع الثالث للمهلكات مثل عجائب القلب ورياض النفس، وآفات شهوة البطن والفرج ، وآفات اللسان ، والغضب والحقد والحسد ، وذم الدنيا والمال والبخل ، وذم الجاه والرياء والكبر ، والعجب والغرور ، وعرض الأخلاق المذمومة ، لتزكية النفس عنها وتطهير القلب منها ، وشرح في الربع الرابع المنجيات ، كالتوبة ، والصبر، والخوف من الله ، والرجاء ، والفقر والزهد، والمحبة والإخلاص ، والصدق ومراقبة الله تعالى ، ومحاسبة النفس والتفكر، وختمه بذكر الموت ، وشرح هذه الأخلاق المحمودة ، والخصائل المرغوبة للتقرب إلى الله تعالى بها .

ومنهجه في كل فرع أن يذكر حده (تعريفه الجامع المانع) وحقيقته وما ورد فيه من الآيات الكريمة ، والأحاديث الشريفة ، والأقوال المأثورة عن السلف والحكماء والفلاسفة والأنبياء وما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل.

قال الفضيل بن عياض :

حامل القرآن حامل راية الإسلام، فلا ينبغي أن يلهو، مع من يلهو و ولا يسهو مع من يسهو، و لا يلغو مع من يلغو، تعظيماً لحق القرآن.

الإحياء (ج ١ ص ٢٧٤)

يقول بلال بن سعد :
لا تنظر إلى صغر الخطيئة و لكن انظر عظم من عصيت.

الإحياء (ج ٣ ص ٢٠٧)

خصال تدخل الجنة

وقال علي رضي الله عنه :
من جمع فيه ست خصال لم يدع للجنة مطلباً و لا عن النار مهرباً: من عرف الله و أطاعه، وعرف الشيطان فعصاه، و وعرف الحق فاتبعه، و عرف الباطل فاتقاه، وعرف الدنيا فرفضها، وعرف الآخرة فطلبها.

الإحياء (ج ٣ ص ٢٠٧)

الدنيا أمانة

و قال الحسن :
رحم الله أقواماً كانت الدنيا عندهم و وديعة فأدوها إلى من ائتمنهم، ثم راحوا خفافاً .

الإحياء (ج ٣ ص ٢٠٧)

حب الدنيا و حب الآخرة

و قال عيسى عليه السلام:
لا يستقيم حب الدنيا والآخرة قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء و النار في إناء واحد .

الإحياء (ج ٣ ص ٢٠٤)

حقيقة الدنيا

وروي أن جبريل عليه السلام قال لنوح عليه السلام:
يا أطول الأنبياء عمراً كيف وجدت الدنيا ؟ قال: كدار لها بابان دخلت من أحدهما، وخرجت من الآخر .

الإحياء (ج ٣ ص ٢٠٤)

حب الدنيا و حب الآخرة

و قال أبو سليمان الداراني :
من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيئاً إلا أراد أكثر، ومن طلب الآخرة على المحبة لها لم يعط منها شيئاً إلا أراد أكثر، وليس لهذا غاية.

الإحياء (ج ٣ ص ٢٠٧)

عيب الدنيا

قال بعضهم :
من عيوب الدنيا، أنها لا تعطي أحد ما يستحق، لكنها إما أن تزيد و أما أن تنقص.

الإحياء (ج ٣ ص ٢٠٧)

الدنيا جيفة !

الدنيا جيفة، فمن أراد منها شيئاً فليصبر على معاشرة الكلاب.

الإحياء (ج ٣ ص ٢٠٨)

حب الدنيا مانع الخير

قال عبد الله بن المبارك :
حب الدنيا والذنوب في القلب قد استوحشت عليه، فمتى يصل الخير إليه.

الإحياء (ص ج ٣ ص ٢١٠)

دعاء

كان بعضهم يقول في دعائه :
يا ممسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، أمسك الدنيا عني.

الإحياء (ج ٣ ص ٢١٠)

آثار حب الدنيا

قال الحسن :
والله لقد عبدت بنو إسرائيل الأصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم الدنيا.

الإحياء (ج ٣ ص ٢٠٩)

الدنيا للبدن والآخرة للقلب

و قال سفيان :
خذ من الدنيا لبدنك، و خذ من الآخرة لقلبك.

الإحياء (ج ٣ ص ٢٠٩)

النفاق

قال رجل لحذيفة رضي الله عنه : إني أخاف أن أكون منافقا فقال: لو كنت منافقاً ما خفت النفاق، إن المنافق من قد أمن النفاق.

الإحياء (ج ١ ص ١٢٣)

يخافون النفاق

قال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين و مائة ، من أصحاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) كلهم يخافون النفاق.

الإحياء (ج ١ ص ١٢٢)

حكم لقمان :

يا بُنَيَّ: الدنيا بحر عميق، وقد غرق ناس كثير، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل، وحشوها الإيمان بالله تعالى، وشراعها التوكل على الله عز وجل، لعلك تنجو و ما أراك ناجياً.

الإحياء (ج ٣ ص ٢٠٧)

الدنيا مغرية

قال الفضيل :
الدخول في الدنيا هين، و لكن الخروج منها شديد.

الإحياء (ج ٢ ص ٢٠٩)

تعجب

و قال بعضهم :
عجباً !! لمن يعرف أن الموت حق كيف يفرح؟
وعجباً !! لمن يعرف أن النار حق كيف يضحك؟
وعجباً !! لمن رأى تقلب الدنيا بأهلها كيف يطمئن إليها؟
وعجباً !! لمن يعلم أن القدر حق كيف ينصب؟

الإحياء (ج ٣ ص ٢٠٩)

سلامة الدين

قال عيسى عليه السلام:
يا معشر الحواريين : ارضوا بِدَنِيِّ الدنيا مع سلامة الدين كما رضي أهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا .
وفي ذلك يقول الشاعر :

أرى رجالاً بأدنى الدين قد قنعوا
ولا أراهم رضوا في العيش بالدون
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما
استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

الإحياء (ج ٣ ص ٢٠٦)

الابتعاد عن أبواب السلاطين

قال أبو ذر لسلمة :
يا سلمة، لا تَغْشَ أبواب السلاطينِ فإنك لا تصيب من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينك أفضل منه.

الإحياء (ص ١٤٢)

مواقف الفتن

قال حذيفة بن اليمان :
إياكم و مواقف الفتن، قيل: و ما هي ؟ قال: أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير، فيصدقه بالكذب و يقول ما ليس فيه.

الإحياء (ج ٢ ص ١٤٢)

وكان بشر الحافي رحمه الله من الورعين، فقيل له: من أين تأكل، فقال: من حيث تأكلون، ولكن ليس من يأكل وهو يبكي كمن يأكل وهو يضحك. وقال: يد، أقصر من يد ولقمة أصغر من لقمة، وهكذا كانوا يحترزون من الشبهات.

الإحياء (ج ٢ ص ٩١)

في التوراة

ورد في الخبر أنه مكتوب في التوراة : من لم يبال من أين مطعمه لم يبال الله من أي أبواب النيران يدخله.

الإحياء – الحلال والحرام – الباب الأول

ورع للمتقين

يقول صلى الله عليه وسلم:
لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس.
رواه الترمذي

أثر الدخول على السلطان

قال عبد الله بن مسعود :
إن الرجل ليدخل على السلطان و معه دينه، فيخرج وما معه دينه، قيل له: و لم؟ قال : لأنه يرضيه بما يسخط الله فيه.

الإحياء (ج ٢ ص ١٤٢)

إهانة الدنيا

و قال الحسن :
أهينوا الدنيا، فوالله ما هي لأحد أهناً منها لمن أهانها.

الإحياء (ج ٣ ص ٢١٠)

حسرة ابن آدم عند الموت

و قال الحسن :
لا تخرج نفس آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاث :
أنه لم يشبع مما جمع، و لم يدرك ما أمل، و لم يحسن الزاد لما يقدم عليه

الإحياء (ج ٣ ص ٢٠٩)

الدنيا متاع الغرور

و قال الحسن :
إذا أراد الله بعبد خيراً أعطاه من الدنيا عطية ثم يمسك، فإذا نفد أعاد عليه، و إذا هان عليه عبده بسط له الدنيا بسطاً.

الإحياء (ج ٣ ص ٢١٠)

رقّ الدنيا

و قيل لبعض العباد :
قد نلت الغنى، فقال: إنما ينال الغنى من عتق من رق الدنيا.

الإحياء (ج ٣ ص ٢٠٩)

الحكمة

وقال وهب بن منبه :
من فرح قلبه بشيء من الدنيا فقد أخطأ الحكمة، و من جعل شهوته تحت قدميه فَرِقَ الشيطان من ظله، و من غلب علمه هواه فهو الغالب.
فَرِقَ: خاف

الإحياء (ج ٣ ص ٢١٠)

دار الخراب و دار العمران

وقال حكيم :
الدنيا دار خراب، و أخرب منها قلب من يعمرها، والجنة دار عمران، و أَعْمرُ منها قلب من يطلبها.

الإحياء (ج ٣ ص ٢١٠)

الدنيا و الآخرة

قال أبو حازم :
يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة.

الإحياء (ج ٣ ص ٢١٠)

النظر إلى المحارم

قال عيسى عليه السلام: إياكم و النظرة فإنها تزرع في القلب شهوة و كفى بها فتنة.

الإحياء (ج ٣ ص ١٠٢)

سهام إبليس

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، فمن تركها خوفا من الله تعالى أعطاه الله تعالى إيمانا يجد حلاوته في قلبه. رواه الحاكم في المستدرك

الإحياء (ج ٣ ص ١٠٢)

بلوغ الأمل والأجل

و قال داود الطائي رحمه الله :
يا ابن آدم فرحت ببلوغ أملك، و إنما بلغته بانقضاء أجلك ، ثم سَوَّفتَ بعملك فكان منفعته لغيرك .

الإحياء (ج ٣ ص ١٠٢)

زهد رسول الله ﷺ

قال عمرو بن العاص على المنبر :
والله ما رأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله صلى الله و عليه و سلم يزهد فيه منكم، و الله ما مر برسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثلاث -أيام- إلا و الذي عليه أكثر من الذي له.

الإحياء (ج ٣ ص ١٠٢)

سؤال الدنيا

و قال بشير :
من سأل الله الدنيا ، فإنما يسأله طول الوقوف بين يديه.

الإحياء (ج ٣ ص ١٠٢)

المغبون

قال سعيد بن مسعود :
إذا رأيت العبد تزداد دنياه و تنقص آخرته و هو بها راضٍ فذلك المغبون.

الإحياء (ج ٣ ص ١٠٢)

نهاية اللذة

كان بشر بن كعب يقول :
انطلقوا حتى أريكم الدنيا، فذهب بهم إلى مزبلة فيقول: انظروا ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وسمنهم.

الإحياء (ج ٣ ص ٢١٧)

النعم عد الصبر

قال ثابت البناني :
كابدت القرآن عشرين سنة و تنعمت به عشرين.

الإحياء (ص ٢٨٨)

القرآن

قال عثمان لحذيفة رضي الله عنهما :
لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن.

الإحياء (ج ١ ص ٢٨٨)

خير الدنيا

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم، لما بعث معاذاً إلى اليمن رضي الله عنه :
لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا و ما فيها. (في الصحيحين).

الإحياء (ج ١ ص ٩)

العقلاء الثلاثة

و قال يحيى بن معاذ:
العقلاء ثلاثة: من ترك الدنيا قبل أن تتركه، و بنى قبره أن يدخله، و أرضى خالقه قبل أن يلقاه.

الإحياء (ج٣ ص ٢١٠)

حقيقة قراءة القرآن

قال بعض القراء :
قرأت القرآن على شيخ لي ثم رجعت لأقرأ ثانياً فانتهرني و قال: جعلت قراءة القرآن علي عملاً! اذهب فاقرأ على الله عز و جل : فانظر بماذا يأمرك و بماذا ينهاك .

الإحياء (ج١ ص ٢٨٦)

صلاة الملائكة

قال بعض السلف إن العبد ليفتح سورة فتصلي عليه الملائكة حتى يفرغ منها ، و إن العبد ليفتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها، فقيل له: و كيف ذلك ؟ قال : إذا أحل حلالها وحرم حرامها : صلت عليه و إلا لعنته.

الإحياء (ج١ ص ٢٧٥)

القرآن عمل

قال ابن مسعود :
أنزل القرآن عليهم ليعلموا به فاتخذوا دراسته عملاً ، إن أحدكم ليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفاً و قد أسقط العمل به .

العمال الظلمة ثلاثة أحوال

قال أبو حامد الغزالي :
اعلم أن لك مع الأمراء والعمال الظلمة ثلاثة أحوال :

الإحياء (ج٢ ص ١٤٣)

الحالة الأولى: و هي شرها، أن تدخل عليهم.

الحالة الثانية: و هي دونها، أن يدخلوا عليك.

الحالة الثالثة: و هي الأسلم، أن تعتزل عنهم فلا تراهم و لا يرونك.

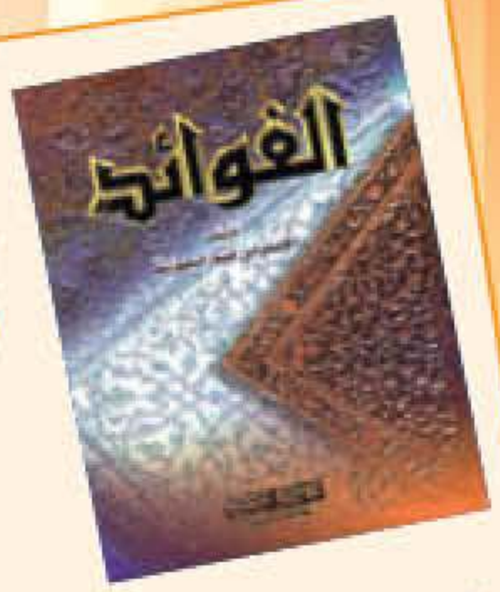

كتاب: الفوائد

المؤلف: ابن قيم الجوزية

نبذة عن الكتاب: كتاب في الوعظ فريد من نوعه، فقد عودنا مؤلفه الإبداع بكل مؤلفاته، فابن قيم الجوزية في هذا الكتاب يتناول آية أو جزء آية فيفسرها تفسيرا لم يسبقه أحد إليه أو جزءا من حديث أو حتى كلمة فيه فيبرع في إخراج المعاني القيمة والحكم المفيدة بسبك رائع وأسلوب عظيم راق.

تحمل الصعاب

قال ابن القيم :

بينك و وبين الفائزين جبل الهوى نزلوا بين يديه و نزلت خلفه ، فاطْوِ فضل منزل تلحق بالقوم.

الفوائد ٦٥

كن خفيف النوم

يقول ابن القيم :

لا بد من سِنَة الغفلة و رقاد الهوى، ولكن كن خفيف النوم فحراس البلد يصيحون: دنا الصباح.

الفوائد ٥٥

استغفار الأسحار

يقول ابن القيم:

هان سَحَرُ الحراس لما علموا أن أصواتهم يسمعها الملك.

الفوائد ١٠٢

كيف تتمكن من نفسك؟

يقول ابن القيم :

احذر نفسك فما أصابك بلاء قط إلا منها ، ولا تُهادنها ، فو الله ما أكرمها من لم يهنها، و لا أعزها من لم يذلها ، ولا جبرها من لم يكسرها ولا أراحها من لم يتعبها ، و لا أمنها من لم يُخوِّنها و لا فرحها من لم يحزنها.

الفوائد ٩٤

تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة

يقول ابن القيم :

العبد دائماً متقلب بين أحكام الأوامر و أحكام النوازل ، فهو محتاج بل مضطر إلى العون عند الأوامر ، وإلى اللطف عند النوازل ، و على قدر قيامه بالأوامر يحصل له من اللطف عند النوازل .

الفوائد ٢٦٠

دليل السعادة والشقاوة

قال ابن القيم :

من علامات السعادة والفلاح أن العبد كلما زيد في علمه زيد في تواضعه ورحمته ، وكلما زيد في عمله زيد في خوفه وحذره ، وكلما زيد في عمره نقص من حرصه ، وكلما زيد في ماله زيد في سخائه وبذله ، وكلما زيد في قدره وجاهه زيد في قربه من الناس وقضاء حوائجهم والتواضع لهم.

وعلامات الشقاوة أنه كلما زيد في علمه زيد في كفره وتيهه ، وكلما زيد في عمله زيد في فجوره واحتقاره للناس ، وحسن ظنه بنفسه ، وكلما زيد في عمره زيد في حرصه ، وكلما زيد في ماله زيد في بخله وإمساكه ، وكلما زيد في قدره وجاهه زيد في كبره وتيهه.

الفوائد ٢٠٣

الهمة

يقول ابن القيم :

إذا طلع نجم الهمة في ظلام ليل البطالة، وردفه قمر العزيمة ، أشرقت أرض القلب بنور ربها .

الفوائد (ص ٦٧)

قال بن القيم :

الذنوب جراحات، ورُب جرح وقع في مقتل .

الفوائد

القلب

يقول ابن القيم :
قبول المحل لما يوضع فيه مشروط بتفريغه من ضده.

الفوائد (ص ٤٣)

النفس

يقول ابن القيم :
قد خلق الله سبحانه النفس شبيهة بالرحى الدائرة التي لا تسكن و لابد لها من شيء تطحنه، فإن وضع فيها حب طحنته، وان وضع فيها تراب طحنته ، فإذا جاء وقت العجن والخبز تبين له حقيقة طحينته .

الفوائد (ص ٢٢٦)

قال ابن القيم في الفوائد :
القواطع محن يتبين بها الصادق من الكاذب، فإذا خفتها انقلبت أعوانا لك توصلك إلى المقصود.

الفوائد (ص ٥٩)

رأي الإمام الشافعي في الابتلاء والتمكن

سأل رجل الشافعي فقال :
يا أبا عبد الله أيما أفضل للرجل أن يُمَكّن أو يُبتلى ؟ فقال الشافعي :
لا يُمَكَّن حتى يُبتلى، فإن الله ابتلى نوحاً وإبراهيم و موسى وعيسى ومحمداً صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين، فلما صبروا مكّنهم، فلا يظن أحداً أن يخلص من الألم البتة .

الفوائد (ص ٢٦٩)

إياك والغفلة

يقول ابن القيم :
إياك والغفلة عمن جعل لحياتك أجلاً، ولأيامك وأنفاسك أمداً، ومن كل ما سواه بد، ولا بد لك منه .

الفوائد (ص ١٢٩)

اهتمامك بالدنيا يزيدك عذاباً

يقول ابن القيم :
الناس في الدنيا معذبون على قدر همهم بها.

الفوائد (ص ١٣٠)

حفت الجنة بالمكاره

قال ابن القيم :
من خلقه الله للجنة لم تزل هداياها تأتيه من المكاره، و من خلقه للنار لم تزل هداياها تأتيه من الشهوات.

الفوائد (ص ٤٦)

السير إلى الله

يقول ابن القيم :
فإذا دخل على الحبيب، وأفيضت عليه الخلع (الثياب) من كل ناحية ليمتحن أيسكن إليها فتكون حظه، أم يكون التفاته إلى من ألبسه إياها !.

الفوائد (ص ١٠١)

أكبر الكبائر

روى بعض السلف :
أكبر الكبائر الأمن من مكر الله و القنوط من رحمة الله.

الفوائد (ص ٢٨٠)

الإخلاص

يقول ابن القيم :
الإخلاص هو ما لا يعلمه ملك فيكتبه، و لا عدو فيفسده، ولا يعجب به صاحبه فيبطله.

الفوائد (ص ١٣٠)

الانشغال بالله

يقول ابن القيم :
من شغل بنفسه شغل عن غيره ، ومن شغل بربه شغل عن نفسه .

الفوائد (ص ١٣٠)

ما عند الله أبقى

قال ابن سيرين :
سمعت شريحاً يحلف بالله: ما ترك عبد لله شيئاً فوجد فقده.

الفوائد (ص ١٤١)

يقول ابن القيم :
من عظم وقار الله في قلبه أن يعصيه وقَره الله في قلوب الخلق أن يذلوه .

الفوائد (ص ٤٩)

وفي أنفسكم أفلا تبصرون

يقول ابن القيم :
لو أنصف العبد ربه لاكتفى بِفكره في نفسه.
أي التفكر في أسرار خلق الإنسان دليل كاف على ربوبية الله لو كان العبد عادلاً

الفوائد (ص ١٨)

اتباع الهوى

يقول ابن القيم :
إن إتباع الهوى يعمي عين القلب فلا يميز بين السنة والبدعة، أو ينكسه فيرى البدعة سنه و السنة بدعة، فهذه آفة العلماء إذا آثروا الدنيا واتبعوا الرياسات والشهوات .

الفوائد (ص ١٣٢)

أعرض الحافظ ... فغلب الشيطان

يقول ابن القيم :
تالله ما عدا عليك العدو إلا بعد أن تولى عنك الولي ، فلا تظن أن الشيطان غلب و لكن الحافظ أعرض

الفوائد (ص ٩٠)

قسوة القلب

يقول ابن القيم :
قسوة القلب من أربعة أشياء إذا جاوزت قدر الحاجة : الأكل و النوم و الكلام و المخالطة .

الفوائد (ص ١٢٨)

الفوائد (ص ٢٢٨)

سوء الخيانة

يقول ابن القيم :
عند العارفين أن تمني الخيانة وانشغال الفكر والقلب بها أضر على القلب من نفس الخيانة، فإن تمنيها يشغل القلب بها، ويملؤه منها، ويجعلها همه ومراده.
والخيانة قد تعني الذنب، أو تمنيه.

الأنس بالله سبحانه و تعالى

يقول ابن القيم :
استوحش مما لا يدوم معك ، و استأنس بمن لا يفارقك .

الفوائد (ص ٦٦)

عليك بتقوى الله

يقول ابن القيم :
ودع ابن عون رجلاً فقال : عليك بتقوى الله فإن المتقي ليست عليه وحشة .

الفوائد (ص ٧١)

الخلوة

يقول ابن القيم :
غرس الخلوة يثمر الأنس.

الفوائد (ص ٦٦)

إصلاح الخواطر

قال ابن القيم :
من المعلوم أن إصلاح الخواطر أسهل من إصلاح الأفكار، وإصلاح الأفكار أسهل من إصلاح الإرادات، وإصلاح الإرادات أسهل من تدارك فساد العمل، و تداركه أسهل من قطع العوائد.

الفوائد (ص ٢٢٧)

جلت قدرة الباري

قال بعض العارفين :
كيف أطلب الدليل على من هو دليل لي على كل شيء.

الفوائد (ص ٣٣)

سخاء الرسول

يقول ابن القيم في قوله تعالى :
﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم﴾
فما اشترى إلا سلعة هذبها الإيمان فخرجت من طبعها إلى بلد سكانه التائبون العابدون.

الفوائد (ص ٩٨)

يقول ابن قيم الجوزية:
غيرة المسلم تقتضي أن تكون أحواله و أعماله وأفعاله كلها لله، وكذلك يغار على أوقاته أن يذهب منها وقت في غير رضى محبوبه .

الفوائد (ص ٤٨)

هذا الزمان

طرق بعض الناس باب الفضيل ابن عياض فأطل عليهم من كوة وهو يبكي، والدموع تتقاطر من وجهه ولحيته ، وهو يضطرب، فقال لهم: (ما بالكم ؟) فقالوا: عظنا يا أبا علي ، ولا هو بأول جواب من مثله حين وعظهم فقال : عليكم بالقرآن ... عليكم بالسنة ، عليكم بالصلاة ..
و يحكم !! هذا الزمان ليس بزمان حديث و إنما هو زمان احفظ لسانك ، وأَخْفِ مكانك، وعالج بالليل ، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر.

الفوائد (ص ٢٣ – ٢٤)

يقول ابن القيم :
اكمل الناس لذة من جمع له بين لذة القلب و الروح و لذة البدن ، فهو يتناول لذاته المباحة على وجه ولا ينقص حظه من الدار الآخرة و لا يقطع عليه لذة المعرفة و المحبة و الأنس بربه.

الفوائد (ص ١٩٧)

الغضب

أنشد بن القيم :
ألا بلغ الله الحمى من يريده
و بلغ أكناف الحمى من يريدها

الفوائد (ص ٥٩)

تفريح الهم والحزن

عن عبد الله بن مسعود قال :
قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ما أصاب عبداً هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك ماضٍ في حكمك عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبي و نور صدري و جلاء حزني و ذهاب همي وغمي. إلا أذهب الله همه وغمه و وأبدله مكانه فرحاً، قالوا : يا رسول الله أفلا نتعلمهن قال : بلى ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن.

الفوائد (ص ٣٣)

الشهوة حارقة

يقول ابن القيم :
الشهوة مثل النار إذا أضرمها صاحبها بدأت بإحراقه.

الفوائد (ص ٢٠٧)

معرفة الجاهلية

يقول ابن القيم:
من لم يعرف سبيل المجرمين ولم تستبن له، أوشك أن يظن في بعض سبيلهم أنها من سبيل المؤمنين .

الفوائد (ص ١٤٣)

إجابة محرجة

أنشد ابن القيم:
و حسان الكون لما أن بدت
أقبلت نحوي و قالت لي: إليّ
فتعاميت كأن لم أرها
عندما أبصرت مقصودي لديّ

الفوائد (ص ٥٦)

جيوش الدنيا والآخرة

قال ابن القيم :
إذا تصادمت جيوش الدنيا و الآخرة في قلبك ، و أردت أن تعلم من أي الفريقين أنت ، فانظر مع من تميل منهما و مع من تقاتل، إذ لا يمكنك الوقوف بين الجيشين، فأنت مع أحدهما لا محالة.

الفوائد (ص ٢٥٠)

جمع القلب في الدعاء

قال يحيى بن معاذ :
من جمع الله عليه قلبه في الدعاء لم يرده.

الفوائد (ص ٦٢)

الآخرة والدنيا

يقول ابن القيم :
كن من أبناء الآخرة ولا تكن من أبناء الدنيا، فإن الولد يتبع الأم.

الفوائد (ص ٦٨)

كرم الله سبحانه

يقول ابن القيم :
لله ملك السماوات والأرض، فاستقرض منك حبة فبخلت بها، وخلق سبعة أبحر وأحب منك دمعة، فقحطت عينك بها.

الفوائد (ص ٨٩)

إهانة النفس بالمعاصي

في الفوائد :
لو عرفت قدر نفسك عندنا ما أهنتها بالمعاصي، إنما أبْعَدْنا إبليس إذ لم يسجد لك وأنت في صلب أبيك، فواعجباً كيف صالحته وتركتنا !! لو كان في قلبك محبة لبان أثرها على جسدك.

الفوائد (ص ١٠٠)

اشتك إلى من يرحم

قال ابن القيم :
رأى بعض السلف رجلاً يشكو إلى رجل فاقته وضرورته ، فقال: يا هذا والله ما زدت على أن شكوت من يرحمك إلى من لا يرحمك !
و في ذلك قيل :
و إذا شكوت إلى ابن آدم إنما
تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم

الفوائد (ص ١١٤)

الوقوف بالطريق

الفوائد (ص ٢٤٩)

يقول ابن القيم :
العبد لا يزال في تقدم أو تأخر ولا وقوف في الطريق ألبتة. قال تعالى : ﴿لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر﴾.
تعليق: فانظر لنفسك، وراقبها، هل أنت من المتقدمين أم من المتأخرين!

يخاف العجب

ذكر ابن سعد في الطبقات عن عمر بن عبد العزيز أنه كان إذا خطب على المنبر فخاف على نفسه العجب قطعه. وإذا كتب كتابا فخاف فيه العجب مزقه، ويقول: اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي.

الفوائد (ص ١١٤)

الصبر عن الشهوة أسهل من ألم عقوبتها

الصبر عن الشهوة أسهل من الصبر على ما توجبه الشهوة، فإنها إما إن توجب ألماً وعقوبة، وإما أن تقطع لذة أكمل منها، وإما أن تضيع وقتاً إضاعته حسرة وندامة، وإما أن تلثم عرضاً توفيره أنفع للعبد من ثلمه، وإما أن تذهب مالاً بقاؤه خير له من ذهابه، وإما أن تضع قدراً وجاهاً قيامه خير من وضعه، وإما أن تسلب نعمة بقاؤها ألذ وأطيب من قضاء الشهوة، وإما أن تطرق لوضيع إليك طريقاً لم يك يجدها قبل ذلك، وإما أن تجلب هماً وغماً وحزناً وخوفاً لا يقارب لذة الشهوة، وإما أن تنسي علماً ذكره ألذ من نيل الشهوة، وإما أن تشمت عدواً وتحزن ولياً، وإما أن تقطع الطريق على نعمة مقبلة، وإما أن تحدث عيباً يبقى صفة لا تزول، فإن الأعمال تورث الصفات والأخلاق.

الفوائد (ص ١١٤)

سبحان الله

في النفس كبر إبليس، وحسد قابيل، وعتوُّ عاد، وطغيان ثمود، وجرأة نمرود، واستطالة فرعون، وبغي قارون، وقحّة هامان (أي لؤم)، وهوى بلعام (عرّاف أرسله ملك ليلعن بني إسرائيل فبارك ولم يلعنهم)، وحيل أصحاب السبت، وتمرّد الوليد، وجهل أبي جهل.
وفيها من أخلاق البهائم حرص الغراب، وشره الكلب، ورعونة الطاووس، ودناءة الجعل، وعقوق الضب، وحقد الجمل، ووثوب الفهد، وصولة الأسد، وفسق الفأرة، وخبث الحية، وعبث القرد، وجمع النملة، ومكر الثعلب، وخفة الفراش، ونوم الضبع.

الفوائد (ص ١١٤)

اسأل الله

العجب ممن تعرض له حاجة فيصرف رغبته وهمته فيها إلى الله ليقضيها له، ولا يتصدى للسؤال لحياة قلبه من موت الجهل والإعراض وشفائه من داء الشهوات والشبهات، ولكن إذا مات القلب لم يشعر بمعصيته.

الفوائد

عشق الله

وإذا لم يكن من العشق بد فمن العجز عشق غير الجميل

الفوائد

خليفة الله

يا من هو من أرباب الخبرة، هل عرفت قيمة نفسك؟ إنما خلقت الأكوان كلها لك.

الفوائد

نسيان الحبيب

لو صحّت محبتك لاستوحشت ممن لا يذكرك بالحبيب. واعجباً لمن يدعي المحبة، ويحتاج إلى من يذكره بمحبوبه، فلا يذكره إلا بمذكر. أقل ما في المحبة أنها لا تنسيك تذكر المحبوب.

الفوائد

مسّني الضر

فائدة قوله تعالى: ﴿وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ الأنبياء 83. جمع في هذا الدعاء بين حقيقة التوحيد وإظهار الفقر والفاقة إلى ربه، و وجود طعم المحبة في التملق له والإقرار له بصفة الرحمة وأنه أرحم الراحمين، والتوسل إليه بصفاته سبحانه وشدة حاجته وهو فقره، ومتى وجد المبتلى هذا كشف عنه بلواه، وقد جرب أنه من قالها سبع مرات ولاسيما مع هذه المعرفة كشف الله ضره.

الفوائد

مرض القلب

القلب يمرض كما يمرض البدن، وشفاؤه في التوبة والحمية، ويصدأ كما تصدأ المرآة وجلاؤه بالذكر، ويعرى كما يعرى الجسم، وزينته التقوى، ويجوع ويظمأ كما يجوع البدن، وطعامه وشرابه المعرفة والمحبة والتوكل والإنابة والخدمة.

الفوائد

كتاب: مدارج السالكين

المؤلف: ابن قيم الجوزية-

نبذة عن الكتاب:

حاول المؤلف في هذا الكتاب أن يغسل ما حوت بعض الكتب التي انحرفت في شرح التزكية والتصوف، وحاول جعله منارا للرشد ودليلاً لصراط الله المستقيم بشرح متن منازل السائرين و تبسيطه، وردّ أخطاء و أوضح أوهاماً و شطحات وقع فيها الهروي فاستطرد في رده و توضيحه مع كثير من المخاطبات القلبية ذات القيم التربوية .

بدأ المؤلف الكلام على فاتحة الكتاب كلاماً بديعاً نفيساً وتكلم عن العبودية ، ثم الكتاب عبارة عن فصول عديدة و منازل للعبودية .

ميت الأحياء

قال عبد الله بن مسعود : أتدرون من ميت القلب؟ الذي قيل فيه : ليس من مات فاستراح بميت إنما الميْت ميّت الأحياء قالوا: و من هو ؟ قال : الذي لا يأمر معروفاً و لا ينكر منكراً.

المدارج (ج ٣ ص ٢٦٤)

السكون في الصلاة

قال ابن المبارك عن ابن لهيعة : حدثني يزيد بن أبي حبيب : أن أبا الخيرا خبّره قال : سألنا عقبة بن عامر عن قوله تعالى : ﴿ الذين هم على صلاتهم دائمون ﴾ (المعارج:23)

أهم الذين يصلون دائماً ؟ قال : لا ، ولكنه إذا صلى لم يلتفت عن يمينه ولا عن شماله ولا خلفه .

المدارج (ج ٢ ص ٣٨٦)

العلم

يقول سهل بن عبد الله التستري :
العلم كله باب من التعبد ، و التعبد كله باب من الورع، والورع كله باب من الزهد، والزهد كله باب التوكل .

المدارج (٢ / ١٣٩)

الخشوع في الصلاة

قال بعض الصحابة :
لأن تختلف فيّ الأسِنّة -كثرة الطعن من الرماح- ، أحب إليّ من أن أحدث نفسي في الصلاة بغير ما أنا فيه .

المدارج (ج ٣ ص ٤٢٤)

التزام الأدب

قال بعضهم : الزم الأدب ظاهراً و باطناً ، فما أساء أحد الأدب في الظاهر إلا عوقب ظاهراً، وما أساء أحد الأدب باطناً إلا عوقب باطناً.

المدارج (ج ٣ ص ٣٨١)

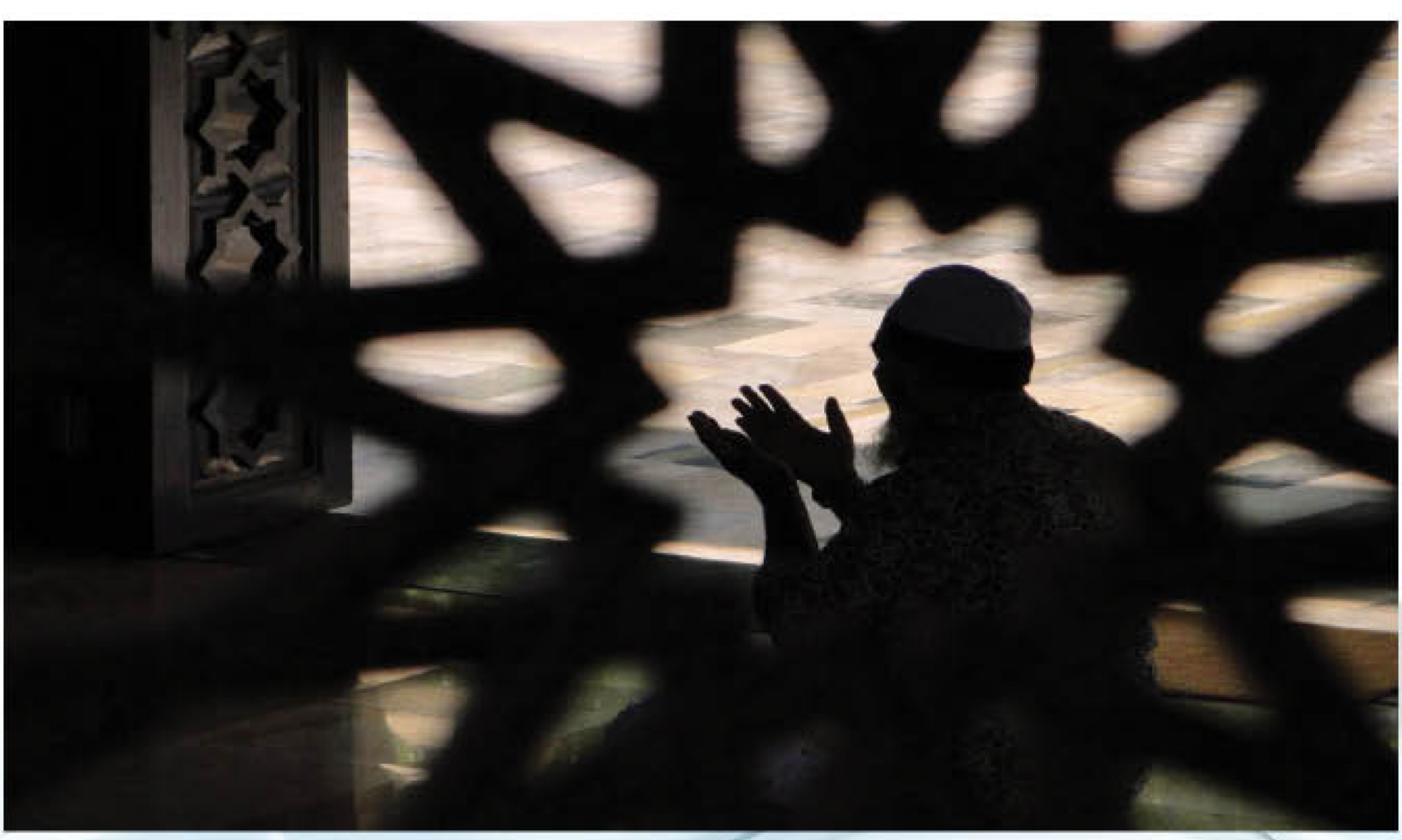

كتاب: ترتيب المدارك وتقريب المسالك

المؤلف: القاضي عياض

نبذة عن الكتاب: «ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك»

يُعَدُّ أكبر موسوعة تتناول ترجمة رجال المذهب المالكي ورواة «الموطأ» وعلمائه، وقد استهلَّ الكتاب ببيان فضل علم أهل المدينة، ودافع عن نظرية المالكية في الأخذ بعمل أهل المدينة، باعتباره عندهم من أصول التشريع، وحاول ترجيح مذهبه على سائر المذاهب، ثم شرع في الترجمة للإمام مالك وأصحابه وتلاميذه، وهو يعتمد في كتابه على نظام الطبقات دون اعتبار للترتيب الألفبائي، حيث أورد بعد ترجمة الإمام مالك ترجمة أصحابه، ثم أتباعهم طبقة طبقة حتى وصل إلى شيوخه الذين عاصرهم وتلقى على أيديهم.

والتزم في طبقاته التوزيع الجغرافي لمن يترجم لهم، وخصص لكل بلد عنوانًا يدرج تحته علماءه من المالكية؛ فخصص للمدينة ومصر والشام والعراق عناوين خاصة بها، وإن كان ملتزماً بنظام الطبقات.

من الكتب الرائعة التي وجدنا في أحشائها شيئا من الرقائق والحكم، فنورد لكم ما استطعنا استخلاصه منه.

التقوى

قال القاسم بن سلام :

دخلت البصرة لأسمع من حماد بن زيد ، فإذا هو ميت ، فشكوت ذلك إلى ابن مهدي فقال :

مهما سُبِقْتَ فلا تسبقن بتقوى الله.

ترتيب المدارك ١ / ٤٠٣

المدح المذموم

في قوله صلى الله عليه وسلم :

(احثوا التراب في وجوه المداحين).

قال ابن عباس: إنما ذلك إذا مدح الرجل في وجهه بما ليس فيه، وإلا فواجب مدح الرجل في وجهه بما يجري من حسن أفعاله .

ترتيب المدارك (ج ٣ ص ٣٦٩)

الخشوع في الصلاة

يحيى بن أزهر أبو عبد الله - مولى قريش : كان من تلامذته الإمام مالك

و قال عبد الرحمن بن القاسم ، كان العباد يأتون يحيي فينظرون صلاته لحسنها .

ترتيب المدارك (ج ١ ص ٣١٥)

الحرص على العلم

ذكر أبو محمد عبد الله بن إسحاق أنه قال : كنت أول ابتدائي أدرس الليل كله، فكانت أمي تنهاني عن القراءة بالليل. فكنت آخذ المصباح فأجعله تحت الجفنة، و أتعمد النوم فإذا رقدت أخرجت المصباح و أقبلت على الدرس، إلى أن قال لي أبي ذات يوم: يا بني ما يكون منك، لا تعرف صنعة. و اشتغلت بالعلم ولا شيء عندك، فلما كانت ذات ليلة سمعته يقول لوالدتي: عرفت أني عُرفْتُ اليوم بابني! ، وذلك أني حضرت أمَلاكاً في مسجد (سماه) فوجدته ممتلئاً بالناس، و لم أجد مجلساً فقام لي رجل من موضعه وأجلسني فيه، فسأله إنسان عني فقال له: اسكت ، هذا والد الشيخ أبي محمد، و قال آخر: خرج والدي محمد يوماً من مسجد المسند فزلق في طين فبادر رجل و أخذ بيده و قال لصاحبه هذا والد الشيخ أبي محمد.

ترتيب المدارك (ج ٤ ص ٥٨٩)

طلب العلم

قال أحمد بن حنبل :

لم يكن في زمن ابن المبارك أحد أكثر طلباً للعلم منه، دخل اليمن ومصر والشام والحجاز والبصرة والكوفة، وكان من رواة العلم وكان أهلا لذلك، وكتب عن الصغار والكبار.

ترتيب المدارك (١ / ٣٠٢)

صفة المؤمن

قال علي ابن أبي طالب :

المؤمن حسن المعونة .. قليل المؤونة ..

ترتيب المدارك (ج ١ ص ٥١١)

العمل العمل

قال أبوبكر الأبهري: دخلت جامع طرسوس وجلست لسارية من سواريه ، فجاءني رجل ، فقال لي : إن كنت تقرأ فهذه حلقة القرآن، وإن كنت مقرئاً فاجلس يقرأ عليك ، وإن كنت فقيهاً فاجلس يحلق إليك، وإن كنت متفقهاً فهذه مجالس الفقه قم إليها، فإن أحداً لا يجلس في جامعنا دون شغل .

ترتيب المدارك (ج ٤ ص ٤٧٢)

طلب الهمة العالية

من كان بالليل نائماً، وبالنهار هائماً، فمتى ينال الغنائم !

ترتيب المدارك ج ٢ ص ٢٦٠

زهد وورع

قيل للشافعي : كيف أصبحت ؟

فقال : كيف أصبح من يطلبه الله بالقرآن و النبي (صلى الله عليه وسلم) بالسنة ، والحفظة بما ينطق، والشيطان بالمعاصي، والدهر بصروفه، والنفس بشهواتها، والعيال بالقوت، وملك الموت بقبض روحه!

ترتيب المدارك (ج١ ص ٣٩٤)

كتاب: حياة الصحابة (رضي الله عنهم)

المؤلف: الكاندهلوي

نبذة عن الكتاب:

كتاب تعرض فيه المؤلف لمجمل الفترة التي عاشها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوة الرسول صلى الله عليه وسلم أولاً لهم ثم انطلاقهم بعد ذلك للدعوة وحبهم لهذا العمل، وهجرتهم، وجهادهم، وصبرهم، وانفاقهم، وايثارهم وغير ذلك من صفاتهم الحميدة من خلال روايات مسندة أوردها المصنف في كتابه.

الغيرة المطلوبة

عن علي رضي الله عنه :
الغيرة غيرتان : حسنة جميلة يصلح بها الرجل أهله ، و غيرة تدخله النار .

حياة الصحابة (ج ٣ ص ٢٨٦)

صلاة عبدالله ابن الزبير

وأخرج ابن سعد عن عبد الله بن الزبير (رضي الله) عنهما :
أنه كان يقوم في الصلاة كأنه عود، وقال ثابت البناني: «كنت أمر بابن الزبير، وهو خلف المقام يصلي كأنه خشبة منصوبة لا تتحرك". وروى يوسف بن الماجشون عن الثقة بسنده، قال: "قسَّم ابن الزبير الدهر على ثلاث ليال، فليلة هو قائم يصلي حتى الصباح، وليلة هو راكع حتى الصباح، وليلة هو ساجد حتى الصباح". وعن مسلم بن ينَّاف قال: ركع ابن الزبير يوماً ركعة فقرأنا بالبقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، وما رفع رأسه.

حياة الصحابة (ج ٣ ص ١٣٧)

و أخرج ابن العساكر عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال :
ما جاء وقت الصلاة قط إلا وقد أخذت لها أهبتها، و ما جاءت إلا و أنا إليها بالأشواق.

حياة الصحابة (ج ٣ ص ٩٧)

الغيرة على العرض

عن علي رضي الله عنه قال :
بلغني عن نسائكم أنهن يزاحمن العلوج في الأسواق، ألا تغارون ؟ من لم يغر فلا خير فيه.
(العلوج : جمع علج و هو الواحد من كفار العجم).

حياة الصحابة (ج ٣ ص ٢٨٦)

و أخرج أبو نعيم في الحلية عن أسماء بنت أبي بكر عنها قالت :
كان عبدالله بن الزبير قوّام الليل صوّام النهار، وكان يسمى : حَمَام المسجد.

حياة الصحابة (ج ٣ ص ٩٧)

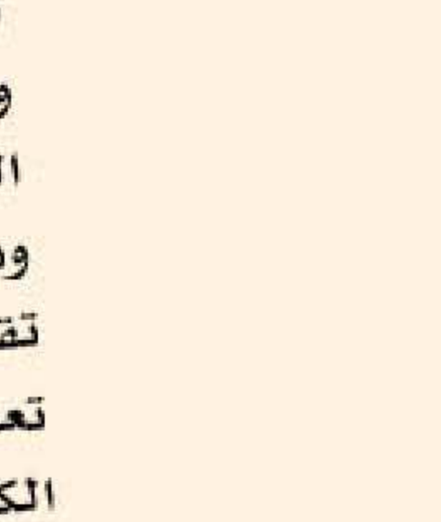

كتاب: سير أعلام النبلاء
المؤلف: الإمام الذهبي

نبذة عن الكتاب: هو كتاب تراجم عام اختصره المؤلف من كتابه الكبير « تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام » المعروف « بتاريخ الإسلام ».

والكتاب مرتب على التراجم بحسب الوفيات ابتداء من الصحابة إلى نهاية القرن السابع الهجري ، وأفرد الجزء الأول والثاني للسيرة النبوية وسير الخلفاء الراشدين ، ولم يضعهما في كتابه « سير أعلام النبلاء » ، وإنما أحال بهما على كتابه « تاريخ الإسلام» ، وجاء الناسخ ابن طوفان فلم يستنسخ المجلدين الأول والثاني، وبدأ الجزء الأول من « سير أعلام النبلاء » بترجمة العشرة المبشرين بالجنة .

ونظم المؤلف كتابه على الطبقات ، فجعله في أربعين طبقة تقريباً ، على أسلوب كتب التراجم الإسلامية ، وأن كل طبقة تعني جيلاً كاملاً ، وجاءت وفيات التراجم للطبقة الواحدة في الكتاب متداخلة بين طبقة وأخرى ، مع التباين الكبير في المدة الزمنية التي تستغرقها كل طبقة.

وهو من أهم الكتب التي استندنا عليها مرجعاً في كتابنا هذا.

القناعة

قال الزبير بن عبد الواحد :
سمعت بناناً يقول : الحر عبد ما طمع، والعبد حر ما قنع .

أنهار الجنة

قال رسول الله صلى الله و عليه وسلم: في الجنة بحر الماء، وبحر اللبن، وبحر الخمر، وبحر العسل، ثم تتفجر الأنهار.

سير أعلام النبلاء (ج ٨ ص ٢٧٩)

خلق أبي عبيدة

قال رسول الله ﷺ:
ما منكم من أحد إلا لو شئت لأخذت عليه بعض خلقه إلا أبا عبيدة.
أخرجه الحاكم و قال : مرسل غريب و رواته ثقات

سير أعلام النبلاء (ج ١ ص ١٣)

محاسبة النفس

قال ليث بن أبي سليم :
دخلت على أبي جعفر محمد بن علي وهو يذكر ذنوبه وما يقول الناس فيه فبكى .

سير أعلام النبلاء (٤ / ٤٠٥)

دعاء

كان دعاء علي بن الحسين :
اللهم لا تكلني إلى نفسي فأعجز عنها، و لا تكلني إلى المخلوقين فيضيعوني

سير أعلام النبلاء (٤ / ٣٩٦)

الاعتصام عند الفتنة

سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٢١٠

قال أبو خلدة : قال أبو العالية : لما كان زمان علي ومعاوية وإني لشاب، القتال أحب إلي من الطعام الطيب، فتجهزت بجهاز حسن حتى أتيتهم، فإذا صفان ما يرى طرفاهما، إذا كبر هؤلاء كبر هؤلاء ، و إذا هلل هؤلاء هلل هؤلاء ، فراجعت نفسي فقلت أي الفريقين أنزله كافراً ؟ و من أكرهني على هذا ؟ قال فما أمسيت حتى رجعت و تركتهم .

حفظ العلم

قال يحيي بن معين : قال هشام بن يوسف :
أقام معمر عندنا عشرين سنة ما رأينا له كتاباً : يعني كان يحدثهم من حفظه .

سير أعلام النبلاء (ج ٧ ص ٨)

حكمة

كان الربيع بن خثيم إذا قيل له: كيف أصبحتم؟ قال: ضعفاء مذنبين نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا.

سير أعلام النبلاء (ج ١ / ٣٥٩)

حب الله

و أن عتبة قال :
من عرف الله أحبه، و من أحبه أطاعه.

سير أعلام النبلاء (ج ٧ ص ٦٣)

صدق العبادة

عن سعيد بن مسروق قال : قال عبد الله بن مسعود للربيع بن خثيم : لو رآك رسول الله صلى الله عليه و سلم لأحبك

سير أعلام النبلاء (ج ١ / ٣٥٩)

خبث الشيطان

سير أعلام النبلاء (ج ٤ ص ٧٥)

قال الحارث بن عيس:
إذا كنت في صلاة فقال لك الشيطان: إنك ترائي فزدها طولاً .

قيل لحاتم الأصم :

على ما بنيت أمرك في التوكل؟ قال: على أربع خصال : علمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأنت به نفسي، و علمت أن عملي لا يعمله غيري فأنا مشغول به، و علمت أن الموت يأتي بغتة فأبادره، وعلمت أني لا أخلو من عين الله فأنا مستحٍ منه .

سير أعلام النبلاء (ج ١١ ص ٤٨٥)

الذكر

كان عبد الله بن هجير يقول :

اللهم إني أسألك ذكراً خاملاً.

سير أعلام النبلاء (٤ / ٤٩٦)

كفى بالمرء

كان مسروق بن الأجدع يقول :
كفى بالمرء علماً أن يخشى الله تعالى، وكفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعمله .

سير أعلام النبلاء (ج ٤ ص ٦٥)

زهد

قيل عن (عتبة الغلام) نازعته نفسه لحماً ، فماطلها سبع سنين .

سيرة أعلام النبلاء (ج ٧ ص ٦٢)

أخذ النفس بالتهمة

قال رياح القيسي :
بات عندي عتبة الغلام فسمعته يقول في سجوده : اللهم احشر عتبة من حواصل الطير و بطون السباع .

سير أعلام النبلاء (ج ٧ ص ٦٢)

المؤمن و المنافق

قال الإمام الأوزاعي:
إن المؤمن يقول قليلاً ويعمل كثيراً، وإن المنافق يتكلم كثيراً ويعمل قليلاً .

سير أعلام النبلاء (ج ٧ ص ١٢٠)

ذكر الموت

كان سعيد بن جبير يقول :
لو فارق ذكر الموت قلبي لخشيت أن يفسد علي قلبي.

سير أعلام النبلاء (ج ٤ ص ٣٣٤)

حب الله

كان هرم بن حيان يقول :
مـا أقبــل عبد بقلبه إلـى الله إلا أقبل الله بقلوب المؤمنيـن إليه حتى يرزقه ودهم.

سير أعلام النبلاء (ج ٤ ص ٤٩)

دوام المراقبة

قال هشام الداستوائي :
عجبت للعالم كيف يضحك !
وكان يقول: ليتنا ننجو لا علينا ولا لنا

سيلا أعلام النبلاء (ص ١٥٢)

ذل وعز

قال عروة بن الزبير :
رب كلمـة ذل احتملتها أورثتني عزاً طويلاً.

سير أعلام النبلاء (ج ٤ ص ٤٣٦)

حرص طلبة العلم على العلم

قال مرة لرجل عليه ثياب جيدة :
ليس هذا من آلة طلب الحديث، -وكان طالب حديث- .

سير أعلام النبلاء (ج ٧ ص ١٦٥)

الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر

قال شجاع بن الوليد :
كنت أحج مع سفيان فما يكاد لسانه يفتر من الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ذاهباً وراجعاً.

سير أعلام النبلاء (ج ٧ ص ٢٥٩)

وزن العلماء

قال الذهبي رحمة الله :
نعوذ بالله من التهور في وزن العلماء.

سير أعلام النبلاء (ج ٧ ص ٤٧)

خشية غير الله

قال أبو العيناء:
لما حج المهدي ، دخل مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فلم يبق أحد إلا قام إلا ابن أبي ذئب. فقال له المسيب بن زهير : قم، هذا أمير المؤمنين ، فقال : إنما يقوم الناس لرب العالمين ، فقال المهدي: دعه فلقد قامت كل شعرة من رأسي !

سير أعلام النبلاء (ج ٧ ص ١٤٣)

الخوف

عافية بن يزيد
قيل: سبب تركه القضاء أنه في حكم فأهدى له الخصم رطبا فرده وزجره، فلما حكم خصمه من الغد، قال عافية: لم يستويا في قلبي .. ثم حكاها للخليفة و قال : هذا حالي و ما قبلت، فكيف لو قبلت! قال: فأعفاه.

سير أعلام النبلاء (ج ٧ ص ٣٩٩)

قال شقيق بن إبراهيم:
قلت لإبراهيم بن أدهم : تركت خراسان ؟ قال : ما هنأت بالعيش إلا بالشام ، أفر بديني من شاهق إلى شاهق فمن رآني يقول : موسوس، و من رآني يقول : جمال.
يا شقيق : ما نبل عندنا من نبل بالجهاد و لا بالحج، بل كان بعقل ما يدخل بطنه.

سير أعلام النبلاء (ج ٧ ص ٣٩٠)

حكم بالغة (لا تشمت بإنسان قط)

محمد بن واسع ... القدوة : توفي سنة 123 هـ
لو كان للذنوب ريح ما جلس إلي أحد، فاللهم يا ستير استر علينا ولا تفضحنا (نحن قوم مستورون).
و قال لرجل : هل أبكاك قط سابق علم الله فيك ؟
و قال : إذا أقبل العبد بقلبه على الله أقبل الله بقلوب العباد عليه .
و قال : يكفي من الدعاء مع الورع يسير العمل.

سير أعلام النبلاء (ج ٦ ص ١٢٠ - ١٢١)

الرخص

سليمان التيمي :
يقول : لو أخذت برخصة كل عالم ، اجتمع فيك الشر كله .

سير أعلام النبلاء (ج ٦ ص ١٩٨)

مذلة

سليمان التيمي
يقول : إن الرجل ليذنب ، فيصبح وعليه مذلة .

سير أعلام النبلاء (ج ٦ ص ٢٠٠)

المحاسبة

أبو الدرداء
قال: لن تكون عالماً حتى تكون متعلماً، ولا تكون متعلماً حتى تكون بما علمت عاملاً، إن أخوف ما أخاف إذا وقفت للحساب أن يقال لي: ما عملت فيما علمت ؟

سير أعلام النبلاء (ج٢ ص ٣٤٧)

كن أحد رجلين

سعيد بن عبد العزيز :
سمعت سعيد بن عبد العزيز يقول : لا خير في الحياة إلا لأحد رجلين : صموت واع، وناطق عارف.

سير أعلام النبلاء (ج٨ ص ٣٦)

محمد بن واسع

لما صاف قتيبة بن مسلم للترك ، و هاله أمرهم سأل عن محمد بن واسع فقيل : هو ذاك في الميمنة جابح على قوسه يبصبص بأصبعه نحو السماء قائلاً : تلك الأصابع أحب إليّ من مئة ألف سيف شهير و شاب طرير .
و قال : ذل الدنيا خير من ذل الآخرة.
و قال : إن الذكر إذا خرج من القلب وقع على القلب.

سير أعلام النبلاء (ج ٦ ص ١٢١ – ١٢٢)

سنن متقابلة

سعيد بن عبد العزيز
حدثني سعيد بن عبد العزيز قال : من أحسن فليرج الثواب، و من أساء فلا يستنكر الجزاء، يريد: من اخذ عزاً بغير حق ، أورثه الله ذلاً بحق ، و من جمع مالاً بظلم، أورثة الله فقراً بغير ظلم .

سير أعلام النبلاء (ج ٨ ص ٣٦)

الصدقة

أحمد بن الخصيب :
عن الحسن بن يحيى : أن ابن الخصيب كان يتصدق كل يوم بخمسين ديناراً، فلما نكب بقي يتصدق بخمسين درهماً و يقلل من نفقة نفسه .

سير أعلام النبلاء (ج ١٢ ص ٥٥٣)

حكمة

علوان بن الحسين: سمعت عبد الله بن أحمد، قال : سئل أبي : لم لا تصحب الناس ؟ قال : لوحشة الفراق.

سير أعلام النبلاء ج ص٣١٩

لا أنقض نيتي

حكى وراق الإمام البخاري رحمه الله :
أنه حُمل إليه بضاعة أنفذها إليه أبو حفص ، فاجتمع إليه بالعشية وطلبوها -عرضوا شراءها- منه بربح خمسة آلاف درهم، فقال: انصرفوا الليلة، فجاء من الغد تجار آخرون فطلبوا منه البضاعة بربح عشرة آلاف درهم، فقال: إني نويت البارحة أن أدفعها -أبيعها- إلى الأولين بربح خمسة آلاف درهم، فدفعها إليهم، وقال: لا أحب أن أنقض نيتي.

سير أعلام النبلاء (ج ٣ ص ٦٣)

صفاء النفس

عن عبد الله بن محمد الوراق قال: كنت في مجلس أحمد بن حنبل ، فقال: من أين أقبلتم ؟ قلنا: من مجلس أبي كريب، فقال: اكتبوا عنه، فإنه شيخ صالح، فقلنا: إنه يطعن عليك. قال: فأي شيء حيلتي، شيخ صالح قد بلي بي .

سير أعلام النبلاء ج ص٣١٧

كتاب: طبقات الحنابلة

المؤلف: أبو يعلى الحنبلي

نبذة عن الكتاب: لقد كانت طبقات المذاهب الفقهية إحدى اهتمامات العلماء في تصنيف الطبقات، وقد جمع ابن أبي يعلي الفراء في كتابه طبقات الفقهاء المعروف بطبقات الحنابلة تراجم رجال المذهب الحنبلي إلى عصره(القرن3هـ/9م : منتصف6هـ/12م)، فكان كتابه أشهر كتاب في موضوعه.

ولقد اكتفى ابن أبي يعلى بإشارة وجيزة في صدر كتابه إلى موضوع كتابه فقال:

(هذا كتاب استخرنا الله تعالى في تأليفه وسألناه المعونة على تصنيفه، وسطرنا فيه ما انتهى إلينا من أخبار شيوخنا أصحاب إمامنا الإمام الأفضل أبي عبد الله)،

حفل كتاب طبقات الحنابلة بالمعلومات الغزيرة والفوائد المهمة التي عني المؤلف بإيرادها، و مما ورد آراء وأقوال للشخصيات التي تعرض لها بالترجمة.

المعاصي

قال ابن سمعون :

رأيت في المعاصي نذالة ، فتركتها مروءة فاستحالت ديانة.

طبقات الحنابلة (ج ٢ ص ١٥٦)

الأدب مع الشيخ

يقول أحمد بن حنبل :

ستة أدعو لهم سحراً، وأحدهم : الشافعي .

طبقات لحنابلة

القرآن الكريم

قال ابن عباس :

لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، فإن ذلك يوقع الشك في قلوبكم ..

طبقات الحنابلة (١ / ٧١)

في نتيجة العلم و الجهل

قال عبد الله بن مسعود :
كفى بخشية الله علماً،
و كفى بالاغترار بالله جهلاً.

طبقات الحنابلة (٢ / ١٤٩)

الأدب مع الشيخ الشافعي:

قال أحمد بن حنبل :
ما استفاد منا أكثر مما استفدنا منه .

طبقات الحنابلة (١ / ٢٨٢)

من حكم الخليل بن أحمد

حكي عن الأحنف بن قيس أنه قال: ما عاداني أحد قط إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث خصال:
إن كان أعلى منّي عرفت له قدره، وإن كان دوني رفعت قدري عنه، وإن كان نظيري تفضلت عليه.
فأخذه الخليل فنظمه شعرا فقال:
سألزم نفسي الصفح عن كلّ مذنب
وإن كثرت منه إليّ الجرائم
وما الناس إلا واحد من ثلاثة
شريف ومشروف ومِثْل مقاوم
فأما الذي فوقي فأعرف قدره
وأتبع فيه الحقّ والحق لازم
وأما الذي دوني فأحلم راضياً
أصون به عرضي وإن لام لائم
وأما الذي مثلي فإن زلّ أو هفا
تَفضّلتُ إنّ الفضل بالفخر حاكم

طبقات الحنابلة

الحب في الله

قال المروزي :
قيل لأبي عبد الله : ما الحب في الله؟ قال :
هو أن لا تحبه لطمع في دنياه.

طبقات الحنابلة ١ / ٥٧

صلاة الجماعة

كان الحافظ أبو سعيد العلائي يقول :
رحم الله شيخنا القاضي تقي الدين سليمان سمعته يقول :
لم أصل الفريضة قط منفرداً إلا مرتين، وكأني لم أصلها قط.

طبقات الحنابلة (ج ١ ص ٣٦٥)

كتاب: مناقب الإمام أحمد

المؤلف: ابن الجوزي

نبذة عن الكتاب: كتاب رائع ، كعادة كتب ابن الجوزي في المناقب ، يروي فيها ويحلل سيرة الإمام أحمد بن حنبل، والتي هي أكثر من أن توصف بحياة عالم زاهد عابد مجاهد.

بادر إلى الخير

حدث محمد بن نصير العابد قال سمعت أحمد بن حنبل يقول : كل شيء من الخير بادر فيه، قال: شاورته في الخروج إلى الثغر فقال: بادر بادر.

مناقب الإمام أحمد (ص ١٩٦)

العلم الأدب

حدث الحسن بن اسماعيل يقول سمعت أبي يقول : كان يجتمع في مجلس أحمد زهاء خمسة آلاف أو يزيدون ، أقل من خمسمائة يكتبون ، والباقون يتعلمون منه حسن الأدب و حسن السمت .

مناقب الإمام أحمد (ص ٢١٠)

اخشوشنوا

مناقب الإمام أحمد (ص ٢٤٢)

حدث عبد الله بن أحمد قال : كنت جالسا عند أبي يوماً، فنظر إلى رجلي وهما لينتان ليس فيهما شقاق، فقال لي : ما هذه الرجلان : لم لا تمشي حافياً حتى تصير رجلاك خشنتين ؟

طلب العلم حتى الموت

يقول محمد البغوي :
سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول :
أنا أطلب العلم إلى أن أدخل القبر.

مناقب الإمام أحمد (ص ٣١)

الأدب في النصيحة

حدث هارون بن عبد الله الحمّال قال : جاءني أحمد بن حنبل بالليل ، فدق الباب علي، فقلت: من هذا ؟ فقال: أنا أحمد ، فبادرت إليه فمساني و مسيته، فقلت: حاجة يا أبا عبد الله ؟ قال: نعم، شغلت اليوم قلبي. قلت بماذا يا أباعبد الله ؟ قال: جُزْتُ -مررت- عليك وأنت قاعد تحدث الناس في الفيء - في الظل-، والناس في الشمس بأيديهم الأقلام و الدفاتر، فلا تفعل مرة أخرى، إذا قعدت فاقعد مع الناس.

مناقب الإمام أحمد (ص ٢٢٠)

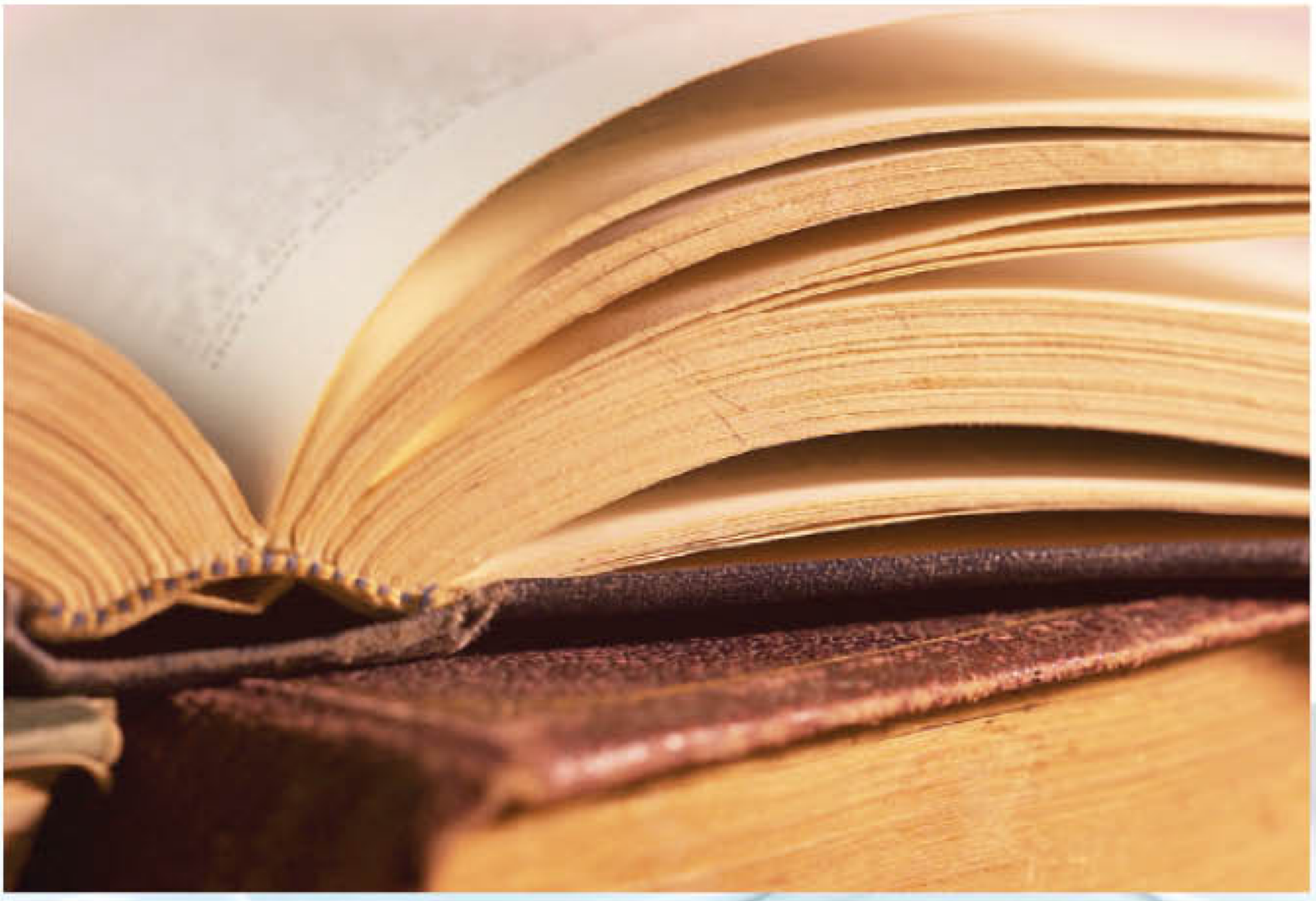

كتاب: العوائق

المؤلف: أ.محمد أحمد الراشد.

نبذة عن الكتاب: ثاني كتب إحياء فقه الدعوة ، يعطي وردة حمراء للداعية من بعد انطلاقته، ويحذره من عوائق الطريق ، معانيه متجددة ، كتجدد حركة الداعية بدعوته، ويغذي روح الداعية كلما خملت ، بأسلوب ساحر متوقد بالعمل.

خوارم المروءة

قال الحافظ ابن حجر :

ألحق بعض الحنفية بأهل المعاصي من يتعاطى خوارم المروءة، ككثرة المزاح واللهو، وفحش القول والجلوس في الأسواق لرؤية من يمر من النساء ونحو ذلك .

العوائق (ص ٢٧٦ – ٢٧٧)

الحسنة والسيئة

قال سعيد بن جبير : إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، وإن من عقوبة السيئة السيئة بعدها .

العوائق (ص ٢٥١)

حمل القلب على استقباح الفتن

قال عبد الواحد :

قلت للحسن : يا أبا سعيد : أخبرني عن رجل لم يشهد فتنة ابن المهلب ، إلا أنه عاون بلسانه ورضي بقلبه . قال : يا ابن أخي : كم يد عَقَرَت الناقةَ ؟ قلت : يد واحدة . قال : أليس قد هلك القوم جميعاً برضاهم و تعالَيهم ؟ !

العوائق (ص ٢٠٠)

الفراغ و حب الرئاسة

يقول محمد أحمد الراشد :

طور عمر بن عبد العزيز نظرية أستاذه، فجعل ابتداء التربية ينطلق من معالجة أعقد عقدتين في الجماعات: عقدة الفراغ، وعقدة حب الرئاسة و التنازع عليها .

العوائق (ص ٨٥)

إنكار الفتن كلها

يقول محمد أحمد الراشد :

فإن المرء مطالب بأن ينكر قلبه كل أنواع الفتن، وأن يستشعر عيبها ، ولو لم يدخل طرفاً فيها، فإن الاستحسان يوشك أن يغري صاحبه بالولوج.

العوائق (ص ١٩٨)

من أخلاق الجاهلية

قال ابن حجر :

كل معصية تؤخذ من ترك واجب أو فعل محرم فهي من أخلاق الجاهلية .

العوائق (ص ١٨٩)

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة ... إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية .

العوائق (ص ١٨٨)

صفة الداعية :

قال الشاعر:

ضحوك السن إن نطقوا بخيرِ

وعند الشر مِطْراقٌ عَبوس

العوائق (١٦٤)

غرور الفقيه يمنع تأميره !

قال عمر بن عبد العزيز لأبي عبيد المذحجي :

هذه الطريق إلى فلسطين، وأنت من أهلها فالحق بها. فقيل له : يا أمير المؤمنين : لو رأيت أبا عبيد، وتشميره خير !! فقال : ذاك أحق أن لا نفتنه, كانت فيه أبهة للعامة.

العوائق (ص ٢٩٧)

ضرور الفراغ

قال أبو العتاهية :
ما أحسن الشغل في تدبير منفعة .... أهل الفراغ ذوو خوض وارجاف

العوائق (ص ٨٦)

الحرص على محبة المؤمنين

يقول محمد أحمد الراشد :
مما يحرص عليه المؤمن العاقل أن يكثر من يحبه من المؤمنين و يديم محبتهم له حتى ساعة موته، ليصلوا على جنازته فيقولوا :
اللهم اغفر لحينا و ميتنا ، اللهم اغفر لنا وله .

العوائق (ص ٢٧٤)

المحبوس والمأسور

قال ابن تيمية :
المحبوس من حبس قلبه عن ربه, والمأسور من أسره هواه.

العوائق (ص ٦٢)

مكافأة

قال الزاهد عمر بن ذر رحمه الله :
إنا لا نكافئ من عصى الله فينا، بأكثر من أن نطيع الله فيه .

العوائق (ص ٢٢٣)

الأخوات

قال عروة بن الزبير بن العوام :
إذا رأيت الرجل يعمل السيئة فاعلم أن لها عنده أخوات ... وإذا رأيته يعمل الحسنة فاعلم أن لها عنده أخوات .

العوائق (ص ٢٥١)

دوام ذكر الله

يقول محمد أحمد الراشد :

من وجد في نفسه بقية شوق إلى تحريك اللسان فدونه القرآن، ومزيد التسبيح والحمد، و دونه مجالس الواهمين الدنيويين ، يصدع فيها بحق الإسلام ما شاء .

العوائق (ص ١٦٩)

الانتصار للفتنة عبودية للدنيا

يقول محمد أحمد الراشد :

ولا ينتصب أحد لفتنة من بعد ستر، ولا يكسل كسلان فينقطع ويترك ويستبدل أصحاباً بأصحاب، إلا لنقص معنى الحرية فيه، وإلا لتقمصه بعض أثواب عبودية الدنيا.

العوائق (ص ١١)

حب الرئاسة

قال شداد بن أوس :

يا بقايا العرب : إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء، والشهوة الخفية

قيل لأبي داود السجستاني : ما الشهوة الخفية ؟

قال : حب الرياسة.

العوائق (ص ٢١٣)

يقول محمد أحمد الراشد

إن كلمة (الخرق) لا تحمل في السفينة معناها الأرضي بل معناها البحري، فهناك لفظة أصغر خرق ليس لها إلا معنى (أوسع قبر) في قاع المحيط المظلم لو ترك هذا الخرق الصغير و شأنه.

العوائق (ص ٢١١)

الإمـارة

يقول عبد الله بن مسعود :
نفس تنجيهـا خير من إمارة لا تحصيها.

العوائق (ص ٢٤٩)

قل لتارك الجماعة :

فاحفـظ مصلحتـك وتواضـع، وامـش مـع القافلـة تحفظ لك حقك ما دمت حياً, وتوصلك إلى قبرك باستغفار, ولا تدع النائحة المستأجرة تنفرد بنعيك .

العوائق (ص ٢٧٨)

الـورع

قال يونس بن عبيد :
يعـرف ورع الرجـل في كلامه إذا تـكلم.

العوائق (ص ١٣٧)

قال الشاعر أبو تمام :

من لم يقد فيطير في خيشومه
رهَجُ الخميس فلن يقود خميسا

المعنـى: مـن لم يقـده رجال، فـلا يمكنه أن يقود رجالاً .

العوائق (ص ٢٧٨)

نسيان الآخرة

قال حذيفة بـن اليمان رضي الله عنه :
إن أخـوف ما أخاف على هذه الأمة أن يؤثروا ما يرون على ما يعلمون .

العوائق (ص ٢٥٠)

كتاب: مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

المؤلف: ابن الجوزي

نبذة عن الكتاب:

أفرد هذا الكتاب لأخبار الإمام الخليفة الزاهد «عمر بن الخطاب»، فهي تنبه أولي الأمر، وتعين الزاهد في الدنيا على حمل أعباء الصبر. ولذا آثر المصنف الإمام عبد الرحمن بن الجوزي جمع آثاره، واختار ضمّ أخباره، لعلها تجمع لقارئها شمل دينه، ويقوي تكرارها على فكره أزر يقينه، فإن هذا الرجل قدوة لأرباب الوِلايات والوَلايات، ولقد كان في أرض الله من الآيات. هدف المصنف من وراء ذلك اجتلاب خصال الأبرار لعلها تكون المثل المحتذى للمسلمين.

ملاحظة النفس

خطب عمر وكان مما قاله : لقد رأيتني و مالي من أكال يأكل الناس، إلا أن لي خالات من بني مخزوم فكنت أستعذب لهن الماء فيقبضن لي القبضات من الزبيب ثم نزل ، فقيل له : ما أردت إلى هذا ؟ قال : إني وجدت من نفسي شيئاً فأردت أن أطأطئ منها .

مناقب عمر (ص ١٠٢)

تفقد الأخوان

عن أنس قال : سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه سلم عليه رجل ، فرد عليه السلام ، فقال عمر للرجل: كيف أنت؟ قال: أحمد الله إليك، قال عمر . هذا ما أردت منك.

مناقب عمر (ص ٢٠٣)

تحديث النفس و تذكيرها و لومها

عن أنس بن مالك رحمه الله قال: سمعت عمر بن الخطاب رضوان الله عليه يوماً، و خرجت معه حتى دخل حائطاً فسمعته وهو يقول، وبيني وبينه جدار، وهو في جوف الحائط : عمر أمير المؤمنين بخ بخ ، والله يا ابن الخطاب لتتقين الله أو ليعذبنك.

مناقب عمر (ص ١٥٢)

الصالح لا ينسى ذنوبه

عن إياس بن سلمة عن أبيه قال : مر عمر وأنا في السوق، و هو مار في حاجة له، ومعه الدرة فقال هكذا: أمط عن الطريق يا سلمة، قال: ثم خفقني بها خفقة، فما أصاب إلا طرف ثوبي، فأمطت عن الطريق، فسكت عني، حتى كان في العام المقبل، فلقيني في السوق فقال: يا سلمة، فما فارقت يدي يده حتى دخل بي بيته، فأخرج كيساً فيه ستمائة درهم فقال: يا سلمة، استعن بهذه واعلم أنها من الخفقة التي خفقتك عام الأول. قلت :والله يا أمير المؤمنين ما ذكرتها حتى ذكرتينها. قال: وأنا والله ما نسيتها بعد.

مناقب عمر (ص ١١٢)

العدل بين الخصوم

كان عمر رضوان الله عليه إذا أتاه الخصمان برك ركبتيه وقال: اللهم أعني عليهما، فإن كل واحد منهما يردني عن ديني.

مناقب عمر (ص ٩٤)

العزلة

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : خذوا بحظكم من العزلة .

مناقب عمر (ص ١٨١)

من عرض نفسه للتهمة

قال عمر رضي الله عنه :
من عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن، ومن كتم سره كانت الخيرة في يده، وضع أمر أخيك على أحسنه، حتى يأتيك منه ما يعليك، ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك المسلم شراً وأنت تجد لها في الخير محملا، وما كافأت به من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه، وعليك بإخوان الصدق، فكثر في اكتسابهم فأنهم زين في الرخاء، وعدة عند عظيم البلاء، ولا تهاون في الخلف، فيهتك الله سترك.

مناقب عمر (ص ١٧٩)

إياك و أهل الدنيا

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

يا معشر المهاجرين ، لا تكثروا الدخول على أهل الدنيا فإنها مسخطة للرزق .

مناقب عمر (ص ١٨)

استبق الخير

قال عمر بن الخطاب : يا معشر القراء، ارفعوا رؤوسكم، فقد وضح الطريق، فاستبقوا الخيرات ولا تكونوا عيالاً على المسلمين .

مناقب عمر (ص ١٩٣)

وصية

وصى أبو بكر عمراً فقال :

إني أوصيك بوصية إن حفظتها، إن لله حقاً بالنهار لا يقبله بالليل، ولله في الليل حق لا يقبله بالنهار، وأنها لا تقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة.

مناقب عمر (ص ٥٦ – ٥٧)

متناقضان

كان عمر بن الخطاب يقول : أشكو إلى الله جلد الخائن، وعجز الثقة.

مناقب عمر (ص ١٢١)

كتاب: الزهد
من (المصنف في الأحاديث والآثار)
المؤلف: عبد الله بن محمد بن أبي شيبة

نبذة عن الكتاب:

عد هذا الكتاب أصلًا من الأصول التي يرجع إليها ويعول عليها في معرفة الأحاديث والآثار، لسعة ما يحتوي عليه مع تقدم مؤلفه. رحمه الله. في الزمن، ورفعة مكانته في هذا العلم.

وقد رتب المؤلف هذا الكتاب على الكتب الفقهية التي اندرج تحت كل منها عدد من الأبواب، وتحت كل باب عدد من النصوص، وقد بدأ هذه الكتب بـ " كتاب الطهارات " وختمها بـ " كتاب الجمل وصفين والخوارج ".

وقد بلغت نصوص الكتاب في جملتها (٣٧٢٥١) نصًا مسندًا، منها ما هو المرفوع ومنها ما هو الموقوف ومنها المقطوع، والمؤلف يحرص إلى حد كبير على حشد ما يجد من النصوص التي تطابق الترجمة الموضوعة للباب، بصرف النظر عن صحة هذه النصوص أو ضعفها، إلا إذا كانت ظاهرة الوضع..

حكمة أبي بكر

عن أبو معاوية عن جويبر عن الضحاك قال: رأى أبو بكر الصديق طيراً واقعاً على شجرة، فقال: طوبى لك يا طير، والله لوددت أني كنت مثلك، تقع على الشجرة وتأكل من الثمر ثم تطير وليس عليك حساب ولا عذاب، والله لوددت أني كنت شجرة إلى جانب الطريق مر علي جمل فأخذني فأكلني ثم ازدردني ثم أخرجني بعراً ولم أكن بشراً.

المصنف/ باب الزهد ص ١٤٥

الرضـــا

عـن مالـك عـن أبي السـفر قـال: دخل علـى أبي بكر ناس مـن إخوانه يعودونه فـي مرضه فقالوا: يا خليفة رسـول الله صلـى الله عليـه وسـلم، ألا ندعـو لـك طبيبـاً ينظر إليك، قـال: قد نظر إلي، قالـوا: فمـاذا قال لك؟ قـال: إني فعال لما أريد.

المصنف/ باب الزهد ص ١٤٦

بناء الدنيا أمل

عن سـفيان عن أبي سـنان عـن ابـن أبي الهذيـل قال: بنـى عبد الله بيتـا في داره من لبن ثم دعا عماراً فقال: كيف ترى يا أبـا اليقظان؟ فقـال: أراك بنيـت شـديداً وأملت بعيداً وتموت قريباً. نسأل الله حسن الختام.

المصنف/ باب الزهد ص ٣٠

الإشراك بالله

عن تميم بن طرفة قال: سمعت الضحاك بـن قيس يقـول: يا أيهـا النـاس، اعملوا أعمالكـم لله، فـإن الله لا يقبـل إلا عمـلاً خالصـاً، لا يعفو أحـد منكم عن مظلمة فيقـول: هـذا لله ولوجوهكـم، فليـس لله وانما هي لوجوههم، ولا يصل أحد منكم رحمـه فيقـول: هذا لله وللرحـم، إنما هو للرحـم، ومـن عمـل عمـلا فليجعلـه لله ولا يشـرك فيه شـيئا. فـإن الله يقول يوم القيامـة: مـن أشـرك بي شـيئا فـي عمل عمله فهو لشريكه ليس لي منه شيء.

المصنف/ باب الزهد ص٣٠

أجود الناس

عـن أبـي زرعـة عـن عمـر بـن الخطاب قـال: إن أجود الناس مـن جـاد علـى مـن لا يرجـو ثوابـه، وإن أحلـم النـاس مـن عفـا بعـد القـدرة، وإن أبخـل النـاس الـذي يبخل بالسـلام، وإن أعجـز النـاس الذي يعجز في دعاء الله.

المصنف/ باب الزهد ص٣٠٧

آثروه الآن

عـن الحسـن قال: كان يضرب مثل ابن آدم مثـل رجل حضرته الوفاة، فحضر أهله وعمله، فقال لأهله: امنعوني، قالوا: إنما نمنعك من أمر الدنيا، فأما هذا فلا نستطيع أن نمنعك منه، فقال لماله: أنت تمنعني، قال: إني كنت زيناً زينت في الدنيا، أما هذا فلا أستطيع أن أمنعـك منـه، قال: فوثب عمله فقال: أنا صاحبك الذي أدخل معك قبرك وأزول معك حيثمـا زلـت، قال: أما والله لو شـعرت لكنت آثر الثلاثة عندي، قال: قال الحسـن: فالآن فآثروه على ما سواه.

المصنف/ باب الزهد ٥٠٨٥ (٢٠٧)

أما ذكرت؟

حدثنا المحاربي عن ليث عن مجاهـد عـن ابن شـجرة قال: يقـول القبر للرجـل الكافر أو الفاجـر: أمـا ذكـرت ظلمتي؟ أمـا ذكرت وحشـتي؟ أما ذكرت ضيقي؟ أما ذكرت غمي؟.

المصنف/ باب الزهد ٥٠٣١ (٤٨) كلام إبراهيم التيمي

الأواب الحفيظ

حدثنـا شـاذان قـال حدثنا مهـدي بن ميمون عن يونس بن خباب قال: قال لي مجاهـد: ألا أنبئك بـالأواب الحفيظ؟ قلت: بلى، قال: هو الذي يذكر ذنبه إذا خلا فيستغفر الله منه.

المصنف/ باب الزهد ٥٠٦٨ (ص: ٣٠٦) كلام محمد بن سيرين

منعته النوم

حدثنا يزيد بن هارون قال: حدثنا فرج بن فضالة عن أسـد بن وداعة قال: كان شـداد بن أوس إذا أوى إلى فراشـه كأنه حبة قمح على مقلى، ثم يقول: اللهم إن النار قد منعتني النوم، ثم يقوم إلى الصلاة.

المصنف/ باب الزهد ٥٠٣١ (٤٨) كلام إبراهيم التيمي

أعزنا الله

حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال: لما قدم عمر الشام أتته الجنود وعليه إزار وخفان وعمامة وهو آخذ برأس بعيره يخوض الماء، فقالوا له: يا أمير المؤمنين، تلقاك الجنود وبطارقة الشام وأنت على هذا الحال قال: فقال عمر: إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فلن نلتمس العز بغيره.

المصنف/ باب الزهد ص ١٤٧ - ٤٩٩١ (٨) كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

الدنيا تفرق الناس

عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال: لما أتي عمر بكنوز آل كسرى فإذا من الصفراء والبيضاء ما يكاد أن يحار منه البصر، قال: فبكى عمر عند ذلك، فقال عبد الرحمن: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ إن هذا اليوم يوم شكر وسرور وفرح، فقال عمر: ما كثر هذا عند قوم إلا ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء.

المصنف/ باب الزهد٤٩٩١ (٨) كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

تأثير القرآن

حدثنا عفان قال: حدثنا جعفر بن سليمان قال: حدثنا هشام عن الحسن قال: كان عمر بن الخطاب يمر بالآية في ورده فتخنقه العبرة فيبكي حتى يسقط، ثم يلزم بيته حتى يعاد، يحسبونه مريضا.

المصنف/ باب الزهد٤٩٩١ (٨) كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

لا فرق بين بنات الخليفة والناس

حدثنا ابن علية عن يونس عن الحسن قال: كان عمر يمشي في طريق ومعه عبد الله بن عمر، فرأى جارية مهزولة تطيش مرة وتقوم أخرى، فقال: ها بؤس لهذه هاه، من يعرف تياه، فقال عبد الله: هذه والله إحدى بناتك، قال: بناتي؟ قال: نعم، قال: من هي؟ قال: بنت عبد الله بن عمر، قال: ويلك يا عبد الله بن عمر، أهلكتها هزلاً، قال: ما نصنع، منعتنا ما عندك، فنظر إليه فقال: ما عندي؟ عزَّكَ أن تكسب لبناتك كما تكسب الأقوام؟ لا والله ما لك عندي إلا سهمك مع المسلمين.

المصنف/ باب الزهد٤٩٩١ (٨) كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

الخليفة يخدم نفسه

عن عطاء الخراساني قال: قال احتبس عمر بن الخطاب على جلسائه فخرج إليهم من العشي فقالوا: ما حبسك؟ فقال: غسلت ثيابي، فلما جفت خرجت إليكم.

المصنف/ باب الزهد٤٩٩١ (٨) كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

ليتنا كنا نسياً

عن عاصم بن عبيد الله عن عبد الله بن عمر قال: رأيت عمر بن الخطاب أخذ تبنة من الأرض فقال: ليتني هذه التبنة، ليتني لم أك شيئا، ليت أمي لم تلدني، ليتني كنت نسياً منسياً.

المصنف/ باب الزهد٤٩٩١ (٨) كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ص: ١٥٣

حذر عمر

حدثنا أبو بكر قال حدثنا أبو خالد الأحمر عن داود عن عامر عن ابن عباس قال: دخلت على عمر حين طعن فقلت: أبشر بالجنة يا أمير المؤمنين، أسلمت حين كفر الناس وجاهدت مع رسول الله حين خذله الناس، وقبض رسول الله وهو عنك راض، ولم يختلف في خلافتك اثنان، وقُتِلْتَ شهيداً، فقال: أعد علي، فأعدت عليه فقال: والذي لا إله غيره لو أن لي ما على الأرض من صفراء وبيضاء لافتديت به من هول المطلع.

المصنف/ باب الزهد٤٩٩١ (٨) كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

مناجاة عمر

عن رجل يقال له ميكائيل شيخ من أهل خراسان قال: كان عمر إذا قام من الليل قال: قد ترى مقامي وتعلم حاجتي فأرجعني من عندك يا الله بحاجتي مفلحاً منجحاً مستجيباً مستجاباً لي، قد غفرت لي ورحمتني، فإذا قضى صلاته قال: اللهم لا أرى شيئا من الدنيا يدوم، ولا أرى حالاً فيها يستقيم، اجعلني أنطق فيها بعلم وأصمت فيها بحكم، اللهم لا تكثر لي من الدنيا فأطغى، ولا تُقِلَّ لي منها فأنسى، فإن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى.

المصنف/ باب الزهد٤٩٩١(٨) كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ص: ١٥٥

زهد علي أمير المؤمنين

حدثنا أبو معاوية قال حدثنا أبو حيان عن مُجَمِّع عن إبراهيم التيمي عن يزيد بن شريك قال: خرج علي ذات يوم بسيفه فقال: من يبتاع مني سيفي هذا، فلو كان عندي ثمن إزار ما بعته.

المصنف/ باب الزهد٤٩٩٢ (٩)
كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

أين البكاء؟

حدثنا أبو أسامة عن موسى بن عبيدة عن أخيه عبد الله بن عبيدة قال: رأت صفية زوج النبي صلى الله عليه وسلم قوماً قرؤوا سجدة فسجدوا، فنادتهم: هذا السجود والدعاء فأين البكاء.

المصنف/ باب الزهد ٥٠٦٣(٧٥)
ما قالوا في البكاء من خشية الله

بدعوة غيرنا نسقى

حدثنا وكيع قال: حدثنا مسعر عن زيد العمي عن أبي الصديق الناجي أن سليمان بن داود خرج بالناس يستسقي، فمر على نملة مستلقية على قفاها رافعة قوائمها إلى السماء وهي تقول: اللهم إنا خلق من خلقك ليس بنا غنى عن رزقك، فإما أن تسقينا وإما أن تهلكنا، فقال سليمان للناس: ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم.

المصنف/ باب الزهد ٤٩٨٢ (٣) كلام
سليمان بن داود وداود عليهما السلام

تواضع أبي بكر

حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح قال: لما قدم أهل اليمن في زمان أبي بكر فسمعوا القرآن جعلوا يبكون، فقال أبو بكر: هكذا كنا ثم قست القلوب.

المصنف/ باب الزهد ٥٠٦٣ (٧٥)
ما قالوا في البكاء من خشية الله

كتاب: تهذيب التهذيب

المؤلف: الحافظ ابن حجر العسقلاني

نبذة عن الكتاب:

كتاب مهم جداً اقتصر فيه ابن حجر على ما يفيد الجرح والتعديل خاصة، وحذف ما طال به تهذيب الكمال من الأحاديث والأسانيد الطويلة...

وبهذا الكتاب وكتاب تهذيب الكمال للمزي يمكن القول بأنه قد تم استيعاب تراجم الكتب الستة استيعاباً لم يترك لمن يجيء بعدهما زيادة لمستزيد.

زياراتهم عظيمة الشأن

قال إبراهيم بن الحسين: دخل علي رجل وأنا بالفراديس في بيت فقال لي: هب أن المسيء قد عفي عنه، ولكنه قد فاته ثواب المحسنين؟، قال: فحدثت به ابن دينار. فبكى و قال: على مثل هذا فليبك.

تهذيب التهذيب (ج ٢ ص ٢٠٩)

حسافة

نظر يونس بن عبيد إلى قدمه عند موته فبكى، فقيل: مم تبكي؟ له فقال:

قدماي لم تغبر في سبيل الله تعالى.

تهذيب التنهذيب (ج ١١ص ٤٤٤)

الحب في الله

عن ابن عينية سمعت الوراق يقول: ما كنت اقول للرجلِ إني أحبك في الله، ثم أمنعه شيئاً من الدنيا.

تهذيب التهذيب (ج ١٠ ص ١٠٣)

خصال الرجال

قال الأصمعي: قال إياس بن معاوية:

امتحنت خصال الرجال فوجدت أشرفها صدق اللسان.

تهذيب التهذيب (ج ١ ص ٣٩٠)

طعم العبادة

وهيب بن الورد
قيل له: أيجد طعم العبادة من يعصي الله تعالى؟ قال: لا، ولا من هَمَّ بمعصية.

تهذيب التهذيب ج ١١ ص ١٧١

فرح النهاية

ورقاء بن عمر
عن أبي منذر إسماعيل بن عمر قال: دخلنا على ورقاء و هو في الموت وكان يهلل ويكبر، وبدأ الناس يسلمون عليه، فقال لابنه: يا بني اكفني رد السلام على هؤلاء لئلا يشغلني عن ربي.

تهذيب التهذيب (ج ١١ ص ١١٥)

اعرف قدر نفسك

عبد الله بن الخشخاش
قال ابن مهدي: كنا في جنازة فسألته عن مسألة فغلط فيها، فقلت: له أصلحك الله أتقول فيه كذا وكذا؟ فأطرق ساعة، ثم رفع رأسه فقال: إذاً أرجع وأنا صاغر، لأن أكون ذنباً في الحق أحب إلي من أكون رأساً في الباطل.

تهذيب التهذيب (ج ٧ ص ٧)

مكر الشيطان

ذكر الجاحظ في كتاب البيان والتبيين:
أن أبا حازم دخل المسجد في دمشق فوسوس إليه الشيطان: إنك قد أحدثت بعد وضوئك، فقال له: وقد بلغ هذا من نصيحتك؟!

تهذيب ابن عساكر ج٦٦ ص٢١٨

حب الدنيا

تهذيب ابن عساكر ج ٦ ص ٢١٨

قال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم: مالنا نكره الموت؟ قال: لأنكم عمرتم الدنيا، وخربتم الآخرة، فأنتم تكرهون أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب.

كتاب: صفة الصفوة
المؤلف: المؤلف: ابن الجوزي

نبذة عن الكتاب: كتاب يبحث في التراجم وقصص الاعتبار والمواعظ التي حصلت مع الأتقياء والأصفياء من الصحابة ومن بعدهم، فقد ابتدأ المصنف بذكر مجمل عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخلاقه وصفاته الكريمة وشمائله الحميدة، ثم ذكر بعضا من كبار الصحابة كالعشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، ثم العباد والأتقياء والصالحين، يذكر أسماءهم وشيئا من مآثرهم وأخلاقهم التي يقتدى بها ويهتدى بنورها مَنْ أراد الاعتبار والاتعاظ والسير على نهجهم. وقد زاد من ذكرهم المصنف في كتابه هذا على ١٠٣٠ علَماً.

لا تحقرن من المعروف شيئاً

عن شعيب بن حرب أنه قال: لا تحقرن فلساً تطيع الله في كسبه، ليس الفلس يراد إنما الطاعة تزاد، عسى أن تشتري به بقلاً فلا يستقر في جوفك حتى يغفر لك.

صفة الصفوة (ج ٣ ص ١٠)

إخلاص النية

عن الربيع بن خثيم قال: كل ما لا يبتغى به وجه الله عز وجل يضمحل.

صفة الصفوة (ج ٣ ص ٦١)

صلاة ابن الزبير

عن ابن المنكدر قال:
لو رأيت ابن الزبير يصلي كأنه غصن شجرة تصفقها الريح، والمنجنيق يقع ها هنا وها هنا.

صفة الصفوة (ج ١ ص ٧٦٦)

موعظة

قال معاذ بن جبل لابنه:
يا بني إذا صليت فصل صلاة مودع لا تظن أنك تعود إليها أبداً، واعلم يا بني أن المؤمن يموت بين حسنتين حسنة قدمها وحسنة أخرها.

صفة الصفوة (ج ١٨ ص ٩)

حكمة !!

قال محمد بن عيسى:
سمعت شعيب بن حرب يقول:
من أراد الدنيا فليتهيأ للذل.

صفة الصفوة (ج ٣ ص ٩)

زهد التابعين

عن علقمة بن رشد قال:
انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين، منهم الأسود بن يزيد وكان يجتهد في العبادة ويصوم حتى يصفر، فلما احتضر بكى. فقيل له: ما هذا الجزع؟ فقال: لا أجزع؟! ومن أحق بذلك مني؟ والله لو أتيت بالمغفرة من الله عز وجل، لكان همّني الحياء منه بما قد صنعت... إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه، و لا يزال مستحياً منه !

صفة الصفوة (ج ٣ ص ٢٤)

ورع

قيل لسعيد بن السائب: كيف أصبحت قال: أنتظر الموت على غير عدة

صفة الصفوة (ج ٢ ص ٢٨٣)

العلم يحتاج إلى عمل

يقول أبو الدرداء:
ويل للذي لا يعلم مرة، ولو شاء الله علّمه، ويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات.

صفة الصفوة (١ / ٦٢٨)

التقوى

عن بكر بن عبد الله قال: لا يكون العبد تقياً حتى يكون تقي الطمع تقي الغضب.

صفة الصفوة (ج ٣ ص ٢٤٩)

نسيان القرآن

عن أبي العالية قال:
كنا نعد من أعظم الذنوب أن يتعلم الرجل القرآن، ثم ينام عنه حتى ينساه.

صفة الصفوة لابن الجوزي (ج ٣ ص ٢١٢)

لا تعب شيئاً

عن إبراهيم قال: إني لأرى الشيء مما يعاب فما يمنعني من عيبه إلا مخافة أن أبتلى به.

صفة الصفوة (ج ٣ ص ٨٩)

لا تيأس

عن مغيرة قال: كان رجل على حالٍ حسنة فأحدث حدثاً أو أذنب ذنباً فرفضه أصحابه ونبذوه. فبلغ إبراهيم فقال: مه! تداركوه وعظوه ولا تدعوه.

صفة الصفوة (ج ٣ ص ٧٩)

تواضع !!

عون بن عبد الله:
قال: كفى بك من الكبر، أن ترى لك فضلاً على من هو دونك.

صفة الصفوة (ج ٣ ص ١٠١)

انتبه !! لا تمت إلا على الإسلام

شعيب بن حرب يقول لرجل:
إن دخلت القبر ومعك الإسلام فأبشر.

صفة الصفوة (ج ٣ ص ٨)

لا تترك إلا تجد

شريح بن الحارث
عن ابن سيرين قال: سمعت شريحاً يحلف بالله ما ترك عبد شيئاً لله فوجد فقده.

صفة الصفوة (ج ٣ ص ٣٨)

ويل لكل جمّاع

قال أبو الدرداء: ويل لكل جمّاع فاغرٍ فاه كأنه مجنون، يرى ما عند الناس، ولا يرى ما عند الله عز وجل، ولو يستطيع لوصل الليل بالنهار، وياله من حساب غليظ وعذاب شديد.

صفوة الصفوة (ج ١ ص ٦٣٨)

أنت أيام

قال أبو الدرداء: ابن آدم طأ الأرض بقدمك فإنها عن قليل تكون قبرك، ابن آدم إنما أنت أيام فكلما ذهب يوم ذهب بعضك، ابن آدم لم تزل في هدم عمرك من يوم ولدتك أمك.

صفة الصفوة (ج ١ ص ٦٣٨)

حقيقة العالم

يقول أبو الدرداء:
إنما العالم من يخشى الله تعالى.

العمل في الستر

قال سفيان:
أخبرتني سُرِّية الربيع بن خثيم قالت: كان عمل الربيع كله سراً إنه كان (ليجيء) الرجل وقد نشر -فتح- المصحف فيغطيه ثوبه.

صفة الصفوة (ج ٣ ص ٦١)

لا تخفى على الله خافية

عن منذر الثوري قال: كان الربيع بن خثيم يقول: السرائر التي تخفى على الناس وهي لله تواد، التمسوا دواءهن، ثم يقال: وما دواؤهن؟ فيقول: دواؤهن أن تتوب فلا تعود.

صفة الصفوة (ج ٣ ص ٦٢)

النية النية

زيد بن الحارث قال:
يسرني أن يكون لي في كل شيء نية حتى في الأكل و النوم.

صفة الصفوة (ج ٣ ص ٩٩)

خشوع النفاق

قال أبو الدرداء:
استعيذوا بالله من خشوع النفاق، قيل وما خشوع النفاق؟ قال: أن يُرى الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع.

صفة الصفوة (ج ١ ص ٦٣٦)

تدبر في قراءة القرآن

عبد الله بن العباس:
قال: لأن أقرأ البقرة في ليلة وأتفكر فيها أحب إلي من أقرأ القرآن هذرمة.

صفة الصفوة (ج ١ ص ٧٥٤)

الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر

صفة الصفوة (ج ١ ص ٦٣٤)

قال أبو الدرداء:
ما تصدق مؤمن بصدقه أحب إلى الله عز وجل من موعظة يعظ بها قومه، فيفترقون قد نفعهم الله عز وجل.

ليكن هواك تبعاً لعملك

قال أبو الدرداء:
إذا أصبح الرجل، اجتمع هواه وعمله، فإن كان عمله تبعاً لهواه فيومه يوم سوء، وإن كان هواه تبعاً لعمله فيومه يوم صالح.

صفة الصفوة (ج ١ ص ٦٣٦)

الفرق

سويد بن غفلة قال: إن الملائكة تمشي أمام الجنازة وتقول: ما قدم؟ ويقول الناس: ما ترك؟

صفة الصفوة (ج ٣ ص ٢٢)

ورع

عن عبد الرحمن بن حفص القرشي قال: كان علي بن الحسين إذا توضأ يصفر فيقول له أهله. ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ فيقول: تدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟

صفة الصفوة (ج ٢ ص ٩٣)

الاقتداء بالسنة

عن حامد بن إبراهيم قال:
قال الجنيد بن محمد: الطريق إلى الله مسدود على خلق الله (عزوجل) إلا على المقتفين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لسنته، كما قال الله عزوجل: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة).

صفة الصفوة (ج٢ ص ٤١٨)

غض البصر

كان الربيع بن خثيم إذا جاء إلى باب عبدالله يقول عبد الله للجارية: من بالباب؟ فتقول الجارية: ذاك الشيخ الأعمى!
لأن الربيع كان يغمض عينيه إذا فتحت الجارية الباب.

صفة الصفوة (ج ٣ ص ٦٠)

انشغل بنفسه

قيل للربيع بن خثيم: ألا تذكر الناس؟ فقال: ما أنا عن نفسي براض فأتفرغ من ذمها إلى أن أذم الناس، إن الناس خافوا الله في ذنوب الناس و أمنوه على ذنوبهم.

صفة الصفوة (ج ٣ ص ٦٠)

عفو مطلق

عن أحمد بن عبد الله بن مسروق، عن الربيع بن خثيم أنه سُرق له فرس أعطي به عشرين ألفاً، فقالوا له: ادع الله عليه. فقال: اللهم إن كان غنياً فاغفر له، و إن كان فقيراً فأغنه.

صفة الصفوة

العفو مع الخلائق

عن سعيد بن مسروق قال: أصاب الربيع بن خثيم حجر في رأسه فشجه، فجعل يمسح الدم عن وجهه، يقول: اللهم اغفر له فإنه لم يتعمدني.

صفة الصفوة

الحضور في الصلاة

عن نُسير قال: بت بالربيع ذات ليلة فقام يصلي فمر بهذه الآية: ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا﴾ فمكث ليلته حتى أصبح، ما يجوز هذه الآية إلى غيرها، ببكاء شديد.

صفة الصفوة

لا ينام

حماد الأصم، عمن حدثه عن بعض أصحاب الربيع قال: ربما عتمنا شَعرَه عند المساء، وكان ذا وفرة، ثم يصبح والعلامة كما هي، فنعلم أن الربيع لم يضع جنبه ليلته على فراشه.

صفة الصفوة

حي على الفلاح

كان ربيع بعدما سقط شقه –أصابه شلل– يحمله رجلان إلى مسجد قومه، وكان أصحاب عبد الله يقولون له: يا أبا يزيد لقد رخص الله لك، لو صليت في بيتك، فيقول: إنه كما تقولون، ولكني سمعته ينادي: (حي على الفلاح) فمن سمع منكم فليجبه ولو زحفاً، ولو حبواً.

صفة الصفوة

قتل قتيلاً

عن سفيان قال: بلغنا أن أم الربيع بن خثيم كانت تنادي فتقول: يا بني، يا ربيع، ألا تنام، فيقول: يا أماه من جن عليه الليل وهو يخاف البيات حق له أن لا ينام. قال: فلما بلغ ورأت ما يلقى من البكاء والسهر نادته فقالت: يا بني لعلك قتلت قتيلاً؟ فقال: نعم يا والدة قتلت قتيلاً. فقالت: ومن هذا القتيل يا بني نتحمل على أهله فَيُعفوك، والله لو علموا ما تلقى من البكاء والسهر لقد رحموك. فيقول: يا والدتي هي نفسي.

صفة الصفوة

لا نوم مع جهنم

عن مالك بن دينار قال: قالت ابنة الربيع بن خثيم: يا أبتاه ما لي أرى الناس ينامون ولا تنام؟ قال: إن جهنم لا تدعني أنام.

صفة الصفوة

الخوف من القيامة

عن سعيد بن مسروق، عن ربيع بن خثيم أنه كان يلبس قميصاً سنبلانياً أراى ثمنه ثلاثة دراهم أو أربعة دراهم قال: فإذا مد كمه يبلغ ظفره، وإذا أرسله بلغ ساعده، و إذا رأى بياض القميص قال: أي عبيد تواضع لربك، ثم يقول: أي لحميه وأي دميه كيف تصنعان إذا سيرت الجبال ودكت الأرض دكا وجاء ربك والملك صفاً صفاً.

صفة الصفوة

خشية

عن أبي يعلى قال: كان الربيع إذا قيل له: كيف أصبحت يا أبا يزيد؟ قال: أصبحنا ضعفاء مذنبين نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا.

صفة الصفوة

حياء من الله

عن حفص بن عمر قال: كان الربيع بن خثيم لا يعطي السائل أقل من رغيف، ويقول: إني لأستحي أن يرى في ميزاني أقل من رغيف.

صفة الصفوة

مراقبة الله

عن سلام بن أبي مطيعٍ قال: كان الربيع بن خثيم إذا أصبح قال: مرحبا بملائكة الله، اكتبوا، بسم الله الرحمن الرحيم، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

صفة الصفوة

الشكوى لله

عن الفضيل بن عياض قال: كان الربيع بن خثيم يقول في دعائه: أشكو إليك حاجةً لا يحسن بثها إلا إليك.

صفة الصفوة

لا تَنْسَ

عن حفص بن عمر قال: قال الربيع بن خثيم: إذا تكلمت فاذكر سمع الله إليك، وإذا هممت فاذكر علمه بك، وإذا نظرت فاذكر نظره إليك، وإذا تفكرت فاذكر اطلاعه عليك، فإنه يقول تعالى: ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾.

صفة الصفوة

الحياء من الصالحين

عن نسير بن ذعلوق، عن الربيع بن خثيم أنه كان يبكي حتى تبل لحيته من دموعه، ثم يقول: أدركنا أقواماً كنا في جنوبهم لصوصاً.

صفة الصفوة

الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر

وهيب بن الورد

عن مؤمل قال: سمعت وُهَيبا يقول:

لو قمت قيام هذه السارية، ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك: حلال أو حرام؟

صفوة الصفوة (ج ٢ ص ٢٢٦)

الدنيا دار عمل... لا لعب !!

شريح بن الحارث

عن الشعبي قال: سمعتهم يذكرون عن شُريح أنه رأى جيراناً له يجولون (يلعبون) فقال: ما لكم؟ قالوا: فرغنا اليوم، فقال: ما بهذا أُمِرَ الفارغ.

صفوة الصفوة – لابن الجوزي (ج ٣ ص ٤٠)

قل خيرا

الربيع بن خثيم قال لرجل:

لا تلفظ إلا بخير، فإن العبد مسؤول عن لفظه، يحصى ذلك عليه كله، ﴿أحصاه الله والناس نسوه﴾ (المجادلة: 6).

صفوة الصفوة – لابن الجوزي (ج ٣ ص ٦٧)

طلب الدنيا

شبيك بن عوف:

قال: ما اغبرت رجلاي في طلب دنيا قط.

صفوة الصفوة – لابن الجوزي (ج ٣ ص ٤٢)

قلة أهل الحق

عن إسحاق بن أبي إسرائيل قال:

سمعت سفيان بن عيينة قال: كان يقال: اسلكوا سبل الحق ولا تستوحشوا من قلة أهلها.

صفوة الصفوة (ج ٢ ص ٢٣٥)

كتاب: أفراح الروح أو رسالة إلى أختي المسلمة

المؤلف: سيد قطب

نبذة عن الكتاب: هي آخر كتابات أو كلمات المفكر الشهيد سيد قطب، قبل أن يعدم من قبل جمال عبد الناصر، وكتب هذه الكلمات وأرسلها إلى أخته ، وكان سبب كتابتها أن عبدالناصر أرسل لأخته يطلب منها أن يوقع سيد قطب على كتاب مفاده أن قد أخطأ ويتوب ويعتذر لعبدالناصر كي يعفو عنه ، فأرسلت أخته رسالة له وهو في السجن تنقل إليه طلب عبدالناصر، فكتب إليها هذه الكلمات، فكانت كلمات خالدة، كما قال: «إن كلماتنا ستظل عرائس من الشمع، حتى إذا متنا في سبيلها دبت فيها الحياة، وعادت إليها الروح» فهو كتاب تمتزج فيه روح ترك الدنيا والزهد في ما عند الناس والحكام وقول الحق، وكلمات عظيمة في العمل والبناء ونهضة الأمة من جديد.

قد أوفى الله بوعده، كما وفى هو بوعده، وها هي كلماته، نكتبها وننشرها مجدداً، لنحيا وتحيا في أرواحنا.

الموت والحياة

لو كان الموت يصنع شيئاً لوقف مد الحياة ! ، ولكنه قوة ضئيلة حسيرة، بجانب قوى الحياة الزاخرة، الطافرة الغامرة، من قوة الله الحي، تنبثق الحياة وتنداح.

رسالة إلى أختي المسلمة ص ٧

نعيش لفكرة

عندما نعيش لذواتنا فحسب، تبدو لنا الحياة قصيرة ضئيلة، تبدأ من حيث بدأنا نعي، وتنتهي بانتهاء عمرنا المحدود، أما عندما نعيش لغيرنا، أي عندما نعيش لفكرة، فإن الحياة تبدو طويلة عميقة، تبدأ من حيث بدأت الإنسانية، وتمتد بعد مفارقتنا لوجه هذه الأرض .

رسالة إلى أختي المسلمة ص٧-٨

ضاعف حياتك

إننا نربح أضعاف عمرنا الفردي في حالة أننا عشنا لفكرة، نربحها حقيقة لا وهماً، جرّد أي إنسان من الشعور بحياته، فتجرده من الحياة ذاتها في معناها الحقيقي، ومتى أحس الإنسان شعوراً مضاعفاً بحياته، فقد عاش حياة مضاعفة فعلاً.

يبدو لي أن المسألة من البداهة بحيث لا تحتاج إلى جدال! إننا نعيش لأنفسنا حياة مضاعفة، حينما نعيش للآخرين، وبقدر ما يضاعف إحساسنا بالآخرين، نضاعف إحساسنا بحياتنا، ونضاعف هذه الحياة بذاتها في النهاية.

رسالة إلى أختي المسلمة ص ٨-٩

بذرة الخير والشر

بذرة الشر تهيج، ولكن بذرة الخير تثمر، إن الأولى ترتفع في الفضاء سريعاً ولكن جذورها في التربة قريبة، حتى لتحجب عن شجرة الخير النور والهواء، ولكن شجرة الخير تظل في نموها البطيء، لأن عمق جذورها في التربة يعوضها عن الدفء والهواء، و تظل في نموها الهادئ البطيء، لا تحفل بما ترجمه شجرة الشر من قذى وأشواك.

رسالة إلى أختي المسلمة ص١٠-١١

خيراً كثيراً

عندما نلمس الجانب الطيب في نفوس الناس، نجد أن هناك خيراً كثيراً قد لا تراه العيون من أول وهلة، لقد جربت ذلك، جربته مع الكثيرين، حتى الذين يبدون أنهم شريرون أو فقراء الشعور، فشيء من العطف على أخطائهم وحماقاتهم، شيء من الود الحقيقي لهم. شيء من العناية -غير المتصنعة- باهتماماتهم وهمومهم، ثم ينكشف لك النبع الخير في نفوسهم، حين يمنحونك حبهم، ومودتهم وثقتهم، في مقابل القليل الذي أعطيتهم إياه من نفسك، متى أعطيتهم إياه في صدق وإخلاص وصفاء.

رسالة إلى أختي المسلمة ص١٢-١٣

قشرة الشر

إن الشر ليس عميقاً في النفس الإنسانية، إلى الحد الذي نتصوره أحياناً، إنه في تلك القشرة الصلبة التي يواجهون بها كفاح الحياة للبقاء، فإذا آمنوا تكشفت تلك القشرة الصلبة عن ثمرة حلوة شهية.

رسالة إلى أختي المسلمة ص١٣

بذرة الخير

كم نمنح أنفسنا من الطمأنينة والراحة والسعادة، حين نمنح الآخرين عطفنا وحبنا وثقتنا، يوم تنمو في نفوسنا بذرة الحب والعطف والخير.

رسالة إلى أختي المسلمة ص١٧

الفرح الصافي

إن الفرح الصافي هو الثمرة الطبيعية لأن نرى أفكارنا وعقائدنا ملكاً للآخرين، ونحن بعد أحياء، إن مجرد تصورنا لها أنها ستصبح -ولو بعد مفارقتنا لوجه هذه الأرض- زاداً للآخرين وريا، ليكفي لأن تفيض قلوبنا بالرضا والسعادة والاطمئنان.

رسالة إلى أختي المسلمة ٢١-٢٢

اعتزال الناس

حين نعتزل الناس لأننا نحس أننا أطهر منهم روحاً، أو أطيب منهم قلباً، أو أرحب منهم نفساً، أو أذكى منهم عقلاً، لا نكون قد صنعنا شيئاً كبيراً، لقد اخترنا لأنفسنا أيسر السبل وأقلها مؤنه!

رسالة إلى أختي المسلمة ص١٩

احتكار الفكر

إننا نحاول أن "نحتكر"أفكارنا وعقائدنا، ونغضب حين ينتحلها الآخرون لأنفسهم، ونجتهد في توكيد نسبتها إلينا، وعدوان الآخرين عليها!، إننا إنما نصنع ذلك كله، حين لا يكون إيماننا بهذه الأفكار والعقائد كبيراً، حين لا تكون منبثقة من أعماقنا كما لو كانت بغير إرادة منا، حين لا تكون هي ذاتها، أحب إلينا من ذواتنا.

رسالة إلى أختي المسلمة ص٢٠-٢١

التجارة الفكرية

التجار وحدهم هم الذين يحرضون على العلاقات التجارية لبضائعهم كي لا يستغلها الآخرون ويسلبونهم حقهم من الربح، أما المفكرون وأصحاب العقائد، فكل سعادتهم في أن يتقاسم الناس أفكارهم، وعقائدهم، ويؤمنون بها إلى حد أن ينسبوها لأنفسهم لا لأصحابها الأولين.

رسالة إلى أختي المسلمة ص ٢٢

وسطاء لا ملاك

إن المفكرين وأصحاب العقائد، لا يعتقدون أنهم أصحاب هذه الأفكار، إنما هم مجرد وسطاء في نقلها وترجمتها، إنهم يحسون أن النبع الذي يستمدون منه ليس من خلقهم، ولا من صنع أيديهم، كل وفرحهم المقدس إنما هو ثمرة اطمئنانهم إلى أنهم على اتصال بهذا النبع الأصيل!

رسالة إلى أختي المسلمة ص ٢٣

العلم والمعرفة

الفرق بعيد، جد بعيد، بين أن نفهم الحقائق، وأن ندرك الحقائق، إن الأولى: العلم، والثانية هي: المعرفة.

الأولى: ترد إلينا المعلومات من خارج ذواتنا، ثم تبقى في عقولنا.

الثانية: تنبثق الحقائق من أعماقنا، يجري فيها الدم الذي يجري في عروقنا، ويتسق إشعاعها مع نبضنا الذاتي.

في الأولى: توجد الخانات والعناوين، والفصول والأبواب.

في الثانية: توجد الطاقة الواحدة المتصلة بالطاقة الكونية الكبرى.

رسالة إلى أختي المسلمة ص٢٣-٢٤-٢٥

المتخصصين

نحن بحاجة ملحة إلى المتخصصين في كل فروع المعارف الإنسانية، أولئك الذين يتخذون من معاملهم ومكاتبهم صوامع وأديرة، ويهبون حياتهم للفرع الذي تخصصوا فيه، لا بشعور التضحية فحسب، بل بشعور اللذة كذلك، شعور العابد الذي يهب روحه لإلهه وهو فرحان! ولكن مع هذا يجب أن ندرك أن هؤلاء ليسوا هم الذين يوجهون الحياة، أو يختارون للبشرية الطريق.

رسالة إلى أختي المسلمة ٢٦-٢٧

الرواد

إن الـرواد كانـوا دائمـاً وسـيكونون هم أصحـاب الطاقات الروحيـة الفائقة، هـؤلاء هـم الذين يحملون الشعلة المقدسـة التي تنصهر فـي حرارتها كل ذرات المعارف، وينكشف في ضوئها طريق الرحلة، مزودة بكل هذه الجزيئات، قوية بهذا الزاد، وهي تغذي السير نحو الهدف السامي البعيد.

رسالة إلى أختي المسلمة ص٢٧

الرواد

الـرواد هـم الذيـن يدركـون ببصيرتهـم تلـك الوحـدة الشـاملة المتعـددة المظاهر، فـي العلـم والفـن والعقيـدة والعمـل، فـلا يحقـرون واحداً منها ولا يرفعونه فوق مستواه!

رسالة إلى أختي المسلمة ص ٢٧

الصغار

الصغار وحدهم هـم الذين يعتقدون أن هناك تعارضـاً بين هـذه القوى المتنوعـة المظاهر، فيحاربون العلم باسـم الدين، أو الدين باسـم العلـم، ويحتقـرون الفـن باسـم العمـل، أو الحيويـة الدافعة باسـم العقيـدة المتصوفة، إنهم يدركون أن كل قوة من هذه القوى منعزلة عـن الأخرى، ولكنهـم لا يدركون أنهـا متصلة بالنبع الأصيل، ومنه يستمدون.

رسالة إلى أختي المسلمة ص ٢٩ بتصرف

عظمة المخلوق من عظمة

مـن النـاس فـي هذا الزمان من يـرى في الاعتراف بعظمـة الله المطلقة غضاً من قيمة الإنسـان وإصغاراً لشأنه في الوجود، كأنما الله والإنسان ندان يتنافسان على العظمة والقوة في هذا الوجود! بل أنه كلما ازددنا شعوراً بعظمة الله المطلقة زدنا نحن أنفسنا عظمة، لأننا من صنع إله عظيم.

رسالة إلى أختي المسلمة ص٣٤-٤٤

الضعف والبصيرة

يظنون أن الإنسان إنما لجأ إلى الله إبان ضعفه وعجزه فأما الآن فهو من القوة بحيث لا يحتـاج إلى إلـه، كأنما الضعف يفتح البصيرة، والقدرة تطمسـها! بل لجدير له أن يزداد إحساسـاً بعظمة الله المطلقة، كلما نمت قوته لأن جدير بأن يدرك مصدر هذه القوة كلما زادت طاقته على الإدراك.

رسالة إلى أختي المسلمة ص٣٦

قوة المؤمنين

إن المؤمنين بعظمة الله المطلقة لا يجدون في أنفسهم ضعة ولا ضعفاً، بل على العكس، يجدون في نفوسهم العزة والمنعة، باستنادهم إلى القوة المسيطرة على هذا الوجود.

رسالة إلى أختي المسلمة ص٣٦

لا حياة

لا حياة لفكرة لم تتقمص روح إنسان، ولم تصبح كائناً حياً يدب على وجه الأرض في صورة بشر!، كذلك لا وجود لشخص -في هذا المجال- لا تعمر قلبه فكرة يؤمن بها في حرارة وإخلاص، إن التفريق بين الفكرة والشخص، كالتفريق بين الروح والجسد، أو المعنى واللفظ، ولا تعني إلا التحلل والفناء.

رسالة إلى أختي المسلمة ص٤٠ بتصرف

خفاء العبودية في ثوب الحرية

أحياناً تتخفى العبودية في ثياب الحرية، فتبدو انطلاقاً من جميع القيود، انطلاقاً من العرف والتقاليد، انطلاقاً من تكاليف الإنسان على هذا الوجود! ، إنها حرية مقنعة، لأنها في حقيقتها خضوع وعبودية للميول الحيوانية، التي كابد الإنسان عقود طويلة للتخلص منها.

رسالة إلى أختي المسلمة ص ٣٧-٣٨ بتصرف

الغاية لا تبرر الوسيلة

من الصعب عليّ أن أتصور كيف يمكن أن نصل لغاية نبيلة باستخدام وسيلة خسيسة؟!!، إن الغاية النبيلة لا تحيى إلا في قلب نبيل، فكيف يمكن لذلك القلب أن يطيق استخدام وسيلة خسيسة!! بل كيف يهتدي لاستخدامها ! إن الوسيلة في حساب الروح جزء من الغاية.

رسالة إلى أختي المسلمة ص٤١-٤٢

آمن بفكرتك

آمن أنت أولاً بفكرتك، آمن بها إلى حد الاعتقاد الحار، عندئذ فقط يؤمن بها الآخرون!، وإلا ستبقى مجرد صياغة لفظية خالية من الروح والحياة.

رسالة إلى أختي المسلمة ص٣٩

لا شيء يعدل العطاء

بالتجربة، عرفت أنه لاشيء في هذه الحياة يعدل ذلك الفرح الروحي الذي نجده عندما نستطيع أن ندخل العزاء أو الرضا، الثقة أو الأمل أو الفرح إلى نفوس الآخرين. إنها لذة سماوية.

رسالة إلى أختي المسلمة ص٤٣-٤٤

لا فرق بين الأخذ والعطاء

أحياناً تصعب التفرقة بين الأخذ والعطاء، لأنهما يعطيان مدلولاً واحداً في عالم الروح!، في كل مرة أعطيت لقد أخذت، لست أعني أن أحداً قد أعطى لي شيئاً، إنما أعني أنني أخذت نفس الذي أعطيت، لأن فرحتي بما أعطيت، لم تكن أقل من فرحة الذين أخذوا.

يالها من نفس عظيمة !

رسالة إلى أختي المسلمة ص ٤٧-٤٧

فكرة صالحة، لن تموت

لم أعد أفزع من الموت، حتى لو جاء اللحظة، لقد عملت بقدر ما كنت مستطيعاً أن أعمل، هناك أشياء كثيرة أود أن أعملها لو مد لي في الحياة، ولكن الحسرة لن تأكل قلبي إن لم أستطع، إن الآخرين سوف يقومون بها، إنها لن تموت، إذا كانت صالحة للبقاء فأنا مطمئن إلى أن العناية التي تلحظ هذا الوجود، لن تدع فكرة صالحة تموت.

فكيف تموت، إن كان الله هو من أحياها!

رسالة إلى أختي المسلمة ص ٤٧

عقاب عدل وحق

لم أعد أفزع من الموت حتى لو جاءت اللحظة، لقد حاولت أن أكون خيّراً بقدر ما أستطيع، أما أخطائي، فأنا نادم عليها، إني أكل أمرها إلى الله، وأرجو رحمته وعفوه، أما عقابه فلست قلقاً من أجله، فأنا مطمئن إلى أنه عقاب حق وجزاء وعدل، وقد تعودت أن أحتمل تبعة أعمالي خيراً كانت أو شراً.. فلن يسوءني أن ألقى جزاء ما أخطأت، حين يقوم الحساب.

رسالة إلى أختي المسلمة ص٤٨

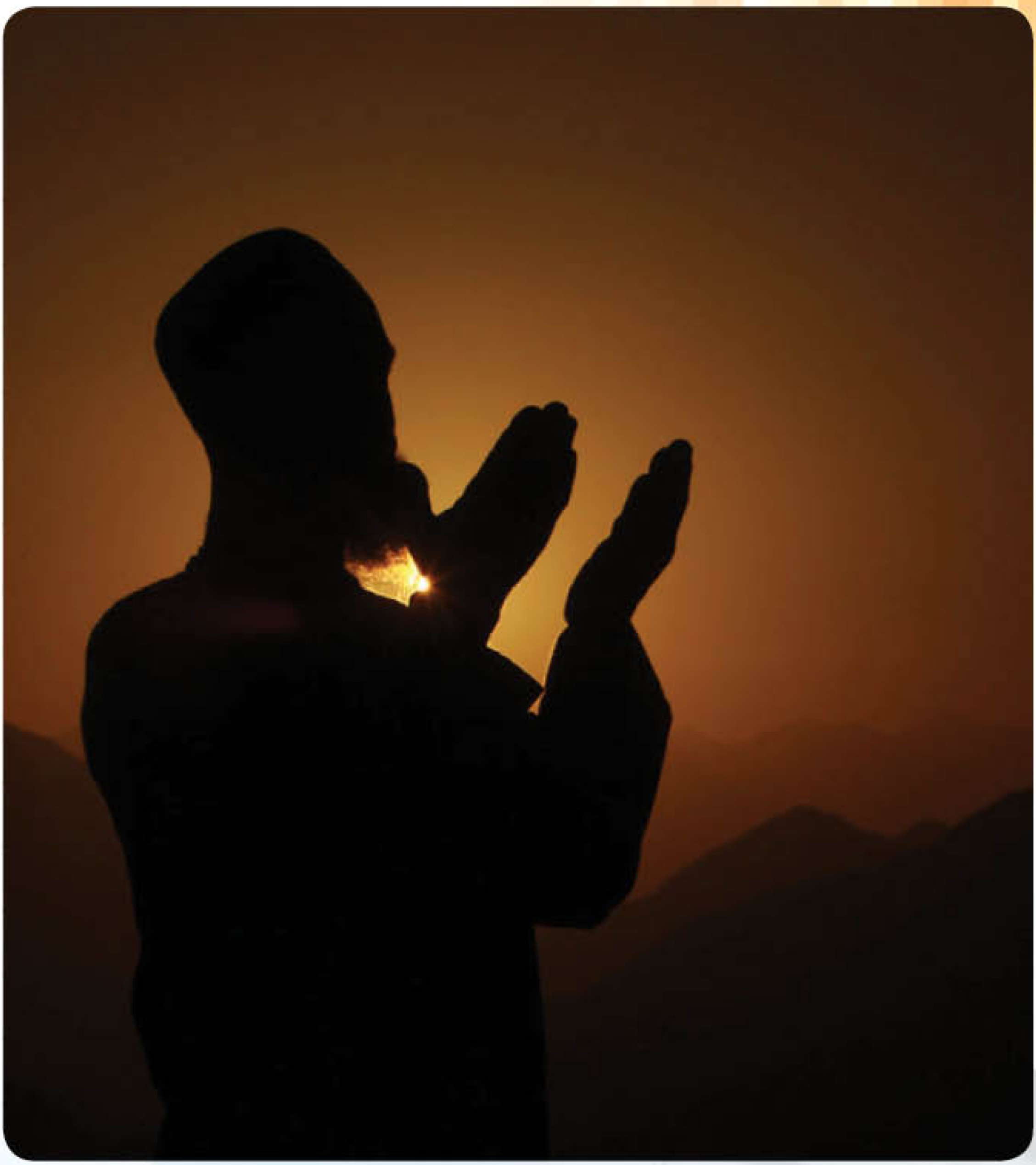

الباب الثاني

2

سير و أعلام التزكية

سير بعض الصالحين

الفضيل بن عياض

الإمام القدوة الراسخ, شيخ الإسلام, كان لصاً قاطع طريق, فتاب الله عليه, وصار واحداً من قلة كانوا يأكلون الحلال, لا يُدخلون بطونهم إلا حلالاً, ولو استفوا تِرب الأرض أو لعقوا الرماد. هو من أبكى هارون الرشيد ذات يوم, وردد دائماً: (لو أن لي دعوة مستجابة ما جعلتها إلا في إمام, فصلاح الإمام صلاح البلاد والعباد).

من أكثر السير التي قرأتها فأثرت في نفسي الأثر البالغ, فقمت بتجميع هذه المادة وترتيبها وتلخيصها, لعل الله ينفعنا بسيرته, وننفع بها خلقه.

هو فضيل بن عياض بن مسعود بن بشر, أبو علي التميمي اليربوعي الخراساني, ولد في سمرقند, ونشأ في أبِيُوَرْد, وما إن تاب عن المعصية حتى شدّ رحاله في طلب العلم, فبدأ كاتباً للحديث, ثم رواه, فحدث عنه ابن المبارك, وابن وهب, ويحيى القطان, وعبد الرحمن بن مهدي, وابن عيينة, والأصمعي, وابن داود البلخي, وغيرهم, بل روى عنه شيخه سفيان الثوري.

قال شَريك: «لم يزل لكل قوم حجة في أهل زمانهم, وإن فضيل بن عياض حجة لأهل زمانه, فقام فتى من مجلس الهيثم, فلما توارى, قال الهيثم: إن عاش هذا الفتى يكون حجة لأهل زمانه, قيل: من كان الفتى؟ قال: أحمد بن حنبل».

وصفه ابن مهدي بأنه «رجل صالح», وقال عنه سفيان بن عيينة: إنه «ثقة», أما العجلي فقال عنه: «هو ثقة متعبد, رجل صالح», فيما وصفه أبو حاتم بأنه «صدوق», وزاد النسائي على ذلك ونعته بأنه «ثقة مأمون», وهي الصفة التي وافقه عليها الدارقطني إمام أهل الحديث. كذلك قال عنه عبد الله بن المبارك: «ما بقي على ظهر الأرض عندي أفضل من الفضيل بن عياض... لقد رأيت أعبد الناس عبد العزيز بن أبي روّاد, وأورع الناس الفضيل بن عياض, وأعلم الناس سفيان الثوري, وأفقه الناس أبا حنيفة, ما رأيت في الفقه مثله... لقد صدقَ الفضيلُ الله فأجرى الحكمة على لسانه, فالفضيل ممن نفعه علمه).

وينسب إلى الخليفة هارون الرشيد قوله: «ما رأيت في العلماء أهيب من مالك، ولا أورع من الفضيل».

وذكر إبراهيم بن الأشعث: «ما رأيت أحداً كان الله في صدره أعظم من الفضيل, كان إذا ذَكر الله, أو ذُكر عنده, أو سمع القرآن ظهر به من الخوف والحزن, وفاضت عيناه, وبكى حتى يرحمه من يحضره, وكان دائم الحزن, شديد الفكرة, ما رأيت رجلاً يريد الله بعلمه وعمله, وأخذه وعطائه, ومنعه وبذله, وبغضه وحبه, وخصاله كلها غيره. كنا إذا خرجنا معه في جنازة لا يزال يعظ, ويذكر ويبكي كأنه مودع أصحابه, ذاهب إلى الآخرة, حتى يبلغ المقابر؛ فيجلس مكانه بين الموتى من الحزن والبكاء, حتى يقوم وكأنه رجع من الآخرة يخبر عنها».

وعلّق عنه علي بن الحسن: «ما رأيت أنصح للمسلمين, ولا أخوف منه، ولقد رأيته في المنام قائماً على صندوق يعطي المصاحف، والناس حوله، فيهم: سفيان بن عيينة، وهارون أمير المؤمنين, فما رأيته يودّع أحداً, فيقدر أن يتم وداعه».

طريق التوبة

تروى إحدى القصص في أسباب توبة ابن عياض, قيل: إنه عشق امرأة, وكان يذهب إليها خلسة في الليل البهيم. وذات ليلة, وبينما كان يصعد الجدران متسلقاً واقفاً على سور حبيبته, سمع هاتفاً يناديه -أو شخصا يقرأ الآية الكريمة: «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لذكر الله».(الحديد: 16) فلما سمع الصوت سقط من شدة الفزع وقال: «بلى يا رب قد آن», فرجع, فآواه الليل إلى خربة فإذا فيها سابلة, فقال بعضهم: «نرحل», وقال بعضهم: «نمكث حتى الصباح, فإن فُضَيلاً على الطريق يقطع علينا». وهنا قال الفضيل: «ففكرت, وقلت: أنا أسعى بالليل في المعاصي, وقوم من المسلمين ها هنا, يخافوني, وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع, اللهم إني قد تبت إليك, وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام».

وعلّق الإمام الذهبي على هذه القصة قائلاً: «وبكل حال: فالشرك أعظم من قطع الطريق, وقد تاب من الشرك خلق صاروا أفضل الأمة. فنواصي العباد بيد الله, وهو يضل من يشاء, ويهدي إليه من أناب».

هارون الرشيد

ثمة قصة أخرى تدلّ على مدى شجاعة ابن عياض وتعففه وزهده, وقدرته على مواجهة السلطة, من دون وجل ولا تردد. فبينما كان هارون الرشيد في الحج حدث وزيرَه الفضل بن الربيع قائلاً: «ويحك, قد حك في نفسي شيء, فانظر لي رجلاً أسأله. فقلت: ها هنا سفيان ابن عيينة, فقال: امض بنا إليه, فأتيناه, فقرعت بابه, فقال: من ذا؟ فقلت: أجب أمير المؤمنين, فخرج مسرعاً, فقال: يا أمير المؤمنين, لو أرسلت إليَّ أتيتك. فقال: خذ لما جئتك له, فحدثه ساعة, ثم قال له: عليك دَين.

قال: نعم. فقال لي: اقض دينه, فلما نهضنا إليه قال: ما أغنى عني صاحبك شيئاً. قلت: ها هنا عبد الرزاق. قال: امْضِ بنا إليه, فأتيناه, فقرعت الباب فخرَج, وحادثه ساعة, ثم قال: عليك دين؟ قال: نعم.

قال: أبا عباس, اقض دينه. فلما خرجنا قال: ما أغنى عني صاحبك شيئاً, انظر لي رجلاً أسأله, قلت: هاهنا الفضيل بن عياض, قال: امض بنا إليه, فأتيناه, فإذا هو قائم يصلي, يتلو آية يرددها, فقال: اقرع الباب, فقرعت, فقال: من هذا؟ قلت: أجب أمير المؤمنين.

قال: ما لي ولأمير المؤمنين؟ قلت: سبحان الله! أما عليك طاعة, فنزل ففتح الباب, ثم ارتقى إلى الغرفة, فأطفأ السراج ثم التجأ إلى زاوية, فدخلنا, فجعلنا نجول عليه بأيدينا فسبقت كف هارون قبلي إليه, فقال: يا لها من كف ما ألينها إن نجت غدا من عذاب الله, فقلت في نفسي: ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب تقي, فقال له: خذ لما جئناك له - رحمك الله - فقال: إن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله, ومحمد بن كعب, ورجاء بن حيوة, فقال لهم: إني قد ابتليت بهذا البلاء, فأشيروا عليّ. فعد الخلافة بلاء, وعددتها أنت وأصحابك نعمة.

فقال له سالم: إن أردت النجاة, فصم عن الدنيا وليكن إفطارُك منها الموت. وقال له ابن كعب: إن أردت النجاة من عذاب الله, فليكن كبير المسلمين عندك أباً, وأوسطهم أخاً, وأصغرهم ولداً, فوقّر أباك, وأكرم أخاك, وتحنن على ولدك. وقال له رجاء: إن أردت النجاة من عذاب الله, فأحبَّ للمسلمين ما تحب لنفسك, واكره لهم ما تكره لنفسك, ثم مت إذا شئت، وإني أقول لك هذا، وإني أخاف عليك أشد الخوف يومًا تزل فيه الأقدام، فهل معك, رحمك الله, مَن يشير عليك بمثل هذا؟.

فبكى بكاء شديداً حتى غشي عليه. فقلت له: ارفق بأمير المؤمنين, فقال: يا ابن أم الربيع تقتله أنت وأصحابك, وأرفق به أنا؟ ثم أفاق، فقال له: زدني، رحمك الله، قلت: بلغني أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شُكي إليه، فكتب إليه: يا أخي أذكرك طول سهَر أهل النار في النار مع خلود الأبد، وإياك أن ينصرف بك من عند الله، فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء، فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم عليه، فقال: ما أقدمك؟ قال: خلعت قلبي بكتابك، لا أعود إلى ولاية حتى ألقى الله، فبكى هارون بكاء شديداً فقال: يا أمير المؤمنين، إن العباس عم النبي عليه الصلاة والسلام جاء إليه فقال: أمُرْني, فقال له: إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة، فإن استطعت أن لا تكون أميراً فافعل.

فبكى هارون, وقال: زدني. قال: يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله عن هذا الخلق يوم القيامة، فإن استطعت أن تقي هذا الوجه من النار, فافعل، وإياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لأحد من رعيتك، فإن النبي عليه الصلاة والسلام قال: من أصبح لهم غاشاً لم يَرِحْ رائحة الجنة.

فبكى هارون وقال له: عليك دَين؟ قال: نعم, دين لربي, لم يحاسبني عليه. فالويل لي إن ساءلني, والويل لي إن ناقشني, والويل لي إن لم ألهم حجتي. قال: إنما أعني من دَين العباد.

قال: إن ربي لم يأمرني بهذا، أمرني أن أصدق وعده، وأطيع أمره, فقال سبحانه وتعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» (الذاريات: 56) الآيات.

فقال: هذه ألف دينار خذها، فأنفقها على عيالك، وتقوَّ بها على عبادة ربك، فقال: سبحان الله! أنا أدلك على طريق النجاة، وأنت تكافئني بمثل هذا. سلمك الله, ووفقك. ثم صمت، فلم يكلمنا، فخرجنا، فقال هارون: أبا عباس، إذا دللتني، فدلني على مثل هذا, هذا سيد المسلمين.

فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالت: قد ترى ما نحن فيه من الضيق, فلو قبلت هذا المال.

قال: إنما مثلي ومثلكم كمثل قوم لهم بعير يأكلون من كسبه، فلما كبر نحروه, فأكلوا لحمه، فلما سمع هارون هذا الكلام قال: ندخل فعسى أن يقبل المال, فلما علم الفضيل، خرج فجلس في السطح على باب الغرفة, فجاء هارون, فجلس إلى جنبه, فجعل يكلمه فلا يجيبه، فبينما نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء، فقالت: يا هذا، قد آذيت الشيخ منذ الليلة, فانصرف، فانصرفنا.

رواية الحديث

كان الفضيل يتحسب رواية الحديث كي لا يكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم, قد نصح فقال: «إن استطعت ألا تكون محدثاً ولا قارئاً, ولا متكلماً, إن كنت بليغاً قالوا: ما أبلغه! وأحسن حديثه! وأحسن صوته! فيعجبك ذلك, فتنتفخ, وإن لم تكن بليغاً, ولا حسن الصوت قالوا: ليس يُحسن يُحدّث, وليس صوته بحسن, أحزنك ذلك, وشق عليك, فتكون مرائياً, وإذا جلست, فتكلمت, فلم تبال من ذمك ومن مدحك, فتكلم».

تصوفه وزهده

قيل لابن عياض: ما الزهد ؟، أجاب: القنوع, قيل: ما الورع؟أجاب: اجتناب المحارم. قيل: ما العبادة؟ أجاب: أداء الفرائض. قيل: ما التواضع؟ أجاب: أن تخضع للحق. وقال: أشد الورع في اللسان. هكذا هو، فقد ترى الرجل ورعا في مأكله وملبسه ومعاملته، وإذا تحدث يدخل عليه الداخل من حديثه، فإما أن يتحرى الصدق, فلا يكمل الصدق، وإما أن يصدق, فينمق حديثه لِيُمْدَح على الفصاحة، وإما أن يظهر أحسن ما عنده ليعظم، وإما أن يسكت في موضع الكلام, لِيُثْنَى عليه. ودواء ذلك كله الانقطاع عن الناس إلا من الجماعة.

وسأله عبد الله بن مالك ذات يوم: يا أبا علي ما الخلاص مما نحن فيه؟ قال: أخبرني, من أطاع الله هل تضره معصية أحد؟ قال: لا. قال: فمن يعصي الله هل تنفعه طاعة أحد؟ قال: لا, قال: هو الخلاص إن أردت الخلاص.

وكان ابن عياض يحض على الزهد ويقول لأتباعه: «حرام على قلوبكم أن تصيب حلاوة الإيمان حتى تزهدوا في الدنيا», وقال: رهبة العبد من الله على قدر علمه بالله, وزهادته في الدنيا على قدر رغبته في الآخرة, من عمل بما علم استغنى عما لا يعلم, ومن عمل بما علم وفّقه الله لما لا يعلم, ومن ساء خلقه شان دينه وحسبه ومروءته, وكان يقول أيضاً: لا يسلم لك قلبك حتى لا تبالي من أكل الدنيا.

ويروى أنه اجتمع الفضيل بن عياض وسفيان الثوري يوماً, فجلسوا يتذاكرون شيئاً من الرقائق فرَقَّ كل واحد منهم وبكى, فقال سفيان الثوري رحمه الله : " أرجوا أن يكون هذا المجلس علينا رحمة وبركة " فقال الفضيل بن العياض: "ولكني أخاف يا أبا عبد الله ألا يكون أضرَّ علينا .. ألست تخلصتَ إلى أحسن حديثك وتخلصتُ أنا إلى أحسن حديثي .. فتزينتُ لك .. وتزينتَ لي .. فبكى سفيان الثوري رحمه الله وقال "أحييتني أحياك الله".

وللفضيل أقوال رائعة وحكمة, من بينها:

لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يعد البلاء نعمة, والرخاء مصيبة, وحتى لا يحب أن يحمد على عبادة الله.

إذا أحب الله عبداً, أكثر غمه, وإذا أبغض عبداً, وسع عليه دنياه.

- أكذب الناس العائد في ذنبه, وأجهل الناس المُدِلّ بحسناته, وأعلم الناس بالله أخوفهم منه, لن يكمل عبد حتى يؤثر دينه على شهوته, ولن يهلك عبد حتى يؤثر شهوته على دينه.
- ترْك العمل لأجل الناس رياء, والعمل لأجل الناس شرك, والإخلاص أن يعافيك الله عنهما.
- والله ما يحل لك أن تؤذي كلباً ولا خنزيراً بغير حق, فكيف تؤذي مسلماً.
- لا يكون العبد من المتقين حتى يأمنه عدوه..
- بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله, وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله.
- من أحب أن يذكر لم يذكر, ومن كره أن يُذكر ذُكر.
- إذا لم تقدر على قيام الليل, وصيام النهار, فاعلم أنك محروم, كبلتك خطيئتك.

وقال الفضيل بن عياض - رحمه الله -: "المؤمن يستر، والفاجر يهتك ويعير".

يقال: إن الفضيل بن عياض قدم إلى الكوفة وهو مسنٌّ, فسمع الحديث, ثم تعبد, وانتقل إلى مكة ونزلها إلى أن مات فيها في أول سنة سبع وثمانين ومائة في خلافة هارون الرشيد.

ابن عطاءالله السكندري

هو أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عيسى بن عطاء الله السكندري, ينتسب إلى قبيلة جذام التي قدمت إلى مصر عقب الفتح الإسلامي وقطنت الإسكندرية.

تلقى منذ نعومة أظافره العلوم الشرعية واللغوية, وكان مشروع فقيه كبير ينكر على المتصوفة الكثير من أفكارهم وممارساتهم, لكن حياته تغيرت وسارت في الطريق المغاير بعدما التقى شيخه وأستاذه أبا العباس المرسي, الذي ترك في قلبه وعقله علامة لا تمحى, عندما صار من طليعة مريديه ممن يحسبون على التصوف، توفي رحمه الله عام 709 هـ.

اشتهر ابن عطاءالله بكلامه البليغ وحكمه المؤثرة ووجدانياته المبدعة، حيث اشتهر الكتاب الذي جمع كلمه بـ(الحكم العطائية) ولقي قبولاً حسناً بين جمهور المسلمين والعلماء

ومن بين هذه الحكم المتداولة:

- تشَوُّفُك إلى ما بَطُنَ فيك من العيوب خيرٌ من تشوُّفك إلى ما حُجِبَ عنك من العيوب.
- من علامات الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل.
- إذا لم تُحْسن ظنَّكَ به, لأجل حُسن وصْفه, فَحَسِّن ظنَّك به لأجل معاملته معك, فهل عَوَّدَكَ إلاَّ حسنًا؟ وهل أسدى إليك إلاَّ منَنًا؟
- لا تطلب منه أن يخرجك من حالٍ ليستعملك في ما سواه، فلو أرادك لاستعملك من غير إخراج.

- خَفْ من وجودِ إحسانه إليك, ودوامِ إساءتِك معهُ أنْ يكون ذلك استدراجًا لك.
- من علامات موت القلب عدمُ الحزنِ على ما فاتك من الموافقات, وترك الندم على ما فعلتَهُ من وجود الزلاَّت.
- أصل كل معصية وشهوة الرضا عن النفس، وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا منك عنها, ولأن تصحب جاهلاً لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالماً يرضى عن نفسه، فأي علم لعالم يرضى عن نفسه؟
- اجتهادُك فيما ضُمِنَ لك, وتقصيرُك فيما طُلِبَ منك, دليلٌ على انطِماسِ البصيرةِ منك.
- ما نفَعَ القلبَ شيءٌ مثل عُزلة، يدخلُ بها ميدان فكرة.
- ما قلَّ عمل برز من قلب زاهد، ولا كثر عمل برز من قلب راغب.
- ما بَسَقتْ أغصانُ ذلٍّ إلاَّ على بذرِ طمَع.
- مَن لم يشكر النعمَ فقد تعرَّضَ لزوالها, ومن شكرها فقد قيَّدها بعِقالها.
- مَن رأيتَهُ مُجيبًا عن كلِّ ما سُئلَ, ومُعبِّرًا عن كلِّ ما شهِد, وذاكِرًا كلَّ ما علِم, فاستدل بذلك على وجودِ جهلِه.
- لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلّك على الله مقاله.
- لا صغيرة إذا قابلك عدله، ولا كبيرة إذا واجهك فضله.
- لا عمل أرجى للقبول من عمل يغيب عنك شهوده ويحتقر عندك وجوده.
- متى أطلق لسانك بالطلب فاعلم أنه يريد أن يعطيك.
- ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول، وربما قضى عليك بالذنب فكان سبباً في الوصول.
- العطاء من الخلق حرمان، والمنع من الله إحسان.
- متى أوحشك من خلقه فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الأنس به.
- أنت حرّ مما أنت عنه آيس، وعبد لما أنت له طامع.
- ربّ معصية أورثت ذلاً وانكساراً خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً.

كان السكندري يناجي ربه بدعوات ومناشدات صافية راقية, تعدّ قطعاً من الأدب الصوفي الرفيع, ومنها تلك المناجاة التي تقول:

إلهي: كلما أخرسني لؤمي أنطقني كرمك؟ كلما آيستني أوصافي أطمعتني مننك..

إلهي: هذا ذلي ظاهر بين يديك, وهذا حالي لا يخفى عليك, منك أطلب الوصول إليك, وبك أستدلّ عليك، اهدني بنورك إليك, وأقمني بصدق العبودية بين يديك..

إلهي: أنت الذي أشرقتَ الأنوار في قلوب أوليائك حتى عرفوك ووحدوك, وأنت الذي أزلت الأغيار عن قلوب أحبابك حتى لم يحبوا سواك, ولم يلجؤوا إلى غيرك.

إلهي: كيف يرجى سواك, وأنت ما قطعت الإحسان؟ وكيف يطلب من غيرك وأنت ما بدلت عادة الامتنان؟ يا من أذاق أحباءه حلاوة مؤانسته فقاموا بين يديه متملقين, ويا من ألبس أولياءه ملابس هيبته فقاموا بعزته مستعزين، أنت الذاكر من قبل الذاكرين, وأنت البادئ بالإحسان من قبل توجه العابدين, وأنت الجواد بالعطاء من قبل طلب الطالبين, وأنت الوهاب ثم أنت لما وهبتنا من المستقرضين.

الجدير بالذكر أن له مناظرة عظيمة تمت بينه وبين شيخ الإسلام ابن تيمية, نوردها في هذا الكتاب في فصل مستقل, لما تحويه من معانٍ عظيمة للشيخين رحمهما الله.

الحسن البصري

هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصري, ولد في بيت أم سلمة زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم سنة 21 هـ, في السنة الثانية من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه, إذ كانت والدته مولاة لأم سلمة, التي قيل: إنها كانت ترضعه أحياناً, حين يشتد به الجوع وأمه غائبة. ودعا له الفاروق ذات يوم قائلاً: (اللهم فقهه في الدين، وحببه إلى الناس) وقد حفظ الحسن القرآن في العاشرة من عمره.

هو مكتبة بنفسه، فعلمه الغزير وإحاطته الواسعة، انعكست على أقواله وكتاباته, رزقه الله الفقه والحديث والقراءات واللغة والبيان والمنطق، ورزقه الزهد, ليكون بذلك أحد أوائل كبار الزهاد، إن لم يكن رائدهم جميعاً، بما جعله مثلاً لكل من يريد أن يسير في طريق السالكين من دون تفريط ولا إفراط, وجعله نموذجاً أمام من يطالبون بـ«التصوف الحقيقي» الذي كان عليه الصحابة والتابعون. فالبصري لم ينغلق على نفسه في صومعة, ولم يصبح بعدها درويشاً, إنما مارس التصوف وذاقه تحت مظلة الشرع.

سُئل عنه خالد بن صفوان, وكان أحد فصحاء العرب, فقال: (إنه امرؤٌ سريرته كعلانيته, وقوله كفعله, إذا أمر بمعروف كان أعمل الناس به, وإذا نهى عن منكر كان أترك الناس له, وقد رأيته مستغنياً عن الناس زاهداً بما في أيديهم, ورأيت الناس محتاجين إليه طالبين ما عنده. وينظر البصري إلى الدنيا بوصفها وديعة لدى البشر, وعليهم أن يردوها إلى من أودعها إياهم كما هي, من دون تمسك بها بالباطل, أو طمع فيها بغير حق, ولا انكسار أمامها بغير سلطان نفس, وهنا قال -: (أدركت أقواماً كانت الدنيا عندهم وديعة حتى ردوها إلى من ائتمنهم عليها ثم راحوا خفافاً غير مثقلين, وأدركت أقواماً كانت الدنيا تتعرض لأحدهم, وإنه لمجهود فيتركها مخافة اتباعها).

ويصل الأمر إلى أن يعد البصري عشق الدنيا والإغراق في ملذاتها إحدى كبائر الإثم, وأنها الدرب الوسيع الذي سلكه الشيطان إلى نفوس البشر, فأوقعهم في الشرك والكفر، وهنا علّق: (ما عجبت من شيء كعجبي من رجل لا يحسب حب الدنيا من الكبائر، وايم الله إن حبها لمن أكبر الكبائر، وهل تشعبت الكبائر إلا من أجلها؟ وهل عبدت الأصنام، وعصي الرحمن إلا لحب الدنيا وإيثارها!).

لهذا أشار البصري إلى أن (المؤمن الفطن اللبيب في الدنيا كالغريب لا يجزع من ذلها, ولا يأنس بقربها, ولا يأسى لبعدها, ولا يأمن غيرها, للناس حال وله حال).

كذلك يتجلى تصوف وزهد البصري في حضه على الصبر الجميل، الذي هو في نظره (صبران: صبر عند المصيبة, وصبر عن المعصية), وأن (من قدر على ذلك فقد نال أفضل الصبرين).

ويرتبط الصبر بالزهد والحق والفلاح في رؤية البصري، فالزاهد عنده هو من لم يغلب الحرام صبره، والحلال شكره، والحق لديه هو (مر لا يصبر عليه إلا من عرف حسن العاقبة، ومن رجا الثواب خاف عقابه).

والفلاح في مذهبه ينطوي على صبر عميق: (إنكم لا تنالون ما تحبون إلا بترك ما تشتهون، ولا تدركون ما تأملون إلا بالصبر على ما تكرهون) .

أما الخاصية الثالثة من خصائص التصوف لدى البصري فتتمثل في الحزن، فالمؤمن عنده يجب أن يكون حزيناً غريباً، ليس اكتئاباً ولا نفوراً مرضياً، إنما تعفف ورقة إحساس، وانشغال بما يؤلم الآخرين، ومواساة لهم على ما هم فيه من كدر.

ولهذا قيل عنه: إنه كان كثير الحزن، عظيم الهيبة، وهو ما تبين صورته في قول أحد الصحابة: (ما رأيت أحدا أطول حزناً من الحسن، ما رأيته إلا حسبته حديث عهد بمصيبة).

وقال البصري: (نضحك ولا ندري لعل الله قد اطلع على بعض أعمالنا. فقال: لا أقبل منكم شيئاً، ويحك يا ابن آدم، هل لك بمحاربة الله طاقة؟ إن من عصى الله فقد حاربه، والله لقد أدركت سبعين بدرياً -من أهل معركة بدر-, لو رأيتموهم قلتم مجانين، ولو رأوا خياركم لقالوا: ما لهؤلاء من خلاق، ولو رأوا شراركم لقالوا: ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب!).

وقال حمزة الأعمى: كنت أدخل على الحسن منزله وهو يبكي، وربما جئت إليه وهو يصلي فأسمع بكاءه ونحيبه فقلت له يوماً: إنك تكثر البكاء، فقال: يا بني، ماذا يصنع المؤمن إذا لم يبكِ؟ يا بني إن البكاء داع إلى الرحمة. فإن استطعت أن تكون عمرك باكياً فافعل، لعله تعالى أن يرحمك.

وروى الطبراني عنه: إن قوماً ألهتهم أماني المغفرة رجاء الرحمة، حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم أعمال صالحة. وقال أحدهم: إني لحسن الظن بالله وأرجو رحمة الله, وكذب, ولو أحسن الظن بالله لأحسن العمل لله, ولو رجا رحمة الله لطلبها بالأعمال الصالحة, يوشك من دخل المفازة من غير زاد ولا ماء أن يهلك).

لا يخشى السلطة

رغم أن البصري كان يطبق القاعدة التي تقول: (60 سنة من حاكم جائر خير من سنة بلا حاكم) خوفاً من الفوضى والاضطراب وتشرذم أركان الدولة وتحللها، لكنه لم يشجع ظالماً على ظلمه، أو مستبداً على تجبره، ولم يكن يهاب أي حاكم مهما بلغ تسلطه وتعنته وتجرؤه على حرمات الله وحقوق الناس.

وكان للبصري هيبة في نفوس الحكام، وهو ما تسجله واقعة لا تنسى. فحين ولي الحجّاج بن يوسف الثقفي العراق، وطغى في ولايته وتجبّر، كان الحسن البصري أحدَ الرجال القلائل الذين تصدّوا لطغيانه، وجهروا بين الناس بسوء أفعاله وصدعوا بكلمة الحق في وجهه.

وقد بنى الحجاج بن يوسف الثقفي قصراً ودعا الناس للفرجة، فاغتنم الحسن البصري الفرصة ليعظ الناس ويذكّرهم ويزهدهم بعرض الدنيا، فوقف فيهم خطيباً، وقال: لقد نظرنا فيما ابتنى أخبث الأخبثين، فوجدنا أن فرعون شيد أعظم مما شيّد وبنى أعلى مما بنى، ثم أهلك الله فرعون وأتى على ما بنى وشيّد، ليت الحجاج يعلم أن أهل السماء قد مقتوه، وأن أهل الأرض قد غرّوه .

فدخل الحجَّاجُ إلى مجلسه، وهو يتميَّز من الغيظ، وقال لجلاَّسه: تبًا لكم، سُحقاً، يقوم عبدٌ من عبيد أهل البصرة، ويقول فينا ما شاء أن يقول، ثم لا يجد فيكم من يردُّه، أو ينكر عليه، والله لأسقينَّكم من دمه يا معشر الجبناء، ثم أمر بالسيف والنطع، ودعا بالجلاد فمَثُل واقفاً بين يديه، ثم وجَّه إلى الحسن بعضَ جنده، وأمرهم أن يأتوا به، ويقطعوا رأسه، وانتهى الأمرُ، وما هو إلا قليل حتى جاء الحسنُ، فشخصتْ نحوه الأبصارُ، ووجفت عليه القلوبُ، فلما رأى الحسنُ السيفَ والنطع والجلادَ حرَّك شفتيه، ثم أقبل على الحجاج، وعليه جلالُ المؤمن، وعزة المسلم، ووقارُ الداعية إلى الله، فلما رآه الحجاجُ على حاله هذه هابه أشدَّ الهيبة، وقال له: (ها هنا يا أبا سعيد، تعالَ اجلس هنا)، فما زال يوسع له ويقول: ها هنا، والناس لا يصدِّقون ما يرون، حتى أجلسَه على فراشه، ووضَعَه جنبه، ولما أخذ الحسنُ مجلسه التفت إليه الحجَّاجُ، وجعل يسأله عن بعض أمور الدين، والحسنُ يجيبه عن كلِّ مسألة بجنان ثابت، وبيان ساحر، وعلم واسع، فقال له الحجاج: أنت سيدُ العلماء يا أبا سعيد، دعا بغالية، (أحد أنواع الطيب)، وطيَّب له بها لحيته، وودَّعه.

ولما خرج الحسنُ من عنده تبعه حاجبُ الحجاج، وقال له: (يا أبا سعيد، لقد دعاك الحجاجُ لغير ما فعل بك، دعاك ليقتلك، والذي حدث أنه أكرمك، وإني رأيتك عندما أقبلت، ورأيتَ السيفَ والنطعَ قد حرَّكتَ شفتيك، فماذا قلت ؟ فقال الحسن: لقد قلت: (يا وليَ نعمتي، وملاذي عند كربتي، اجعل نقمته برداً وسلاماً عليَّ، كما جعلت النارَ برداً وسلاماً على إبراهيم).

وهناك واقعة أخرى تدل على شجاعة البصري وثقته في ربه ونفسه أمام أهل السلطة، وحرصه على أن يقول الحق مهما كلفه من عناء. فحين ولي عمر بن هبيرة الفزاري العراق وأضيفت إليه خراسان في أيام يزيد بن عبد الملك، استدعى الحسن البصري ومحمد بن سيرين والشعبي، فقال لهم: إن يزيد خليفة الله استخلفه على عباده، وأخذ عليهم الميثاق بطاعته، وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة، وقد ولاني ما ترون، فيكتب إليَّ بالأمر من أمره فأنفذ ذلك الأمر، فما ترون؟! فأجاب ابن سيرين والشعبي بقول فيه تقية، وقال ابن هبيرة: ﴿ما تقول يا حسن﴾، فقال: ﴿يا ابن هبيرة خف الله في يزيد، ولا تخف يزيد في الله، إن الله يمنعك من يزيد، وإن يزيد لا يمنعك من الله، وأوشك أن يبعث إليك ملكاً فيزيلك عن سريرك، ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك ثم لا ينجيك إلا عملك، يا ابن هبيرة إن تعص الله فإنما جعل الله هذا السلطان ناصراً لدين الله وعباده، فلا تركبن دين الله وعباده بسلطان الله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

مواقف من حياته

ونظر إلى جنازة قد ازدحم الناس عليها فقال: ما لكم تزدحمون هنا تلك هي ساريته في المسجد، اقعدوا تحتها حتى تكونوا مثله.

وقال لفرقد بن يعقوب: بلغني أنك لا تأكل الفالوذج، فقال: يا أبا سعيد أخاف ألا أؤدي شكره، قال الحسن: وهل تقدر تؤدي شكر الماء البارد الذي تشربه؟

وقيل للحسن: إن فلانا اغتابك، فبعث إليه طبق حلوى، وقال: بلغني أنك أهديت إلي حسناتك فكافأتك بهذا.

بلغت شهرة البصري الآفاق، ووصلت الثقة فيه والحب له إلى أقصى درجاته. وفي العام العاشر بعد المائة الأولى وفي غرة رجب ليلة الجمعة وافته المنية، فلما شاع الخبر بين الناس ارتجت البصرة كلها رجًا لموته رضي الله عنه، فغسل وكفن، وصلى عليه جمع غفير في الجامع الذي أمضى عمره فيه؛ داعيًا ومعلمًا وواعظًا، ثم تبع الناس جنازته بعد صلاة الجمعة، وانشغلوا في دفنه انشغالاً عميماً، حتى أنه لم تقم صلاة العصر في البصرة لانشغال الناس بتشييع هذا الرجل العظيم.

رابعة العدوية

هي من أشهر النساء الزاهدات بالدنيا, قصتها في حب الله تتناقلها الأجيال الإسلامية, جيلاً بعد جيل, لكونها نموذجاً فريداً لامرأة عاشت وفي ذهنها فلسفة في حب الله والتعلق به, ولذا لقَبها الناس بشهيدة العشق الإلهي.

شهرة يكتنفنها الغموض

رغم الشهرة الفائقة لرابعة العدوية فإن جوانب من شخصيتها ظللت تتوارى بِسَتْر الغُموض عن المؤرخين:

وقد امتد الغموض والخلاف إلى تاريخ ميلاد رابعة العدوية, إذ جزم البعض بأنه كان 135 هـ، فيما أكد آخرون أنه كان بعد ذلك بخمسين عاماً كاملة, وكذلك إلى قضية زواجها, إذ قال فريق إنها تزوجت, وسموا زوجها بأنه أحمد بن أبي الحواري, لكن اتضح أن الأخير هو زوج رابعة الشامية, وأنه مات سنة 230 هـ، مما يستبعد تماماً فكرة زواجه من العدوية. وقال فريق آخر بأنها عاشت متبتلة ولم تتزوج من أحد.

وقيل: إن أمير البصرة محمد بن سليمان الهاشمي عرض عليها الزواج وأغراها بالمال, لكنها كتبت إليه تقول: (الزهد في الدنيا راحة البدن, والرغبة فيها تورث الهم والحزن. فهيئ زادك, وقدّم لمعادك, وكن وصي نفسك, ولا تجعل الرجال أوصياءك فيقتسموا تركتك, وصم الدهر واجعل فطرك الموت. وأما أنا فلو خولني الله أمثالك وحزت أضعافه فلم يسرني أن أشتغل عن الله طرفة عين).

وتناقلت أبيات شعرها في المناجاة ألسنة عوام المسلمين، وينشدها الأئمة على المنابر ومن أشهرها:

أحبك حبين، حب الهوى ... وحباً لأنك أهل لذاكا

فأما الذي هو حب الهوى ... فشغلي بذكرك عمن سواكا

وأما الذي أنت أهل له ... فكشفك للحجب حتى أراكا

فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ... ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

وقالت

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذي فوق التراب تراب

وقالت

قالت رابعة: لو كانت الدنيا لرجل ما كان بها غنيًا..!

قالوا : لماذا ؟

قالت : لأنها تفنى!

من مناجاتها

إلهي أنارت النجوم, ونامت العيون، وغلَّقت الملوك أبوابها، وخلا كل حبيب بحبيبه، وهذا مقامي بين يديك.. إلهي هذا الليل قد أدبر, وهذا النهار قد أسفر, فليت شعري أقبلت منى ليلتي فأهنأ, أم رددتها علي فأعزى, فوعزتك هذا دأبي ما أحييتني وأعنتني, وعزتك لو طردتني عن بابك ما برحت عنه لما وقع في قلبي من محبتك.

يا رب أتحرق بالنار قلبًا يحبك، ولسانًا يذكرك، وعبدًا يخشاك؟!

سوف أتحمل كل ألم, وأصبر عليه, ولكن عذابًا أشد من هذا العذاب يؤلم روحي, ويفكك أوصال الصبر في نفسي, منشؤه ريب يدور في خلدي: هل أنت راضٍ عنى ؟ تلك غايتي.

سيدي لك تقرب المتقربون في الخلوات, ولعظمتك سبحت الحيتان في البحار الزاخرات, ولجلال قدسك تصافقت الأمواج المتلاطمات, أنت الذي سجد لك سواد الليل وضوء النهار, والفلك الدوار, والبحر الزخار, والقمر النوار, والنجم الزهار, وكل شيء عندك بمقدار, لأنك الله تعالى العلي القهار.

قال سفيان الثوري لرابعة: ما حقيقة إيمانك؟
فقالت له: ما عبدته خوفًا من ناره, ولا حبًا لجنته, فأكون كالأجير السوء, بل عبدته حبًا وشوقًا إليه.

ألا أيها المأمول في كل ساعة شكوت إليك الضر فارحم شكايتي
فزادي قليل ما أُرَاه مبلّغي ألزاد أبكي أم لطول مسافتي
أتحرقني بالنار يا غاية المنى فأين رجائي فيك أين مخافتي

كانت رابعة تصلي ألف ركعة في اليوم والليلة! فقيل لها: ما تريدين بهذا؟ قالت : أفعله لكي يُسرَّ به رسول الله يوم القيامة, فيقول للأنبياء: انظروا إلى امرأة من أمتي هذا عملها.
هتف رجل من العبَّاد في مجلس رابعة: اللهم ارضَ عني.
قالت رابعة : لو رضيت عن الله لرضي عنك.
قال : وكيف أرضى عن الله ؟
قالت : يوم تُسرُّ بالنقمة سرورك بالنعمة، لأن كليهما من عند الله.

وعلى رغم أن الكثير مما ينسب إلى رابعة من أقوال وأفعال لا يزال في حاجة إلى تدقيق وتحقق, فإن هذه الشخصية المذهلة صورت جانباً لا يمكن لأحد نكرانه من تجربة الزهاد المسلمين الروحية, يتعلق بإمكان أن تزهد المرأة وتهجر لذّات الدنيا, ويكون لها في عالم الأدب مع الله شأن تتناقله الأجيال.
ويكفي لرابعة تلك الشهادة التي قالها فيها سفيان الثوري, وهو من المحدثين والفقهاء الورعين، إذ قابلها يوماً وهي رزية الحال, فقال لها: أرى حالاً رثة, فلو أتيت فلاناً جارك لغير بعض ما أرى.
فقالت له: يا سفيان, وما ترى من سوء حالي؟ ألست على الإسلام وهو العز الذي لا ذل معه, والغنى الذي لا فقر معه, والأنس الذي لا وحشة معه. والله إني لأستحي أن أسأل الدنيا ممن يملكها, فكيف أسألها ممن لا يملكها.
فقام سفيان وهو يقول: ما سمعت مثل هذا الكلام.

عامر بن عبد الله التميمي

هو عامر بن عبد قيس التميمي العنبري البصري الزاهد أبو عبد الله ويقال : أبو عمرو, عابد زمانه روى عن : عمر وسلمان الفارسي, وعنه : الحسن وابن سيرين وأبو عبد الرحمن الحبلي وغيرهم, قال أحمد العجلي : كان ثقة من كبار التابعين.

تابعي جليل.. اشتهر بالزهد.. قال فيه علقمة بن مرثد: انتهى الزهد إلى ثمانية في مقدمتهم عامر بن عبد الله التميمي..في السنة الرابعة عشرة للهجرة أمر خليفة المسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه ببناء مدينة البصرة لتكون قاعدة للدعوة و منارة لإعلاء كلمة الله في الأرض.. وبدأ المسلمون ينطلقون نحو المدينة الجديدة حتى يعمروها بدين الله، ولكي تكون لهم أيضاً معسكراً للجيش الإسلامي الذي يتأهب لغزو فارس.. والمسلمون يوم ذاك حريصون على أن يكونوا على ثغر من ثغور الإسلام.. يردون عدوان العادين.. ويؤمّنون حدود الدولة.. وينشرون دعوة الله في العالمين.. كان من هؤلاء الذين اتجهوا إلى البصرة فتى في بواكير صباه من أهل نجد و من قبيلة بني تميم يدعى عامر بن عبد الله التميمي العنبري.. وكانت البصرة وافرة الغنى.. لما كان يصب فيها من غنائم الحرب، لكن الفتى التميمي لم يكن آبها لهذه الغنائم، فقد كان زاهداً فيما عند الناس.. راغباً فيما عند الله من الأجر العظيم.

وكان المستعمل على البصرة يومئذ هو الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري رضي الله عنه فهو الوالي والقائد والإمام.. أصر الفتى التميمي أن يكون حظه من الذهاب إلى البصرة الآخرة، وأن يسعى لها سعيها، فصحب أبا موسى.. ولازمه في الحل والترحال.. وروى عنه الحديث وتفقه على يديه في دين الله عز و جل.

فلما أدرك بغيته.. ونال مراده.. من العلم والفقه جعل حياته ثلاثة أشطر: فشطر في حلق الذكر ومجالس العلم.. وشطر في خلوات التعبد.. وشطر في معمعات الجهاد.. واستغرقت هذه الأشطر الثلاثة حياته كلها.. فلم يكن فيها فسحةٌ لغيرها.. ومن أخباره ما رواه بعض البصريين: سافرت في قافلة فيها عامر بن عبد الله، فلما أقبل علينا الليل نزلنا بغيضة، فجمع عامر متاعه، وربط فرسه بشجرة وطول له زمامه وجمع له من حشائش الأرض ما يشبعه، ثم أوغل في الغيضة حتى انتهى إلى رابية ملتفة الشجر مستورة عن الأعين، فاستقبل القبلة وانتصب قائماً يصلي، فما رأيت أحسن ولا أكمل ولا أخشع من صلاته، ثم طفق يدعو ربه و يناجيه.. فكان مما قال: (اللهم قد خلقتني بأمرك، وأقمتني في بلايا الدنيا بمشيئتك، ثم أمرتني أن أستمسك.. فكيف أستمسك إن لم تمسكني بلطفك يا قوي يا متين؟)، قال الرجل البصري: ثم غلبني النعاس فأسلمت جفني للكرى، ثم استيقظت و عامر منتصب في موقفه ماض في صلاته ومناجاته، حتى أصبح الصبح فأدى المكتوبة، ثم أقبل يدعو فقال: (اللهم قد أصبح الصبح و طفق الناس يغدون ويروحون، وإن لكل منهم حاجة، وإن حاجة عامر عندك أن تغفر له.. اللهم إني سألتك ثلاثا فأعطيتني اثنين ومنعتني واحدة.. اللهم فأعطنيها حتى أعبدك كما أحب وأريد)، و نهض من مجلسه فوقع بصره علي فعلم بمتابعتي له فقال لي في أسى: أراك كنت ترقبني الليلة يا أخا البصرة، فقلت: نعم، فقال: استر ما رأيت مني ستر الله عليك، فقلت: والله لتحدثني بهذه الثلاث التي سألتها ربك فأعطاك اثنتين ومنع عنك واحدة، فقال: لم يكن شيء أخوف علي في ديني من النساء، فسألت ربي أن ينزع من قلبي حبهن فاستجاب لي.. والثانية أني سألت ربي

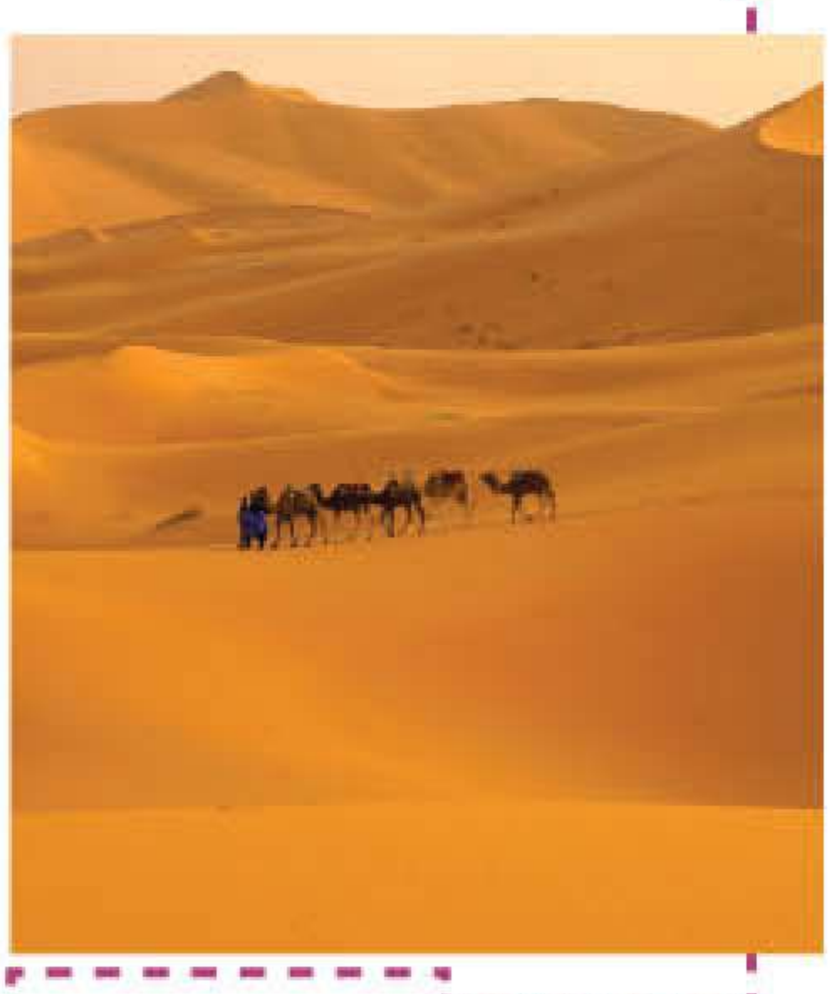

ألا أخاف أحدا غيره فاستجاب لي، حتى إني والله لا أرهب شيئاً في الأرض ولا في السماء سواه، ثم قلت له: وما الثالثة؟، فقال: سألت ربي أن ينزع عني النوم حتى أعبده بالليل وبالنهار فمنعني الثالثة.. غير أن عامراً لم يكن من عبّاد الليل فحسب، وإنما كان أيضاً من فرسان النهار، وكان إذا نهد لغزوة من الغزوات مع المجاهدين قال لهم: يا هؤلاء أريد أن أصحبكم على أن تعطوني من أنفسكم ثلاث خلال: أولاهن أن أكون لكم خادماً فلا ينازعني في خدمتكم أحد، والثانية أن أكون لكم مؤذناً للصلاة فلا ينازعني في النداء للصلاة أحد، والثالثة أن أنفق عليكم بقدر طاقتي. فكان رحمه الله يتقرب إلى الله بخدمة المجاهدين في سبيله.

وكان من زهده أنه بعد أن ينفض القتال لم يكن يأخذ نصيبه من الغنائم, وإن أجبر على أخذها كان يأخذ عطاءه فيجعله في طرف ثوبه فلا يلقاه أحد من المساكين إلا أعطاه, فإذا دخل بيته رمى به إليهم فيعدونها فيجدونها سواء كما أعطيها.

وحدث في أخريات عمره أن وشى به بعض الوشاة على عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وكادت تحدث فتن من جراء تلك الوشاية, فكان سببها أنه ذات يوم رأى أحد الشرطة يجر شاباً من أهل الكتاب في السوق, وكان الشاب ينادي بوفاء عهد النبي عليه الصلاة والسلام لأهل الذمة من أهل الكتاب, فما استطاع أن يصبر على ندائه, فأمسك بالشرطي والرجل فسأله: هل أديت جزيتك, فأجاب بنعم, وسأله إن كان قد ارتكب جرماً فأجاب بالنفي, فسأل الشرطي عن سبب جرمه فقال: نأخذه ليمشط حديقة قائد الشرطة!

فألقى عامر رداءه ثم قال: لا أرى ذمة الله تخفر وأنا حي، فاستنقذ الذمي, وأجبر الشرطي على تركه, فكتب فيه الشرطي تقريراً مليئاً بالكذب والافتراء على عامر وعلى شرفه وعقيدته وصلاحه, واتهمه بأبشع التهم.

ووصل كتاب الشرطي لأمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه, فبعث لأمير البصرة أن يسأل عامراً عن ما ورد في التقرير ليتأكد, فبعث إليه أمير البصرة : ما لك لا تزوج النساء؟ قال : ما تركتهن وإني لدائب في الخطيئة, فقصد أن فيه شيئا من ضعف أمام النساء وخشي إن تزوج أن يشغلهُ ذلك عن العبادة, وقال : وما لك لا تأكل الجبن؟ قال : أنا بأرض فيها مجوس فما شهد شاهدان من المسلمين أن ليس فيه ميتة أكلته, وكان ذلك من شدة ورعه. وقال: وما يمنعك أن تأتي الأمراء؟ قال: إن لدى أبوابكم طلاب الحاجات، فادعوهم واقضوا حوائجهم، ودعوا من لا حاجة له إليكم.

فأمر عثمان - درءاً للفتنة - بتسييره إلى بلاد الشام، وأوصى أمير المؤمنين واليه على الشام معاوية بن أبي سفيان أن يحسن استقباله له و يرعى حرمته، وكان مما قال عند مغادرته البصرة لمن شيعوه -وطلبوا منه أن يودعهم بشيء من الكلمات- فقال: إني داع فأمنوا علي دعائي: (اللهم من وشى بي و كذب علي، وكان سببا في إخراجي من بلدي والتفريق بيني و بين صحبي، اللهم إني صفحت عنه فاصفح عنه وهبه العافية في دينه ودنياه، وتغمدني وإياه وسائر المسلمين برحمتك وعفوك وإحسانك)، ثم وجه مطيته إلى ديار الشام.

ولما مرض مرض الموت بكى فقالوا: ما يبكيك وقد كنت وكنت؟!، قال: ما أبكي حرصا على الدنيا وجزعا من الموت، وإنما أبكي طول السفر وقلة الزاد.. ثم لفظ أنفاسه ولسانه رطب بذكر الله.

إبراهيم بن أدهم

أطلق عليه الناس «سلطان الزاهدين». متفق على ورعه وزهده ونبل مقصده وحسن سيرته لدى الفرق والجماعات والتيارات الإسلامية كافة. كان يبحث عن الحلال عملاً وطعاماً, ويعد هذا الأمر جوهر العبادة. ترك وراءه أقوالا مأثورة ومواعظ محفورة في قلوب العارفين.

هو إبراهيم بن منصور بن يزيد بن جابر التميمي البلْخي, ويكنَّى بأبي إسحق. مسقط رأسه كورة بلخ في خراسان, ولد في مكة حين كان أبوه يحج مع زوجته وهي حبلى, وقيل إنها طافت به على الخلق في الحرم, وطلبت من كل من رآته أن يدعو الله له أن يكون صالحاً. وقد كان الأب من الأثرياء, فعاش ابنه في كنفه حياة سهلة مترفة, وكان مشغولاً في مقتبل حياته بالصيد.

ويقال: إنه خرج ذات يوم في رحلة صيد راكبًا فرسه, وكلبه معه, فسمع هاتفاً يقول له: ليس لهذا خلقت ولا بذا أمرت. وتكرر النداء مرات عدة, فأيقن أنه هاتف من السماء –وقد يكون حديث نفس في قلبه–, فأوقف فرسه, وصادف راعياً لأبيه, فأخذ جبته ولبسها, وأعطاه ثيابه وقماشه وفرسه وترك طريقته, ثم قال: والله لا عصيت الله بعد يومي إذا ما عصمني ربي, ثم بدأ رحلته إلى الله بطلب العلم والغوص في قيعان الزهد البعيدة, فذهب إلى مكة وصحب سفيان الثوري, والفُضَيْل بن عياض, وتعلم منهما الكثير, ثم عاد إلى الشام, وشارك في الجهاد, ورابط على الثغور, واستقر زمناً في البصرة, وذاع صيته بين الناس.

وفي هذا سمعه أحد أصحابه ذات مرة وهو يقول: ذهب السخاء والكرم والجود والمواساة, من لم يواسِ الناس بماله وطعامه وشرابه فليواسهم ببسط الوجه والخلق الحسن. إياكم أن تكون أموالكم سببًا في أن تتكبروا على فقرائكم, أو سببًا في ألا تميلوا إلى ضعفائكم, وألا تبسطوا إلى مساكينكم.

كان نشيطًا في عمله, يحكى عنه أنه حصد في يوم من الأيام ما يحصده عشرة رجال, وفي أثناء حصاده كان ينشد قائلاً: (اتَّخِذِ اللّه صاحبًا... ودَعِ النّاسَ جانبا).

ويروى أنه ادخر من عمله عشرين ديناراً ودخل إلى أذنة, ومعه صاحب له. فأراد أن يحلق ويحتجم, فجاء إلى حجام, فحقره الحجام وصاحبه, وقال: «ما في الدنيا أحد أبغض إلي من هؤلاء! أما وجدوا غيري!» فقضى شغل غيرهما, وأعرض عنهما. ثم قال: أي شيء تريدان؟ فقال إبراهيم: «أحتجم وأحلق». ففعل به, وأما صاحبه فقال له: لا أفعل ذلك ! لتهاونه بهما, ثم أعطاه إبراهيم كل الذي كان معه, فقال له صاحبه: «كيف ذاك!» فقال: «اسكت لئلا يحتقر فقيراً بعده».

كذلك رُوي أنه كان يعمل في الحصاد وحفظ البساتين وغير ذلك, وينفق على من في صحبته من الفقراء وكان يعمل نهاره, ويجتمعون ليلاً إلى موضع, وهم صيام, وكان إبراهيم يبطئ في رجوعه من عمله. فقالوا ليلة: «هلمَ نسبقه حتى لا يبطئ، ففعلوا وناموا. فجاء إبراهيم, فظن أنهم لم يجدوا طعاماً، فأصلحه لهم، فانتبهوا وقد وضع شيبته في النار, وينفخ بها، فقالوا له في ذلك فقال: «ظننت أنكم نمتم جوعى لأجل العدم، فأصلحت لكم ذلك!», فقال بعضهم لبعض: انظروا ما الذي عملنا، وما الذي يعاملنا به.

وركب مرة البحر، فهاج عليهم، فلف رأسه في عباءة ونام. فقيل له: ما ترى ما نحن فيه من الشدة! فقال: ليس هذا شدة! الشدة الحاجة إلى الناس. ثم قال: اللهم! أريتنا قدرتك، فأرنا لطفك.

وكان في هذا يقول أيضاً: لا تُنال جنته إلا بطاعته، ولا تنال ولايته إلا بمحبته، ولا تنال مرضاته إلا بترك معصيته، فإن الله تعالى قد أعدّ المغفرة للأوابين، وأعد الرحمة للتوابين، وأعدّ الجنة للخائفين، وأعدّ الحور للمطيعين, وأعدّ رؤيته للمشتاقين، قال الله تعالي: «وإِنِّى لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وآمن وعمل صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى».

وقد أتى إليه رجل فقال: يا أبا إسحاق إني مسرف على نفسي، فاعرض عليّ ما يكون لها زاجراً ومستنقذاً.

فقال إبراهيم: إن قبلت خمس خصال، وقدرت عليها لم تضرك المعصية.

قال: هات يا أبا إسحاق.

قال: أما الأولى: فإذا أردت أن تعصي الله تعالى، فلا تأكل من رزقه.

قال: فمن أين آكل، وكل ما في الأرض رزقه؟

قال: يا هذا! أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتعصيه؟

قال: لا... هات الثانية.

قال: وإذا أردت أن تعصيه فلا تسكن شيئاً من بلاده؟

قال: هذه أعظم، فأين أسكن؟

قال: يا هذا! أفيحسن بك أن تأكل رزقه، وتسكن بلاده، وتعصيه؟

قال: لا... هات الثالثة.

قال: وإذا أردت أن تعصيه، وأنت تأكل رزقه، وتسكن بلاده، فانظر موضعاً لا يراك فيه فاعصه فيه؟

قال: يا إبراهيم! ما هذا؟ وهو يطلع على ما في السرائر؟

قال: يا هذا! أفيحسن بك أن تأكل رزقه، وتسكن بلاده، وتعصيه؟

قال: لا... هات الرابعة.

قال: فإذا جاءك الموت ليقبض روحك، فقل له: أخرني حتى أتوب توبة نصوحاً، وأعمل لله صالحاً.

قال: لا يقبل مني؟

قال: يا هذا! فأنت إذا لم تقدر أن تدفع عنك الموت لتتوب، وتعلم أنه إذا جاءك لم يكن له تأخير، فكيف ترجو وجه الخلاص؟

قال: هات الخامسة.

قال: إذا جاءك الزبانية يوم القيامة، ليأخذوك إلى النار، فلا تذهب معهم؟

قال: إنهم لا يدعونني، ولا يقبلون مني.

قال: فكيف ترجو النجاة إذن؟

قال: يا إبراهيم، حسبي، حسبي، أنا أستغفر الله وأتوب إليه.

فكان لتوبته وفياً، فلزم العبادة، واجتنب المعاصي حتى فارق الدنيا.

وصية نافعة

وقد قيل له: أوصنا بما ينفعنا فقال: إذا رأيتم الناس مشغولين بأمر الدنيا فاشتغلوا بأمر الآخرة، وإذا اشتغلوا بتزيين ظواهرهم فاشتغلوا بتزيين بواطنكم، وإذا اشتغلوا بعمارة البساتين والقصور فاشتغلوا بعمارة القبور، وإذا شتغلوا بخدمة المخلوقين فاشتغلوا بخدمة رب العالمين، وإذا اشتغلوا بعيوب الناس فاشتغلوا بعيوب أنفسكم، واتخذوا من الدنيا زاداً يوصلكم إلى الآخرة فإنما الدنيا مزرعة الآخرة.

كذلك كانت له أقوال مشهورة, منها

- الفقر مخزون في السماء, يعدل الشهادة عند الله, لا يعطيه إلا لمن أحبه.
- على القلب ثلاثة أغطية: الفرح, والحزن, والسرور. فإذا فرحت بالموجود فأنت حريص, الحريص محروم. وإذا حزنت على المفقود فأنت ساخط, والساخط معذب, وإذا سررت بالمدح فأنت معجب, والعجب يحبط العمل. ودليل ذلك قول القرآن: ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ (الحديد: ٢٣)
- قلة الحرص والطمع تورث الصدق والورع, وكثرة الحرص والطمع تكثر الهم والجزع.
- كل سلطان لا يكون عادلاً فهو واللص سواء, وكل عالم لا يكون تقيًا فهو والذئب سواء, وكل من ذلّ لغير الله فهو والكلب سواء.
- إنما يتم الورع بتسوية كل الخلق في قلبك, والاشتغال عن عيوبهم بذنبك, وعليك باللفظ الجميل من قلب ذليل لرب جليل, فكر في ذنبك وتب إلى ربك ينبت الورع في قلبك واقطع الطمع إلا من ربك.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق: ٣٧).

توفي ابن أدهم سنة ١٦٢ هـ وهو مرابط في إحدى جزر البحر المتوسط, ولما شعر بدنوّ أجله قال لأصحابه: أوتروا لي قوسي، فأوتروه، فقبض على القوس ومات وهو قابض عليها يريد الرمي بها, وقيل: إنه مات في حملة بحرية على البيزنطيين, ودُفن في مدينة جبلة على الساحل السوري, وجاء في معجم البلدان أنه مات بحصن سوقين ببلاد الروم.

عمر بن عبدالعزيز

اسمه ونسبه

عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ثامن الخلفاء الأمويين, الإمام الحافظ, العلامة المجتهد، خامس الخلفاء الراشدين، وعرف بأشج بني أمية.، ويرجع نسبه من أمه إلى عمر بن الخطاب حيث كانت أمه هي أم عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وبذلك يصبح الخليفة عمر بن الخطاب جد الخليفة عمر بن عبد العزيز. ولد في المدينة المنورة وقد تلقى علومه وأصول الدين على يد صالح بن كيسان في المدينة المنورة واستفاد كثيراً من عُلَمَائها، ثم استدعاه عمه الخليفة عبد الملك بن مروان إلى دمشق عاصمة الدولة الأموية، وزوجه ابنته فاطمة، وعينه أميراً على إمارة صغيرة بالقرب من حلب تسمى دير سمعان، وظل والياً عليها حتى سنة ٨٦ هـ.

ولادته

ولد بمصر سنة ثلاث وستين. وقيل: سنة إحدى وستين, وهي السنة التي قتل فيها الحسين بن علي رضي الله عنهما، وقيل: سنة تسع وخمسين.

نشأته حال صغره وتربيته

كان عمر رحمه الله ابن والي مصر عبد العزيز, وكان يعيش في أسرة الملك والحكم, حيث النعيم الدنيوي, وزخرف الدنيا الزائل, وكان رحمه الله يتقلب في نعيم يفوق كل وصف, ويتحدى كل إحاطة, إنّ دخله السنوي من راتبه ومخصصاته ونتاج الأرض التي ورثها من أبيه يجاوز أربعين ألف دينار, وإنه ليتحرك مسافراً من الشام إلى المدينة, فينتظم موكبه خمسين جملاً تحمل متاعه.

وكان يلبس أبهى الثياب و أغلاها, و يعطر نفسه بأبهج عطور دنياه, حتى إنه ليعبر طريقاً ما, فيعلم الناس أنها رائحته, و كان رحمه الله يتأنق في كل شيء, حتى المشية, التي انفرد بها وشغف الشباب بمحاكاتها وعرفت لفرط أناقتها وزهوها بـ «المشية العمرية».

ثم إنه رحمه الله مع هذا كله كان فيه نبوغ مبكر فلم تنسه هذه الدنيا وزخرفها الله تعالى والدار الآخرة, بل إنه رحمه الله كان فيه حب للعلم وأهله كما سيأتي.

لقد حفظ القرآن وهو صغير, تحدث هو عن نفسه وطفولته فقال: " لقد رأيتني بالمدينة غلاماً مع الغلمان ثم تاقت نفسي للعلم, فأصبت منه حاجتي, وطلب من والده أن يغادر مصر إلى المدينة ليَدْرُس بها ويتفقه, فأرسله إليها وعهد به إلى واحد من كبار معلمي المدينة وفقهائها وصالحيها وهو: صالح بن كيسان رحمه الله, ثم لا يكاد ينزل بها حتى يلوذ بالشيوخ والعلماء والفقهاء, وُيْقبلُ على العربية وآدابها وشعرها فاستوعب من ذَلك كله محصولاً وفيراً.

قصة حلق رأسه

كان صالح بن كيسان رحمه الله يحرص على أن يُلزم عمر على الصلوات في وقتها, فتأخر يوماً عن الصلاة, فسأله: ما حبسك؟ قال: كانت مرجلتي- خادمتي - تسكن شعري. فقال: بلغ من تسكين شعرك أن تؤثره على الصلاة ! وكتب بذلك إلى والده, فبعث عبد العزيز رسولاً إليه، فاتفق مع شيخه على حلق شعره حتى لا يتأخر عن الصلاة.

بكاؤه حال صغره وخوفه

لما حج أبوه اجتاز به في المدينة فسأل شيخه صالح بن كيسان عنه فقال: ما خبرتُ أحداً الله أعظم في صدره من هذا الغلام, بكى وهو غلام صغير فأرسلت إليه أمه وقالت: ما يبكيك؟ قال: ذكرت الموت, قال أبو قبيل: وكان يومئذ قد جمع القرآن, فبكت أمه حين بلغها ذلك.

نبذة من حياته مع أهله

تخييره زوجته لما ولي الخلافة خيّر امرأته فاطمة بنت عبدالملك بن مروان –ابنة الخليفة – بين أن تقيم معه, على أنه لا وقت له إليها, وبين أن تلحق بأهلها, فبكت وبكى جواريها لبكائها, فسُمعت ضجة في داره, ثم اختارت مقامها معه على كل حال رحمها الله, وكانت امرأة تقية ذات علم وفقه وأدب, وعرف عنها صلاحها حتى إن أحد أماني عمر في شبابه أن يتزوج بها.

ولـــــده ينصحه

دخل عبد الملك بن عمر بن عبدالعزيز على أبيه فقال: يا أمير المؤمنين ما أنت قائل لربك غداً إذا سألك فقال: رأيتَ بدعة فلم تمتها، أو سنة فلم تحيها؟ فقال أبوه: رحمك الله وجزاك من ولد خيراً، يا بني إن قومك قد شدوا هذا الأمر عقدة عقدة، وعروة عروة، ومتى أردت مكابرتهم على انتزاع ما في أيديهم لم آمن أن يفتقوا عليّ فتقاً يكثر فيه الدماء، والله لزوال الدنيا أهون عليّ من أن يراق بسببي محجمة من دم، أوما ترضى أن لا يأتي على أبيك يوم من أيام الدنيا إلا وهو يميت فيه بدعة ويحيي فيه سنة ؟!

يرغب عن طعامه الخدَّام

قال أبو أمية الخصمي غلام عمر: دخلت يوماً على مولاتي فغدّتني عدساً، فقلت: كل يوم عدس؟ قالت: يا بني هذا طعام مولاك أمير المؤمنين.

قصة مع خادم له

رأى أمير المؤمنين خادماً له يسحب برذونه -بغله-, فسأله : كيف حال الناس ؟ فأجابه : كل الناس في راحة إلا أنت وأنا وهذا البرذون !

ولايته على المدينة المنورة وأعماله فيها

لما ولي الوليد بن عبد الملك الخلافة أَمَّرَ عمر ابن عبد العزيز على المدينة فظل واليا عليها من سنة 86 هـ حتى 93 هـ، ولما قدم على المدينة والياً صلى الظهر ودعا بعشرة: عروة وعبيد الله وسليمان بن يسار والقاسم وسالم وخارجة وأبي بكر بن عبد الرحمن وأبي بكر بن سليمان وعبد الله بن عامر, فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إني دعوتكم لأمر تؤجرون فيه، ونكون فيه أعواناً على الحق، ما أريد أن أقطع أمراً إلا برأيكم، أو برأي من حضر منكم, فإن رأيتم أحداً يتعدى، أو بلغكم عن عامل ظلامة فأحرج بالله على من بلغه ذلك إلا أبلغني». فجزوه خيراً وافترقوا. وبنى في مدة ولايته هذا المسجد النبوي ووسعه عن أمر الوليد له بذلك. واتسعت ولايته فصار والياً على الحجاز كلها، وراح ينشر بين الناس العدل والأمن, وراح يذيقهم حلاوة الرحمة, وسكينة النفس، نائياً بنفسه عن مظالم العهد وآثامه، متحدياً جباريه وطغاته، وعلى رأسهم الحجاج بن يوسف الثقفي, وكان عمر يمقته أشد المقت بسبب طغيانه وعَسْفه, وكان نائباً على الحج في إحدى السنين فأرسل عمر إلى الوليد يسأله أن يأمر الحجاج ألا يذهب إلى المدينة ولا يمر بها, رغم أنه يعرف ما للحجاج من مكانة في نفوس الخلفاء الأمويين, وأجاب الخليفة طلب عمر وكتب إلى الحجاج يقول «إن عمر بن عبد العزيز كتب إليّ يستعفيني من ممرك عليه بالمدينة, فلا عليك ألا تمر بمن يكرهك, فنح نفسك عن المدينة». و وشى به الحجاج وشاية إلى الوليد كانت سبباً في عزله, ولما عُزل منها وخرج منها التفت إليها وبكى وقال لمولاه: « يا مزاحم نخشى أن نكون ممن نفت المدينة». يعني أن المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد وينصع طيبها, ونزل بمكان قريب منها يُقال له السويداء حيناً, ثم قدم دمشق على بني عمه.

في عهد سليمان بن عبدالملك

قيل: إن سليمان بن عبد الملك حج فرأى الخلائق بالموقف فقال لعمر: أما ترى هذا الخلق لا يحصي عددهم إلا الله ؟ قال: هؤلاء اليوم رعيتك, وهم غداً خصماؤك. فبكى بكاءً شديداً. اصطحبه الخليفة سليمان بن عبد الملك يوماً لزيارة بعض معسكرات الجيش وأمام معسكر يعج بالعتاد والرجال, سأله سليمان في زهوه: «ما تقول في هذا الذي ترى يا عمر؟» فقال « أرى دنيا, يأكل بعضها بعضاً، وأنت المسؤول عنها والمأخوذ بها» فقال له بعد أن بُهت: «ما أعجبك!!» فقال عمر: بل ما أعجب من عرف الله فعصاه, وعرف الشيطان فاتبعه, وعرف الدنيا فركن إليها».

كيف اختير للخلافة

لما مرض سليمان بن عبدالملك بدابق قال لرجاء ابن حيوة (- شيخ أهل الشام في عصره من الوعاظ الفصحاء العلماء عرف بنصحه لسليمان بن عبدالملك طوال فترة خلافته, واستطاع أن يقنعه بتولية عمر): «يا رجاء أستخلف ابني؟!» فرد: «ابنك غائب - على أحد الجيوش الإسلامية - ولا تدري أحي هو أم ميت»، قال : «فالآخر؟» قال: «هو صغير», قال: «فمن ترى؟» قال: « عمر بن عبد العزيز» قال: «أتخوف بني عبد الملك أن لا يرضوا» قال: «قوله, ومن بعده يزيد بن عبد الملك, وتكتب كتاباً وتختمه, وتدعوهم إلى بيعة مختوم عليها» قال: فكتب العهد وختمه, وخرج رجاء لبني أمية, وقال: إن أمير المؤمنين يأمركم أن تبايعوا لمن في هذا الكتاب, قالوا: ومن فيه؟ قال: مختوم, ولا تُخبرون بمن فيه حتى يموت, فامتنعوا, فقال سليمان: انطلق إلى أصحاب الشُرَط وناد: الصلاة جامعة, ومرهم بالبيعة, ففعل, فبايعوا, قال رجاء: فلما خرجوا أتاني هشام في موكبه فقال: قد علمت موقفك منّا, وأنا أتخوف أن يكون أمير المؤمنين أزالها عني, فأعلمني ما دام في الأمر نفس, قلت: سبحان الله يستكتمني أمير المؤمنين وأطلعك, لا يكون ذاك أبداً, فأدارني وألاصني, فأبيت عليه، فانصرف, فبينما أنا أسير إذ سمعت جلبة خلفي, فإذا عمر بن عبد العزيز فقال: رجاء, قد وقع في نفسي أمر كبير من هذا الرجل, أتخوف أن يكون جعلها إليّ ولست أقوم بهذا الشأن, فأعلمني ما دام في الأمر نفس لعلي أتخلص, قلت: سبحان الله, يستكتمني أمراً أطلعك عليه.

فكانت هذه من المفارقات العجيبة, حيث إن هشام كان راغباً ويتربص بالولاية, وأما عمر فكان خائفاً من أن يولى شيئاً من أمر المسلمين, بالرغم من أن نفسه تاقت للخلافة من قبل كما قال.

أول خطبة له رحمه الله

أول خطبة له : حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس من صحبنا فليصحبنا بخمس وإلا فليفارقنا, يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها, ويعيننا على الخير بجهده, ويدلنا على الخير ما نهتدي إليه, ولا يغتابنّ عندنا أحداً, ولا يعرضن فيما لا يعنيه . فانقشع عنه الشعراء ... وثبت معه الفقهاء والزهاد.

أعماله في الخلافة

إن العصر الذي عاش فيه عمر بن عبد العزيز رحمه الله قبيل خلافته كان كما يصفه أحد الكتاب: "زمن قسوة من الأمـــراء", كيف لا والحجاج بالعراق, ومحمد بن يوسف باليمن, وغيرهما بالحجاز وبمصر وبالمغرب, حتى قال عمر: (امتلأت الأرض والله جوراً). وكذلك فيه من الفساد أن راح كل قادر على النهب ينتهب ما تصل إليه يداه, وغابت الأخلاق فشاع الترف والانحلال, و وراء الفساد سار الخراب, فأخذت الأزمات المالية بخناق الدولة ومحق إنتاجها, وكان فيه تزييف لقيم الدين حتى إنه كان يلعن على المنابر بطل الإسلام العظيم وابنه البار وإمامه الأواب ورابع الخلفاء وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه, وساعد في هذا التزييف شعراء العصر.

بدأ عمر بن عبد العزيز رحمه الله بتغيير هذا الواقع إلى الصورة المثلى في ذهنه, فلما ولي بدأ بلحمته وأهل بيته, فأخذ ما بأيديهم, وسمى أموالهم مظالم, وهي الأموال الهائلة, والثروات العظيمة التي تملكها أسرته, وإخوته وحاشيته, وعزم على ردها إلى أصحابها إن عرف أصحابها أو إلى الخزانة العامة, وكان أول من أوقف عطايا بني أمية, وأن ينفذ على الجميع قانون (من أين لك هذا) وبدأ في ذلك بنفسه, فقد كان له عقارات أيام أسلافه من الخلفاء فرأى أنه لم يكن لهم سلطة شرعية عليها ليعطوه إياها وأنها من أملاك الدولة, وأحصى أملاكه فإذا هي كلها من عطايا الخلفاء ولم يجد إلا عيناً في السويداء كان استنبطها من عطائه - والعطاء رواتب عامة تعطى للناس جميعاً من بيت المال - وتوجه إلى أمراء البيت الأموي فجمعهم وحاول أن يعظهم ويخوفهم الله, وبين لهم أن ليس لهم من الحق في أموال الخزانة العامة أكثر مما للأعرابي في صحرائه, والراعي في جبله, وأن ما بأيديهم من أموال جمعوها من حرام ليس لهم إنما هو لله, وأرادهم على ردها فأبوا, ودعاهم مرة أخرى إلى وليمة واستعمل أسلوباً آخر من اللين فلم يستجيبوا, فلما عجزت معهم أساليب اللين عمد إلى الشدة وأعلم أنه كل من كانت له مظلمة أو عدا عليه أحد من هؤلاء فليتقدم بدعواه, وألف لذلك محكمة خاصة, وبدأ يجردهم من هذه الثروات التي أخذوها بغير وجهها ويردها إلى أصحابها أو إلى الخزانة العامة .

و وسطوا له عمة له كان يوقرها بنو أمية لسنها وشرفها. فكلمته فقال: إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة ولم يبعثه عذاباً، واختار له ما عنده. فترك لهم نهراً، شُرْبُهُم سواء، ثم قام أبو بكر فترك النهر على حاله، ثم عمر فعمل عمل صاحبه، ثم لم يزل يشتق منه يزيد ومروان وعبد الملك والوليد وسليمان حتى أفضى الأمر إليّ، وقد يبس النهر الأعظم ولن يروي أهله حتى يعود إلى ما كان، - وطلب جمراً وديناراً-. فألقى الدينار في الجمر حتى إذا احمرّ أخذه وقرّبه إلى جلده. وقال: يا عمة أما تشفقين على ابن أخيك أن يكوى بهذا يوم القيامة؟ فخرجت منه فقالت لآل أمية المنتظرين نتيجة هذا اللقاء: هذا ذنبكم لماذا زوجتم أباه بنت عمر بن الخطاب؟ - وتقصد أن فيه من زهد عمر و ورعه الذي ورثه منه -. اصبروا فإنه لا يجير.

وتجرأ عليه ابن للوليد فكتب إليه كتاباً شديد اللهجة أشبه بإعلان الثورة. فغضب عمر له وقبض عليه وحاكمه بمحاكمة كادت تؤدي به إلى سيف الجلاد لولا أن تاب وأناب.

وخضعوا جميعاً وردوا ما كان في أيديهم من الأموال. واكتفوا بمرتباتهم الكثيرة التي كانوا يأخذونها من الخزانة. ولكن عمر لم يكتف وأمر بقطع هذه الرواتب وإعطائهم عطاء أمثالهم، وأمرهم بالعمل كما يعمل الناس. وعم الأمن وهمدت الثورات، وشملت السعادة الناس، واختفت مظاهر البذخ الفاحش. ومظاهر الفقر المدقع، وصارت هذه البلاد التي تمتد من فرنسا إلى الصين تعيش بالحب والإخلاص والود.

وأمر رحمه الله بعزل الولاة الظلمة. وبدأ بالتغيير السريع الحاسم الذي يجب أن يتم على مستوى الأمة في ذلك الوقت.

ما دار بينه وبين ابنه بعد توليه الخلافة

اتجه عمر إلى بيته وآوى إلى فراشه, فما كاد يسلم جنبه إلى مضجعه حتى أقبل عليه ابنه عبد الملك وكان عمره آنذاك سبعة عشر عامًا, وقال: ماذا تريد أن تصنع يا أمير المؤمنين؟ فرد عمر: أي بني أريد أن أغفو قليلاً, فلم تبق في جسدي طاقة. قال عبد الملك : أتغفو قبل أن ترد المظالم إلى أهلها يا أمير المؤمنين؟, فقال عمر: أي بني, إني قد سهرت البارحة في عمك سليمان –في دفنه–, وإني إذا حان الظهر صليت في الناس ورددت المظالم إلى أهلها إن شاء الله. فقال عبد الملك : ومن لك يا أمير المؤمنين بأن تعيش إلى الظهر؟! فقام عمر وقبّل ابنه وضمه إليه, ثم قال: الحمد لله الذي أخرج من صلبي من يعينني على ديني.

حاله مع أمور الخلافة

وفي اليوم التالي من خلافته رأى موكباً فخيماً من الجياد يتوسطها فرس زينت كالعروس ليمتطي الخليفة ظهرها البَذِخ, فأمر بها إلى بيت مال المسلمين, ثم لما وصل إلى السرادق فإذا هو فتنة ولا كإيوان كسرى فأمر بضمه لبيت المال, ودعا بحصير ففرشه على الأرض ثم جلس فوقه, ثم جيء بالأردية المزركشة والطيلسانات الفاخرة التي هي ثياب الخليفة, فأمر بها إلى بيت المال, ثم تعرض عليه الجواري ليختار منهن وصيفات قصر, فيسألهن عنها ولمن كانت وما بلدها فيردها إلى أرضها وذويها.

زهده

- قال : أكثر من ذكر الموت, فإن كنت في ضيق من العيش وسّعه عليك, وإن كنت في سعة من العيش ضيقه عليك .
- عن بشير بن الحارث قال: أطرى رجل عمر بن عبد العزيز في وجهه, فقال له عمر: يا هذا لو عرفت من نفسي ماأعرف منها, ما نظرت في وجهي.
- وقال: أيها الناس أصلحوا أسراركم تصلح علانيتكم, واعملوا لآخرتكم تكفوا دنياكم.
- وقال له رجل أوصني فقال : أوصيك بتقوى الله وإيثاره تخف عنك المئونة وتحسن لك من الله المعونة.
- وقال لعمر بن حفص : إذا سمعت كلمة من امرئ مسلم فلا تحملها على شيء من الشر ما وجدت لها محملاً من الخير .
- وقال : قد أفلح مَنْ عُصم من المراء والغضب والطمع.
- وقال : مَنْ عَدَّ كلامه منْ عمله قَلَّ كلامُه.
- جاء إليه الشعراء يهنئونه بقصائدهم, فلم يسمح لهم, وقال لابنه: قل لهم ﴿إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾.
- دخلت عليه زوجته فاطمة وهو يبكي, فسألته عن سرّ بكائه, فقال: إني تَقَلَّدْتُ (توليت) من أمر أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - أسودها وأحمرها, فتفكرتُ في الفقير الجائع, والمريض الضائع, والعاري والمجهود, والمظلوم المقهور, والغريب الأسير, والشيخ الكبير, وذوي العيال الكثيرة, والمال القليل, وأشباههم في أقطار الأرض وأطراف البلاد, فعلمتُ أن ربي سائلي عنهم يوم القيامة, فخشيتُ ألا تثبتَ لي حجة فبكيتُ.
- جرَّد زوجته فاطمة بنت الخليفة عبد الملك بن مروان من حليها وجواهرها الثمينة, وطلب منها أن تعطيها لبيت المال, فقال لها: اختاري.. إما أن تردي حليك إلى بيت المال, وإما أن تأذني لي في فراقك, فإني أكره أن أكون أنا وأنت ومعك هذه الجواهر في بيت واحد, فأنت تعلمين من أين أتى أبوك بتلك الجواهر, فقالت: بل أختارك يا أمير المؤمنين عليها وعلى أضعافها لو كانت لي, فأمر عمر بتلك الجواهر فوضعت في بيت المال.
- بلغه أن أحد أولاده اشترى خاتمًا له فصٌّ بألف درهم, فكتب إليه يلومه, ويقول له: بعه وأشبع بثمنه ألف جائع, واشترِ بدلاً منه خاتمًا من حديد, واكتب عليه: رحم الله امرأعرف قدر نفسه.
- يحكى أنه كان يقسم تفاحًا للمسلمين, وبينما هو يفرقه ويقسمه على من يستحقه إذ أخذ ابن صغير له تفاحة, فقام عمر وأخذ التفاحة من فمه, فذهب الولد إلى أمه وهو يبكي, فلما علمت السبب, اشترت له تفاحًا, فلما رجع عمر شم رائحة التفاح, فقال لزوجته: يا فاطمة, هل أخذت شيئًا من تفاح المسلمين؟ فأخبرته بما حدث, فقال لها: والله لقد انتزعتها من ابني فكأنما انتزعتُها من قلبي, لكني كرهتُ أن أضيِّع نفسي بسبب تفاحة من تفاح المسلمين!

- قال لزوجته يومًا: تشتهي نفسي عسل لبنان, فأرسلت فاطمة إلى ابن معد يكرب، عامل (أمير) لبنان, وذكرت له أن أمير المؤمنين يشتهي عسل لبنان، فأرسل إليها بعسل كثير، فلما رآه عمر غضب، وقال لها: كأني بك يا فاطمة قد بعثت إلى ابن معد يكرب، فأرسل لك هذا العسل؟ ثم أخرج عمر العسل إلى السوق، فباعه، وأدخل ثمنه بيت المال، وبعث إلى عامله على لبنان يلومه، ويقول له: لو عُدْتَ لمثلها فلن تلي لي عملا أبدًا, ولا أنظر إلى وجهك.

- خرج ذات ليلة إلى المسجد ومعه رجل من الحراس, فلما دخل عمر المسجد مرَّ في الظلام برجل نائم، فأخطأ عمر وداس عليه، فرفع الرجل رأسه إليه وقال أمجنون أنت؟ فقال: لا, فتضايق الحارس وهَمَّ أن يضرب الرجل النائم فمنعه عمر، وقال له: إن الرجل لم يصنع شيئًا غير أنه سألني: أمجنون أنت؟ فقلت: لا.

- وقال مالك بن دينار: «الناس يقولون: إنّي زاهد, إنّما الزاهد عمر بن عبد العزيز الذي أتته الدنيا فتركها».

- كان عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه- رقيق المشاعر, رحيمًا بالإنسان والحيوان, كتب ذات يوم إلى واليه في مصر قائلاً له: بلغني أن الحمالين في مصر يحملون فوق ظهور الإبل فوق ما تطيق، فإذا جاءك كتابي هذا, فامنع أن يحمل على البعير أكثر من ستمائة رطل.

- بينما عمر بن عبد العزيز يطوف ذات يوم في أسواق حمص ليتفقد الباعة ويتعرَّف على الأسعار، إذ قام إليه رجلٌ عليه بُرْدان أحمران قطريان وقال:يا أمير المؤمنين، لقد سمعت أنك أمرت من كان مظلومًا أن يأتيك .فقال: نعم .
فقال: وها قد أتاك رجلٌ مظلومٌ بعيدُ الدَّار.
فقال عمر: وأين أهلك؟ فقال الرجل: في عدن «فقال عُمر: والله, إن مكانك من مكان عمر لبعيد. ثم نزل عن دابّته, ووقف أمامه وقال: ما ظلامتك؟

فقال: ضيعةٌ لي وثب عليها رجلٌ ممن يلوذون بك وانتزعها مني, فكتب عمر كتابًا إلى عروة بن محمد واليه على "عدن" يقول فيه: أمَّا بعد: فإذا جاءك كتابي هذا فاسمع بيِّنة حامله, فإن ثبت له حقٌّ, فادفع إليه حقَّهُ, ثم ختم الكتاب وناوله للرجل .فلما هم الرجل بالانصراف قال له عمر: على رسلك.. إنك قد أتيتنا من بلدٍ بعيدٍ .. ولا ريب في أنك استنفدت في رحلتك هذه زادًا كثيرًا, وأخلقت -أتلفت- ثيابًا جديدة, ولعلَّه نفقت لك دابةٌ. ثم حسب ذلك كله, فبلغ أحد عشر دينارًا, فدفعها إليه وقال: أشع -انشر- ذلك في الناس حتى لا يتثاقل مظلومٌ عن رفع ظلامته بعد اليوم مهما كان بعيد الدَّار. - فكان أوَّل من سن قانوناً يلزم الدولة بسداد تكاليف من يأتي من أي بلد ليشتكي مظلمته-.

- كان رحمه الله يصلي في الظلام ثم يدخل على بناته فيسلم عليهن, فدخل عليهن ذات ليلة، فلما أحسسنه, وضعن أيديهن على أفواههن, ثم خرجن من الباب مسرعات, فقال للحاضنة: ما شأنهن؟ قالت: إنه لم يكن عندهن شيء يتعشينه إلا عدس وبصل, فكرهن أن تشم ذلك من أفواههن.

فبكى عمر, ثم قال لهن: يا بناتي ما ينفعكن أن تعشَّيْن الألوان (أصناف الطعام) ويؤمر بأبيكُن إلى النار!, فبكين حتى علت أصواتهن, ثم انصرف.

- كتب إلى أحد أمرائه يقول: لابد للرجل من المسلمين من مسكن يأوي إليه، وخادم يكفيه مهنته, وفرس يجاهد عليه عدوه, وأثاث في بيته, وكان يأمر عماله بسداد الديون عن المحتاجين, وتزويج من لا يقدر على الزواج، بل إن مناديه كان ينادي في كل يوم: أين الغارمون؟ أين الناكحون؟ أين المساكين؟ أين اليتامى؟ حتى استطاع بفضل من الله أن يغنيهم جميعًا. وبهذا كان أول حاكم يضع قانوناً يلزم الدولة بتوفير أساسيات العيش الكريم لكل مواطن.

- بعد فترة حكمه التي دامت تسعة وعشرين شهرًا, اشتد عليه المرض, فجاءه ابن عمه مسلمة بن عبد الملك, فقال له: يا أمير المؤمنين, ألا توصي لأولادك, فإنهم كثيرون, وقد أفقرتهم, ولم تترك لهم شيئًا؟!

فقال عمر: وهل أملك شيئًا أوصي لهم به، أم تأمرني أن أعطيهم من مال المسلمين؟ والله لا أعطيهم حق أحد، وهم بين رجلين: إما أن يكونوا صالحين فالله يتولاهم، وإما غير صالحين فلا أدع لهم ما يستعينون به على معصية الله، وجمع أولاده، وأخذ ينظر إليهم، ويتحسس بيده ثيابهم الممزقة، حتى ملئت عيناه بالدموع، ثم قال: يا بَنِي، إن أباكم خُيِّر بين أمرين: بين أن تستغنوا (أي تكونوا أغنياء) ويدخل أبوكم النار، وبين أن تفتقروا، ويدخل أبوكم الجنة, فاختار الجنة، يا بَنِي، حفظكم الله ورزقكم، وقد تركتُ أمركم إلى الله وهو يتولى الصالحين. ثم قال لأهله: اخرجوا عني, فخرجوا, وجلس على الباب مَسْلَمة بن عبد الملك وأخته فاطمة، فسمعاه يقول: مرحبًا بهذه الوجوه التي ليست بوجوه إنس ولا جان, ثم قرأ: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوًا في الأرض ولا فسادًا والعاقبة للمتقين﴾ مرارا ثم أطرق, فلبث طويلا لا يسمع له حس فلما دخلوا عليه كان ميتا قد أقبل بوجهه على القبلة و وضع إحدى يديه على فيه والأخرى على عينيه.

توفي الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز سنة 101 للهجرة ودفن في منطقة دير سمعان من أعمال المعرة بالقرب من حلب في سوريا. وقد قال بعض المؤرخين: إن عمر عبد العزيز قد قتل مسموماً على يد بعض أمراء بنى أمية بعد أن أوقف عطاياهم وصادر ممتلكاتهم وأعطاها لبيت مال المسلمين. استمرت خلافته فترة قصيرة جداً، فلم تطل مدة خلافته سوى عامين ونصف، ثم حضره أجله ولاقى ربه عادلاً في الرعية قائماً فيها بأمر الله. وعندما توفي لم يكن في سجنه رجل واحد. وفي عهده انتشر العلم وكثرت المساجد في أرجاء الدولة الأموية, وفي عهده القصير أوقف الحرب مع جيرانه، و وسع العمل داخل دولته (البنية التحتية للدولة) كالشوارع والطرقات والممرات الآمنة ودور الطعام (التكايا)، كما في دمشق وحلب والمدينة وحمص ومدن مصر والمدن الإسلامية في كل البقاع، والمدارس ونسخ الكتب والترجمة والتعريب ونقل العلم والى غير ذلك من الأعمال الخيرة، حتى دعاه المؤرخون بخامس الخلفاء الراشدين.

كيف ماتوا

يقول الشاعر :

وكانت في حياتك لي عظات ... وأنت اليوم أوعظ منك حيا

ولعل في لحظات وفاة الصالحين تتجلى أسمى المعاني والعبر, فتخرج منهم تلك الكلمات الرقيقة التي تعبر عن نهاية وبداية, وتعبر عن صدق نفوسهم وتحضيرهم لهذه اللحظة العظيمة، جمعت لكم ما استطعت جمعه، عن آخر لحظة من لحظات بعض الصالحين, فلعلها تكون خيراً لأحد منا.

أبو بكر الصديق

لما احتضر أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه قال : (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) (ق: 19).

و قال لعائشة: انظروا ثوبي هذين, فاغسلوهما و كفنوني فيهما, فإن الحي أولى بالجديد من الميت .

و لما حضرته الوفاة أوصى عمر رضي الله عنه قائلا : إني أوصيك بوصية، إن أنت قبلت عني: إن لله عز و جل حقاً بالليل لا يقبله بالنهار, و إن لله حقاً بالنهار لا يقبله بالليل, و إنه لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة, و إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه في الآخرة باتباعهم الحق في الدنيا, و ثقل ذلك عليهم, و حُقَّ لميزان يوضع فيه الحق أن يكون ثقيلاً, و إنما خفت موازين من خفت موازينه في الآخرة باتباعهم الباطل, و خفته عليهم في الدنيا، و حق لميزان يوضع فيه الباطل أن يكون خفيفاً.

عمر بن الخطاب

لما طُعن عمر جاء عبدالله بن عباس فقال : يا أمير المؤمنين, أسلمتَ حين كفر الناس, وجاهدت مع رسول الله صلى الله عليه و سلم حين خذله الناس, و قتلت شهيداً و لم يختلف عليك اثنان, و توفي رسول الله صلى الله عليه و سلم وهو عنك راض.

فقال له : أعد مقالتك فأعاد عليه, فقال : المغرور من غررتموه، و الله لو أن لي ما طلعت عليه الشمس أو غربت لافتديت به من هول المطلع .

و قال عبدالله بن عمر : كان رأس عمر على فخذي في مرضه الذي مات فيه .

فقال : ضع رأسي على الأرض .

فقلت : ما عليك كان على الأرض أو كان على فخذي ؟!

فقال : لا أم لك, ضعه على الأرض فقال عبدالله : فوضعته على الأرض .

فقال : ويلي وويل أمي إن لم يرحمني ربي عز وجل.

عثمان بن عفان

أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه و أرضاه

قال حين طعنه الغادرون والدماء تسيل على لحيته: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين .

اللهم إني أستهديك وأستعينك على جميع أموري، وأسألك الصبر على بليتي.

علي بن أبي طالب

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.. بعد أن طعن علي رضي الله عنه قال : ما فعِلَ بضاربي؟ قالوا: أخذناه قال: أطعموه من طعامي، و اسقوه من شرابي, فإن أنا عشت رأيت فيه رأيي، و إن أنا مت فاضربوه ضربة واحدة لا تزيدوه عليها. ثم أوصى الحسن أن يغسله و قال: لا تغالِ في الكفن فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: لاتغالوا في الكفن فإنه يسلب سلباً سريعاً، وأوصى: امشوا بي بين المشيتين لا تسرعوا بي, ولا تبطؤوا، فإن كان خيراً عجلتموني إليه، و إن كان شراً ألقيتموني عن أكتافكم.

معاذ بن جبل

معاذ بن جبل رضي الله عنه و أرضاه الصحابي الجليل .. حين حضرته الوفاة .. وجاءت ساعة الاحتضار.. نادى ربه قائلا: يا رب إنني كنت أخافك, و أنا اليوم أرجوك.. اللهم إنك تعلم أنني ما كنت أحب الدنيا لجري الأنهار, و لا لغرس الأشجار.. و إنما لظمإ الهواجر, ومكابدة الساعات, و مزاحمة العلماء بالركب عند حلق العلم .

ثم فاضت روحه بعد أن قال: لا إله إلا الله ...

روى الترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال..: نعم الرجل معاذ بن جبل

وروى الترمذي أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: أرحم الناس بأمتي أبوبكر.... إلى أن قال... وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ.

بلال بن رباح

بلال بن رباح رضي الله عنه وأرضاه

حينما أتى بلالاً الموت .. قالت زوجته: وا حزناه ..

فكشف الغطاء عن وجهه و هو في سكرات الموت.. و قال : لا تقولي واحزناه, وقولي: وا فرحاه.

ثم قال : غداً نلقى الأحبة محمداً و صحبه.

أبو ذر الغفاري

أبو ذر الغفاري رضي الله عنه وأرضاه

لما حضرت أبا ذر الوفاة .. بكت زوجته .. فقال : ما يبكيك؟

قالت : وكيف لا أبكي وأنت تموت بأرض فلاة وليس معنا ثوب يسعك كفنا ...

فقال لها : لا تبكى و أبشري، فقد سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقول لنفر أنا منهم:ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين وليس من أولئك النفر أحد إلا ومات في قرية و جماعة, وأنا الذي أموت بفلاة, والله ما كذبت ولا كذبت فانظري الطريق قالت :أنى و قد ذهب الحاج وتقطعت الطريق؟

قال: انظري، فإذا أنا برجال فألحت ثوبي فأسرعوا إلي فقالوا : ما لك يا أمة الله ؟ قالت : امرؤ من المسلمين تكفونه ..

فقالوا : من هو ؟ قالت : أبو ذر، قالوا: صاحب رسول الله؟ ففدوه بآبائهم و أمهاتهم و دخلوا عليه، فبشرهم و ذكر لهم الحديث و قال : أنشدكم بالله, لا يكفنني أحد كان أميراً أو عريفاً أو بريداً فكل القوم كانوا نالوا من ذلك شيئا غير فتى من الأنصار فكفنه في ثوبين، وصلى عليه عبدالله بن مسعود إذ كان في أولئك القوم رضي الله عنهم أجمعين.

أبو الدرداء

الصحابي الجليل أبو الدرداء رضي الله عنه وأرضاه

لما جاء أبا الدرداء الموت ... قال: ألا رجل يعمل لمثل مصرعي هذا؟ ألا رجل يعمل لمثل يومي هذا؟ ألا رجل يعمل لمثل ساعتي هذه؟ ثم قبض رحمه الله.

سلمان الفارسي

سلمان الفارسي رضي الله عنه و أرضاه

بكى سلمان الفارسي عند موته, فقيل له : ما يبكيك؟

فقال : عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يكون زاد أحدنا كزاد الراكب, وحولي هذه الأزواد. و قيل : إنما كان حوله إجانة (إناء يجمع فيه الماء) و جفنة ومطهرة !

عبدالله بن مسعود

الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه لما حضر عبدالله بن مسعود الموت دعا ابنه فقال : يا عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود, إني أوصيك بخمس خصال, فاحفظهن عني: أظهر اليأس للناس, فإن ذلك غنى فاضل.

ودع مطلب الحاجات إلى الناس, فإن ذلك فقر حاضر.

ودع ما تعتذر منه من الأمور, و لا تعمل به.

و إن استطعت ألا يأتي عليك يوم إلا و أنت خير منك بالأمس, فافعل. و إذا صليت صلاة فصل صلاة مودع, كأنك لا تصلي بعدها.

الحسن بن علي

الحسن بن علي سبط رسول الله و سيد شباب أهل الجنة رضي الله عنه... لما حضر الموت بالحسن بن علي رضي الله عنهما, قال : أخرجوا فراشي إلى صحن الدار, فأخرج فقال: اللهم إني أحتسب نفسي عندك, فإني لم أصب بمثلها!

معاوية بن أبي سفيان

الصحابي معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه... قال معاوية رضي الله عنه عند موته لمن حوله : أجلسوني.. فأجلسوه .. فجلس يذكر الله .. ثم بكى .. و قال: الآن يا معاوية .. جئت تذكر ربك بعد الانحطام و الانهدام .. أما كان هذا و غض الشباب نضير ريان ؟! ثم بكى و قال: يا رب, يا رب, ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي .. اللهم أقل العثرة و اغفر الزلة.. وجد بحلمك على من لم يرج غيرك و لا وثق بأحد سواك...ثم فاضت روحه.

عمرو بن العاص

الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه

حينما حضر عَمْرو بن العاص الموت .. بكى طويلاً .. و حول وجهه إلى الجدار, فقال له ابنه :ما يبكيك يا أبتاه ؟ أما بشرك رسول الله ....

فأقبل عمرو رضي الله عنه إليهم بوجهه و قال: إن أفضل ما نعد ... شهادة أن لا إله إلا الله، و أن محمداً رسول الله... إني كنت على أطباق ثلاثة...

لقد رأيتني و ما أحد أشد بغضاً لرسول الله صلى الله عليه و سلم مني، و لا أحب إلى أن أكون قد استمكنت منه فقتلته، فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار.....

فلما جعل الله الإسلام في قلبي، أتيت النبي صلى الله عليه و سلم فقلت: ابسط يمينك فلأبايعنك, فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي .. قلت: ما لك يا عمرو ؟ فقلت: أردت أن أشترط فقال : تشترط ماذا؟ فقال: أن يغفر لي .

فقال : أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله, و أن الهجرة تهدم ما كان قبلها, و أن الحج يهدم ما كان قبله ؟ و ما كان أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه و سلم و لا أجلى في عيني منه, و ما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له, ولو قيل لي صفه لما استطعت أن أصفه, لأني لم أكن أملأ عيني منه, و لو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة,

ثم ولينا أشياء, ما أدري ما حالي فيها؟

فإذا أنا مت فلا تصحبني نائحة و لا نار, فإذا دفنتموني فشنوا علي التراب شنّاً ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور و يقسم لحمها, حتى أستأنس بكم, و أنظر ماذا أراجع به رسل ربي ؟

أبو موسى الأشعري

الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري... لما حضرته الوفاة دعا فتيانه, و قال لهم: اذهبوا فاحفروا لي وأعمقوا ... ففعلوا .. فقال : اجلسوا بي, فو الذي نفسي بيده إنها لإحدى المنزلتين, إما ليوسعن قبري حتى تكون كل زاوية أربعين ذراعاً, و ليفتحن لي باب من أبواب الجنة, فلأنظرن إلى منزلي فيها و إلى أزواجي, وإلى ما أعد الله عز و جل لي فيها من النعيم, ثم لأنا أهدى إلى منزلي في الجنة مني اليوم إلى أهلي, وليصيبني من روحها و ريحانها حتى أبعث .

وإن كانت الأخرى ليضيقن على قبري حتى تختلف منه أضلاعي, حتى يكون أضيق من كذا وكذا, وليفتحن لي باب من أبواب جهنم, فلأنظرن إلى مقعدي و إلى ما أعد الله عز و جل فيها من السلاسل والأغلال والقرناء, ثم لأنا إلى مقعدي من جهنم أهدى مني اليوم إلى منزلي, ثم ليصيبني من سمومها وحميمها حتى أبعث.

سعد بن الربيع

سعد بن الربيع رضي الله عنه لما انتهت غزوة أحد .. قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ليذهب أحد فينظر ماذا فعل سعد بن الربيع ؟ فدار رجل من الصحابة بين القتلى .. فأبصره سعد بن الربيع قبل أن تفيض روحه .. فناداه..: ماذا تفعل ؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه و سلم بعثني لأنظر ماذا فعلت ؟ فقال سعد: اقرأ على رسول الله صلى الله عليه و سلم مني السلام، و أخبره أني ميت، وأني قد طعنت اثنتي عشرة طعنة و أنفذت في, فأنا هالك لا محالة، و اقرأ على قومي مني السلام و قل لهم: .. يا قوم .. لا عذر لكم إن خلص إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و فيكم عين تطرف...

عبدالله بن عمر

عبدالله بن عمر رضي الله عنهما... قال عبدالله بن عمر قبل أن تفيض روحه: ما آسى من الدنيا على شيء إلا على ثلاثة : ظمأ الهواجر، ومكابدة الليل و مراوحة الأقدام بالقيام لله عز و جل، و أني لم أقاتل الفئة الباغية التي نزلت، ولعله يقصد الحجاج و من معه.

عبادة بن الصامت

عبادة بن الصامت رضي الله عنه و أرضاه.. لما حضرت عبادة بن الصامت الوفاة, قال : أخرجوا فراشي إلى الصحن، ثم قال: اجمعوا لي موالي و خدمي و جيراني و من كان يدخل علي فجمعوا له .... فقال: إن يومي هذا لا أراه إلا آخر يوم يأتي علي من الدنيا, و أول ليلة من الآخرة, و إنه لا أدري لعله قد فرط مني إليكم بيدي أو بلساني شيء, وهوَ والذي نفس عبادة بيده القصاص يوم القيامة, وأحرّج على أحد منكم في نفسه شيء من ذلك إلا اقتص مني قبل أن تخرج نفسي . فقالوا : بل كنت والداً و كنت مؤدباً. فقال : أغفرتم لي ما كان من ذلك ؟

قالوا : نعم .

فقال : اللهم اشهد ... أما الآن فاحفظوا وصيتي ... أحرّج على كل إنسان منكم أن يبكي, فإذا خرجت نفسي فتوضؤوا فأحسنوا الوضوء, ثم ليدخل كل إنسان منكم مسجداً فيصلي ثم يستغفر لعبادة و لنفسه, فإن الله عز و جل قال : و استعينوا بالصبر و الصلاة و إنها لكبيرة إلا على الخاشعين ... ثم أسرعوا بي إلى حفرتي, و لا تتبعوني بنار .

الإمام الشافعي

الإمام الشافعي رضي الله عنه... دخل المزني على الإمام الشافعي في مرضه الذي توفي فيه فقال له :كيف أصبحت يا أبا عبدالله ؟!

فقال الشافعي :

أصبحت من الدنيا راحلاً, و للإخوان مفارقاً, و لسوء عملي ملاقياً, و لكأس المنية شارباً, و على الله وارداً, و لا أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهنيها, أم إلى النار فأعزيها, ثم أنشأ يقول:

و لما قسا قلبي و ضاقت مذاهبي جعلت رجائي نحو عفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجود و تعفو منة و تكرما

الحسن البصري

الحسن البصري رضي الله عنه وأرضاه... حينما حضرت الحسن البصري المنية حرك يديه و قال: هذه منزلة صبر و استسلام.

عبدالله بن المبارك

عبدالله بن المبارك العالم العابد الزاهد المجاهد عبدالله بن المبارك... حينما جاءته الوفاة اشتدت عليه سكرات الموت ثم أفاق .. و رفع الغطاء عن وجهه و ابتسم قائلا: لمثل هذا فليعمل العاملون .... لا إله إلا الله .... ثم فاضت روحه.

الفضيل بن عياض

الفضيل بن عياض العالم العابد الفضيل بن عياض الشهير بعابد الحرمين... لما حضرته الوفاة غشي عليه, ثم أفاق و قال: وا بعد سفراه ... وا قلة زاداه ...!

محمد بن سيرين

الإمام العالم محمد بن سيرين... روي أنه لما حضرت محمد بن سيرين الوفاة بكى, فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال: أبكي لتفريطي في الأيام الخالية، وقلة عملي للجنة العالية، وما ينجيني من النار الحامية.

الخليفة المأمون

الخليفة المأمون أمير المؤمنين رحمه الله... حينما حضر المأمون الموت قال: أنزلوني من على السرير.
فأنزلوه على الأرض ... فوضع خده على التراب و قال: يا من لا يزول ملكه ... ارحم من قد زال ملكه...

هشام بن عبدالملك

أمير المؤمنين هشام بن عبدالملك رحمه الله... لما احتضر هشام بن عبدالملك, نظر إلى أهله يبكون حوله فقال : جاء هشام إليكم بالدنيا و جئتم له بالبكاء, ترك لكم ما جمع و تركتم له ما حمل, ما أعظم مصيبة هشام إن لم يرحمه الله.

الخليفة المعتصم

أمير المؤمنين الخليفة المعتصم رحمه الله... قال المعتصم عند موته: لو علمت أن عمري قصير هكذا ما فعلت ... !

هارون الرشيد

أمير المؤمنين الخليفة الزاهد المجاهد هارون الرشيد رحمه الله...
لما مرض هارون الرشيد و يئس الأطباء من شفائه ... وأحس بدنو أجله .. قال : أحضروا لي أكفانا فأحضروا له. .فقال: احفروا لي قبراً ... فحفروا له ... فنظر إلى القبر وقال: ما أغنى عني ماليه ... هلك عني سلطانيه .

محمد صلى الله عليه وسلم

وختامه مسك

اللحظات الأخيرة على فراش موت النبي عليه أفضل الصلاة و أزكى السلام...

في يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول للسنة الحادية عشرة للهجرة كان المرض قد اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم, وسرت أنباء مرضه بين أصحابه, و بلغ منهم القلق مبلغه, وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أوصى أن يكون أبو بكر إماماً لهم, حين أعجزه المرض عن الحضور إلى الصلاة.

وفي فجر ذلك اليوم وأبو بكر يصلي بالمسلمين, لم يفاجئهم و هم يصلون إلا رسول الله وهو يكشف ستر حجرة عائشة, ونظر إليهم وهم في صفوف الصلاة, فتبسم مما رآه منهم، فظن أبو بكر أن رسول الله صلى الله عليه و سلم يريد أن يخرج للصلاة, فأراد أن يعود ليصل الصفوف, وهمّ المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحاً برسول الله صلى الله عليه وسلم، فأشار إليهم رسول الله صلى الله عليه و سلم, وأومأ إلى أبي بكر ليكمل الصلاة, فجلس عن جانبه وصلى عن يساره... وعاد رسول الله إلى حجرته, وفرح الناس بذلك أشد الفرح, وظن الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أفاق من وجعه, واستبشروا بذلك خيراً...

وجاء الضحى.. وعاد الوجع لرسول الله صلى الله عليه وسلم, فدعا فاطمة.. فقال لها سراً إنه سيقبض في وجعه هذا.. فبكت لذلك, فأخبرها أنها أول من يتبعه من أهله, فضحكت..

واشتد الكرب برسول الله صلى الله عليه و سلم.. وبلغ منه مبلغه.. فقالت فاطمة: واكرب أبتاه.. فرد عليها رسول الله قائلا: لا كرب على أبيك بعد اليوم.

وأوصى رسول الله صلى الله عليه و سلم وصيته للمسلمين وهو على فراش موته: الصلاة الصلاة.. وما ملكت أيمانكم... الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم.. وكرر ذلك مراراً...

ودخل عبد الرحمن بن أبي بكر و بيده السواك, فنظر إليه رسول الله, قالت عائشة: آخذه لك.. ؟, فأشار برأسه أن نعم.. فاشتد عليه.. فقالت عائشة: ألينه لك... فأشار برأسه أن نعم.. فلينته له..

وجعل رسول الله صلى الله عليه و سلم يدخل يديه في ركوة فيها ماء, فيمسح بالماء وجهه وهو يقول: لا إله إلا الله... إن للموت لسكرات... وفي النهاية... شخص بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم... و تحركت شفتاه قائلا: مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين, اللهم اغفر لي وارحمني... وألحقني بالرفيق الأعلى اللهم الرفيق الأعلى اللهم الرفيق الأعلى اللهم الرفيق الأعلى وفاضت روح خير خلق الله.. فاضت أطهر روح خلقت إلى ربها.. فاضت روح من أرسله الله رحمة للعالمين، وصلى اللهم عليه وسلم تسليماً (إنك ميت وإنهم ميتون) (الزمر: 30).

محمد رسول الله

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين

خير من زكت نفسه ومن أدبه ربه
خير قدوه للبشرية
نورد لكم جملة من محاسنه وصفاته مما جمعه بعض العلماء. لقد كان لهذه الكلمات تأثير بالغ علي شخصياً وأنا أكتبها. كنت أراه في خُلُقه وخَلقه وفي آدابه وسمته. وفي ضحكته وغضبه. إن مجرد قراءتنا لهذه الكلمات كفيلة بأن يجري الله عليها شيئاً من التغيير فينا. فنذكر بتجديد النية.
وقد كان مرجعنا في ذلك كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي رحمه الله. وقد أورد هذه الصفات سعيد حوى في كتابه المستخلص في تزكية الأنفس. ولينظر تخريج الحافظ العراقي لأحاديث الإحياء.

بيان تأديب الله تعالى حبيبه وصفيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالقرآن

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير الضراعة والابتهال دائم السؤال من الله تعالى أن يزينه بمحاسن الآداب ومكارم الأخلاق. فكان يقول في دعائه: "اللهم حسن خلقي وخلقي"، ويقول: "اللهم جنبني منكرات الأخلاق" فاستجاب الله تعالى دعاءه وفاء بقوله عز وجل: "ادعوني أستجب لكم" (غافر: 60) فأنزل عيه القرآن وأدبه به فكان خلقه القرآن.
قال سعد بن هشام: دخلت على عائشة رضي الله عنها وعن أبيها فسألتها عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: أما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى. قالت: كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن.
وإنما أدبه القرآن بمثل قوله تعالى: "خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين" (الأعراف: 199) وقوله: "إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي" (النحل: 90) وقوله: "واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور" (لقمان: 17) وقوله: "فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين" (المائدة: 130) وقوله: "ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم" (فصلت: 34) ولماكسرت رباعيته وشج يوم أحد فجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسح الدم ويقول: "كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم" فأنزل اله تعالى: "ليس لك من الأمر شيء" (آل عمران: 128) تأديباً له على ذلك.

وأمثال هذه التأديبات في القرآن لا تحصر وهو عليه السلام المقصود الأول بالتأديب والتهذيب, ثم منه يشرق النور على كافة الخلق، فإنه أدب بالقرآن، وأدب الخلق به، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم "بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، ثم رغب الخلق في محاسن الأخلاق، ثم لما أكمل الله تعالى خلقه أثنى عليه فقال تعالى: "وإنك لعلى خلق عظيم" (القلم: 4) فسبحانه ما أعظم شأنه وأتم امتنانه، ثم انظر إلى عميم لطفه وعظيم فضله كيف أعطى، فهو الذي زينه بالخلق الكريم ثم أضاف إليه ذلك فقال: "وإنك لعلى خلق عظيم"، ثم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم للخلق (أن الله يحب مكارم الأخلاق ويبغض سفسافها)، رواه الحاكم.

قال علي رضي الله عنه: يا عجباً لرجل مسلم يجتبيه أخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً، فلو كان لا يرجو ثواباً ولا يخشى عقاباً لقد كان ينبغي له أن يسارع إلى مكارم الأخلاق، فإنها مما تدل على سبيل النجاة. فقال له رجل: أسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: نعم وما هو خير منه، لما أُتي بسبايا طيئ وقفت جارية في السبي فقالت: يا محمد إن رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فإني بنت سيد قومي، وإن أبي كان يحمي الذمار، ويفك العاني، ويشبع الجائع، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ولم يرد طالب حاجة قط, أنا ابنة حاتم الطائي. فقال صلى الله عليه وسلم: "يا جارية هذه صفة المؤمنين حقاً، لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه، خلوا عنها، فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، وإن الله يحب مكارم الأخلاق" فقام أبو بردة بن نيار فقال: يا رسول الله: الله يحب مكارم الأخلاق؟ فقال: "والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة إلا حسن الأخلاق". رواه البهيقي في الشعب والدلائل وهو ضعيف.

كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس وأشجع الناس وأعدل الناس وأعف الناس، لم تمس يده قط يد امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه، وكان أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم، وإن فضل شيء ولم يجد من يعطيه وفجأه الليل لم يأو إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه، لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من الثمر والشعير، ويضع سائر ذلك في سبيل الله، لا يُسأل شيئاً إلا أعطاه، ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه، حتى إنه ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأته شيء، وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة أهله ويقطع اللحم معهن، وكان أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد، ويجيب دعوة العبد والحر، ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافئ عيها، ويأكلها ولا يأكل الصدقة، ولا يستكبر عن إجابة الأمة والمسكين، ويغضب لربه ولا يغضب لنفسه.

وينفذ الحق وإن عاد ذلك عليه بالضرر أو على أصحابه، وعرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو في قلة وحاجة إلى إنسان واحد يزيده في عدد من معه فأبى وقال: "أنا لا أنتصر بمشرك"، وجد من فضلاء أصحابه وخيارهم قتيلاً بين اليهود فلم يَحِفْ عليهم ولا زاد على مر الحق، بل فداه بمائة ناقة، وإن بأصحابه لحاجة إلى بعير واحد يتقوون به.

وكان يعصب الحجر على بطنه مرة من الجوع، ومرة يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد، ولا يتورع عن مطعم حلال، إن وجد تمرا دون خبز أكله، وإن وجد شواء أكله، وإن وجد خبز بر أو شعير أكله، وإن وجد حلواً أو عسلاً أكله، وإن وجد لبناً دون خبز اكتفى به، وإن وجد بطيخاً أو رطباً أكله, لا يأكل متكئاً ولا على خوان، لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقي الله تعالى إيثاراً على نفسه لا فقراً ولا بخلاً، يجيب الوليمة ويعود المرضى، ويشهد الجنائز، ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارس، أشد الناس تواضعاً، وأسكنهم في غير كبر، وأبلغهم في غير تطويل، وأحسنهم بشراً، لا يهوله شيء من أمر الدنيا، ويلبس ما وجد، فمرة شملة، ومرة برداً حبرة يمانية، ومرة جبة صوف، ما وجد من المباح لبس، وخاتمه فضة يلبسه في خنصره الأيمن والأيسر، يردف خلفه عبده أو غيره، يركب ما أمكنه، مرة فرساً، ومرة بعيراً، ومرة بغلة شهباء، ومرة حماراً، ومرة يمشي راجلاً حافياً بلا رداء ولا عمامة

ولا قلنسوة، يعود المرضى في أقصى المدينة، يحب الطيب، ويكره الرائحة الرديئة، ويجالس الفقراء ويؤاكل المساكين، ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم، ويتألف أهل الشرف بالبر لهم ، يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم، لا يجفو على أحد، يقبل معذرة المعتذر إليه، يمزح ولا يقول إلا حقاً، يضحك من غير قهقهة، يرى اللعب المباح فلا ينكره، يسابق أهله، وترفع الأصوات عليه فيصبر، وكان له لقاح وغنم يتقوت هو وأهله من ألبانها، وكان له عبيد وإماء لا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملبس، ولا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالى، أو فيما لا بد له منه من صلاح نفسه، يخرج إلى بساتين أصحابه، لا يحتقر مسكيناً لفقره وزمانته، ولا يهاب ملكاً لملكه، يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء مستوياً، قد جمع تعالى له السيرة الفاضلة والسياسة التامة، وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب, نشأ في بلاد الجهل والصحارى في فقر وفي رعاية الغنم لا أب له ولا أم، فعلمه الله تعالى جميع محاسن الأخلاق والطرق الحميدة، وأخبار الأولين والآخرين، وما فيه النجاة والفوز في الآخرة، والغبطة والخلاص في الدنيا، ولزوم الواجب وترك الفضول. وفقنا الله لطاعته في أمره والتأسي به في فعله آمين يا رب العالمين.

بيان جملة أخرى من آدابه وأخلاقه

مما رواه أبو البحتري قال: ما شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً من المؤمنين بشتيمة إلا جعل لها كفارة ورحمة، وما لعن امرأة قط ولا خادماً بلعنة، وقيل له وهو في القتال: لو لعنتم يا رسول الله فقال: "إنما بعثت رحمة ولم أبعث لعاناً"، وكان إذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه إلى الدعاء له، وما ضرب بيده أحداً قط إلا أن يضرب بها في سبيل الله تعالى, وما انتقم من شيء صنع إليه قط إلا أن تنتهك حرمة الله, وما خُيِّرَ بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون فيه إثم أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس من ذلك، وما كن يأتيه أحد حر أو عبد أو أمة إلا قام معه في حاجته، وقال أنس رضي الله عنه: والذي بعثه بالحق ما قال لي في شيء قط كرهه: "لم فعلته؟" ولا لامني نساؤه إلا قال: "دعوه إنما كان هذا بكتاب وقدر"، قالوا: وما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مضجعاً, إن فرشوا له اضطجع، وإن لم يفرش له اضطجع على الأرض، وقد وصفه الله تعالى في التوراة قبل أن يبعثه في السطر الأول فقال: محمد رسول الله عبدي المختار، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة ولكن يعفو ويصفح، مولده بمكة وهجرته بطابة وملكه بالشام، اتزر على وسطه هو ومن معه دعاة للقرآن والعلم يتوضأ على أطرافه. وكذلك نعته في الإنجيل، وكان من خلقه أن يبدأ من لقيه بالسلام، ومن قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف، وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر، وكان إذا لقي أحداً من أصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ بيده فشابكه ثم شد قبضته عليه، وكان لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله، وكان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وأقبل عليه فقال: "ألك حاجة؟" فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته, وكان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعاً ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوة ،ولم يكن يعرف مجلسه من مجلس أصحابه لأنه كان حيث انتهى به المجلس جلس، وما رؤي قط ماداً رجليه بين أصحابه حتى لا يضيق بهما على أحد إلا أن يكون المكان واسعاً لا ضيق فيه, وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة، وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه، وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تحته فإن أبى أن يقبلها عزم عليه، حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف محاسنه وتوجهه للجالس إليه يأخذ بالألباب، ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وأمانة قال الله تعالى: "فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك" ولقد كان يدعو أصحابه بكناهم إكراماً لهم واستمالة لقلوبهم، ويكني من لم تكن له كنية، فكان يدعى بما كناه به، ويكنى أيضاً النساء اللاتي لهن الأولاد، واللاتي لم يلدن يبتدئ لهن الكنى، ويكني الصبيان فيستلين به قلوبهم، وكان أبعد الناس غضباً وأسرعهم رضاً، وكان أرأف الناس بالناس وخير الناس للناس وأنفع الناس للناس، ولم تكن ترفع في مجلسه الأصوات, وكان إذا قام من مجلسه قال: "سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إليه إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك" ثم يقول: "علمنيهن جبريل عليه السلام".

بيان كلامه وضحكه صلى الله عليه وسلم

كان صلى الله عليه وسلم أفصح الناس منطقاً وأحلاهم كلاماً، وإن أهل الجنة يتكلمون فيها بلغة محمد صلى الله عليه وسلم، وكان نزر الكلام سمح المقالة، إذا نطق ليس بمهذار، وكان كلامه كخرزات نُظِمْنَ.

قالت عائشة رضي الله عنها: كان لا يسرد الكلام كسردكم هذا، كان كلامه نزراً، وأنتم تنثرون الكلام نثراً. قالوا: وكان أوجز الناس كلاماً وبذاك جاءه جبريل، وكان مع الإيجاز يجمع كل ما أراد، وكان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير، كأنه يتبع بعضه بعضاً، بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه، وكان جهير الصوت أحسن الناس نغمة، وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة، ولا يقول المنكر ولا يقول في الرضا والغضب إلا الحق، ويعرض عمن تكلم بغير جميل، ويكني عما اضطره الكلام إليه مما يكره، وكان إذا سكت تكلم جلساؤه ولا يتنازع عنده في الحديث، ويعظ بالجد والنصيحة ويقول: "لا تضربوا القرآن بعضه ببعض فإنه أنزل على وجوه"، وكان أكثر الناس تبسماً وضحكاً في وجوه أصحابه وتعجباً مما تحدثوا به وخلطاً لنفسه بهم، ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه, وكان ضحك

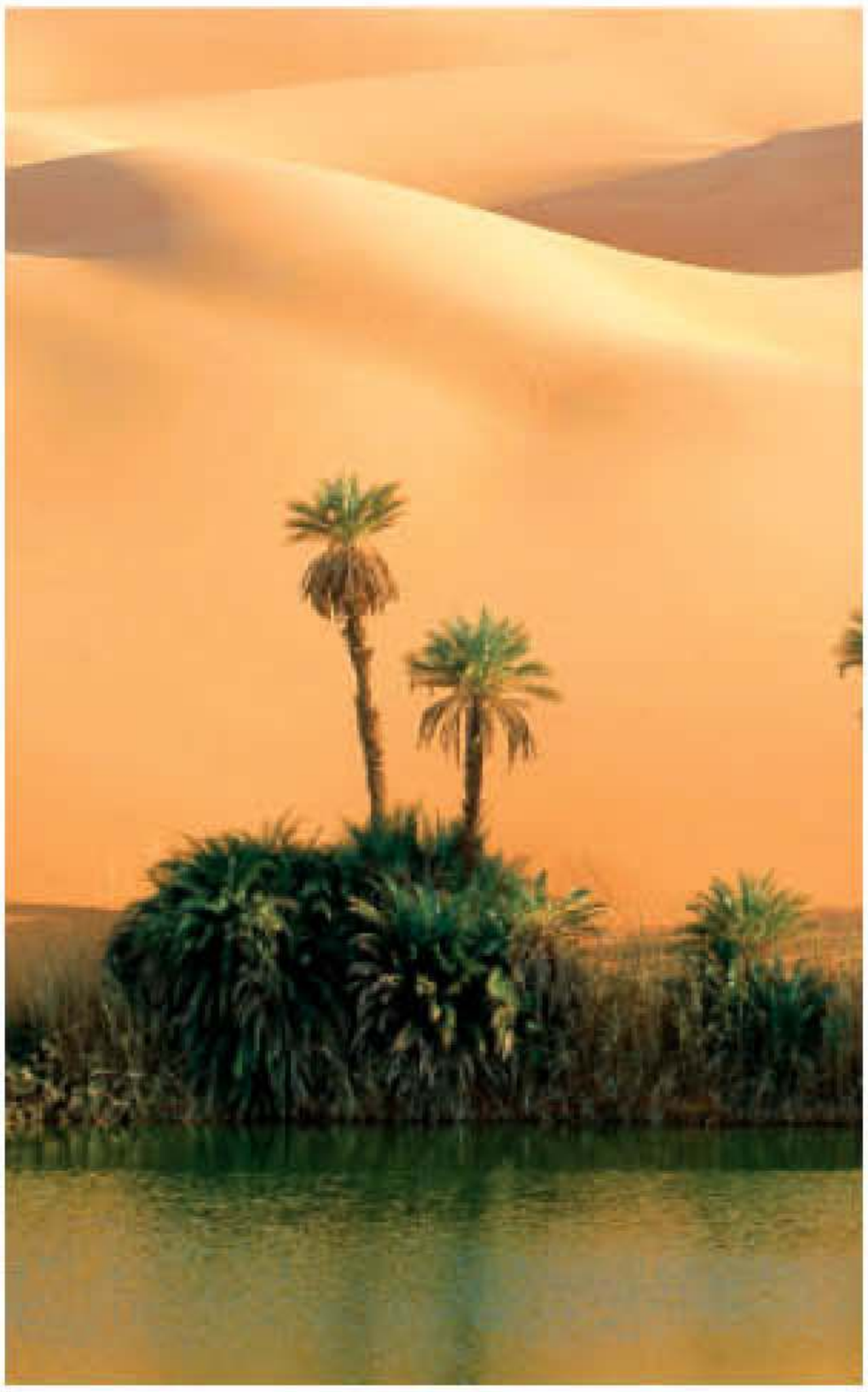

أصحابه عنده التبسم اقتداء به وتوقيراً له, قالوا: وكان من أكثر الناس تبسماً وأطيبهم نفساً ما لم ينزل عليه قرآن أو يذكر الساعة أو يخطب بخطبة عظة وكان إذا سر ورضي فهو أحسن الناس رضاً فإن وعظ وعظ بجد وإن غضب - وليس يغضب إلا الله - لم يقم لغضبه شيء وكذلك كان في أموره كلها وكان إذا نزل به الأمر فوض الأمر إلى الله وتبرأ من الحول والقوة واستنزل الهدي.

بيان أخلاقه وآدابه في الطعام

كان صلى الله عليه وسلم يأكل ما وجد، وكان أحب الطعام إليه ما كان على ضَفَف، والضفف ما كثرت عليه الأيدي, وكان إذا وضعت المائدة قال: "بسم الله"، وكان كثيراً إذا جلس يأكل يجمع ركبتيه وبين قدميه كما يجلس المصلي، إلا أن الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم، ويقول: "إنما أنا عبد، آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد"، وكان لا يأكل الحار ويقول: "إنه غير ذي بركة، وإن الله لم يطعمنا ناراً فأبردوه" وكان يأكل مما يليه، ويأكل بأصابعه الثلاثة وربما استعان بالرابعة ولم يأكل بأصبيعن، ويقول: "إن ذلك أكلة الشيطان"، وكان يأكل خبز الشعير غير منخول، وكان يأكل الغثاء بالرطب وبالملح، وكان أحب الفواكه الرطبة إليه البطيخ والعنب، وكان يأكل البطيخ بالخبز وبالسكر وربما أكله بالرطب، ويستعين باليدين جميعاً, وأكل يوماً الرطب في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره فمرت شاة فأشار إليها بالنوى فجعلت تأكل من كفه اليسرى وهو يأكل بيمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة, وكان ربما أكل العنب خرطاً يرى زؤانه على لحيته كخرز اللؤلؤ، وكان أكثر طعامه الماء والتمر.

وكان يجمع اللبن بالتمر ويسميهما الأطيبين، وكان أحب الطعام إليه اللحم ويقول: "هو يزيد في السمع، وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة، ولو سألت ربي أن يطعمنيه كل يوم لفعل" وكان يأكل الثريد باللحم والقرع وكان يحب القرع، قالت عائشة رضي الله عنه:ا وكان يقول "يا عائشة إذا طبختم قدراً فأكثروا فيها من الدباء فإنه يشد قلب الحزين"، وكان يأكل لحم الطير الذي يصاد وكان لا يتبعه ولا يصيده، ويحب أن يصاد له ويؤتى به فيأكله، وكان إذا أكل اللحم لم يطأطئ رأسه إليه، ويرفعه إلى فيه ثم ينتهشه انتهاشاً، وكان يأكل الخبز والسمن، وكان يحب من الشاة الذراع والكف, ومن القدر الدباء، ومن الصباغ الخل، ومن التمر العجوة، ودعا في العجوة بالبركة وقال: طهي من الجنة وشفاء من السم والسحر"، وكان يحب من البقول الهندباء والبقلة الحمقاء التي يقال لها الرجلة، وكان يكره الكليتين لمكانهما من البول، وكان لا يأكل من الشاة سبعاً: الذكر، والأنثيين ،والمثانة، المرارة، والغدد، والحياء، و الدم, ويكره ذلك، وكان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا الكراث، وما ذم طعاماً قط لكن إن أعجبه أكله وإن كرهه تركه وإن عافه لم يبغضه إلى غيره، وكان يعاف الضب والطحال ولا يحرمها، وكان يلعق بأصابعه الصفحة ويقول: آخر الطعام أكثر بركة، وكان يلعق أصابعه من الطعام حتى تحمر، وكان لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه واحدة واحدة ويقول: إنه لا يدري في أي الطعام البركة، وإذا فرغ قال: "الحمد لله، اللهم لك الحمد أطعمت فأشبعت، وسقيت فأرويت، لك الحمد غير مكفور ولا مودَّع ولا مستغنى عنه"، وكان إذا أكل الخبز واللحم خاصة غسل يديه غسلاً جيداً ثم يمسح بفضل الماء على وجهه، وكان يشرب في ثلاث دفعات وله فيها ثلاث تسميات وفي أواخرها ثلاث تحميدات، ويمص الماء مصاً ولا يعب عباً وكان يدفع فضل سؤره إلى من على يمينه، فإن كان من على يساره أجل رتبة قال للذي على يمينه: "السنة أن تُعْطَى، فإن أجبت آثرتهم"، وربما كان يشرب بنفس واحد حتى يفرغ ،وكان لا يتنفس في الإناء بل ينحرف عنه، وأتي بإناء فيه عسل ولبن فأبى أن يشربه وقال: "شربتان في شربة، وإدامان في إناء واحد؟!" ثم قال صلى الله عليه وسلم: "لا أحرمه ولكن أكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غداً، وأحب التواضع، فإن من تواضع لله رفعه الله"، وكان في بيته أشد حياء من العاتق لا يسألهم طعاماً ولا يتشهاه عليهم، إن أطعموه أكل، وما أعطوه قبل، وما سقوه شرب، وكان ربما قام فأخذ ما يأكل بنفسه أو يشرب.

بيان آدابه وأخلاقه في اللباس

كان صلى الله عليه وسلم يلبس من الثياب ما وجد من إزار أو رداء أو قميص أو جبة أو غير ذلك، وكان يعجبه الثياب الخضر، وكان أكثر لباسه البياض ويقول: "ألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم"، وكان يلبس القباء المحشو للحرب وغير الحرب وكان له قباء سندس فيلبسه فتحسن خضرته على بياض لونه، وكانت ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين

ويكون الإزار فوق ذلك إلى نصف الساق، وكان قميصه مشدود الأزرار وربما حل الأزرار في الصلاة وغيرها، وكانت له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها وحدها وربما لبس الكساء وحده ما عليه غيره، وكان له كساء ملبد يلبسه ويقول "إنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد, وكان له ثوبان لجمعته خاصة سوى ثيابه في غير الجمعة, وربما لبس إزاراً واحد ليس عليه غيره، ويعقد طرفيه بين كتفيه وربما صلى في بيته في الإزار الواحد ملتحفاً به مخالفاً بين طرفيه، ويكون ذلك الإزار الذي جامع فيه يومئذ، وكان ربما صلى بالليل في الإزار، ويرتدي ببعض الثوب مما يلي هدبه ويلقى البقية على بعض نسائه فيصلي كذلك، وكان له كساء أسود، وقال أنس: وربما رأيته يصلي بنا الظهر في شملة عاقداً بين طرفيه، وكان يتختم وربما خرج وفي خاتمه الخيط المربوط يتذكر به الشيء، وكان به على الكتب، وكان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير عمامة, وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلى إليها، وربما لم تكن العمامة فيشد العصابة على رأسه وعلى جبهته، وكان إذا لبس ثوباً لبسه من قبل ميامنه ويقول: "الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في الناس"، وإذا نزع ثوبه أخرجه من مياسره،

وكان إذا لبس جديداً أعطى خلق ثيابه مسكيناً ثم يقول: "ما من مسلم يكسو مسلماً من سمل ثيابه لا يكسوه إلا لله إلا كان في ضمان الله وحرزه وخيره ما واراه حياً وميتاً"، وكان له فراش من أدم حشوه ليف طوله ذراعان أو نحوه وعرضه ذراع وشبر أو نحوه، وكانت له عباءة تفرش له حيثما تنقل تثنى طاقين تحته، وكان ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره، وكان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه.

وكان اسم رايته: العقاب، واسم سيفه الذي يشهد به الحروب: ذو الفقار، وكان له سيف يقال له: المخذم، وآخر يقال له: الرسوب، وآخر يقال له القضيب، وكانت قبضة سيفه محلاة بالفضة، وكان يلبس المنطقة من الأدم فيها ثلاث حلق هن فضة، وكان اسم قوسه: الكتوم، وجعبته الكافور، وكان اسم ناقته: القصواء, وهي التي يقال لها: العضباء، واسم بغلته: الدلدل، وكان اسم حماره يعفور، واسم شاته التي يشرب لبنها عينة.

بيان عفوه صلى الله عليه وسلم مع قدرته

كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس وأرغبهم في العفو مع القدرة، حتى أتى بقلائد من ذهب وفضة فقسمها بين أصحابه، فقام رجل من أهل البادية فقال: يا محمد والله لئن أمرك الله أن تعدل فما أراك تعدل، فقال: ويحك فمن يعدل بعدي, فلما ولى قال: "ردوه علي رويداً"، وروى جابر: أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبض للناس يوم خيبر من فضة في ثوب بلال فقال له رجل: يا رسول الله اعدل، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم "ويحك فمن يعدل إذا لم أعدل فقد خبت إذن وخسرت إن كنت لا أعدل" فقام عمر فقال: ألا أضرب عنقه فإنه منافق، فقال: معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرب فرأوا من المسلمين غرة فجاء رجل حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف وقال: من يمنعك مني؟ فقال: "الله"، فقال: فسقط السيف من يده، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف وقال: من يمنعك مني؟ فقال: كن خير آخذ، قال: قل أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله: فقال: لا, غير أني لا أقاتلك ولا أكون معك ولا أكون مع قوم يقاتلونك, فخلى سبيله فجاء أصحابه فقال: جئتكم من عند خير الناس. وروى أنس: أن يهودية أتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة ليأكل منها فجيء بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك فقالت: أردت قتلك: فقال: ما كان الله ليسلطك على ذلك،قالوا: أفلا تقتلها؟ فقال: لا، وسحره رجل من اليهود فأخبره جبريل عيه أفضل الصلاة والسلام بذلك حتى استخرجه وحل العقد فوجد لذلك خفة، فما ذكر ذلك لليهودي ولا أظهره عليه قط، وقال علي رضي الله عنه: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد،

فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها، فانطلقنا حتى أتينا روضة خاخ فقلنا: أخرجي الكتاب فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لننزعن الثياب, فأخرجته من عقاصها، فأتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة يخبرهم أمراً من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا حاطب ما هذا؟ قال: يا رسول الله لا تعجل علي، إني كنت امرأ ملصقاً في قومي وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهلهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب منهم أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي, ولم أفعل ذلك كفراً ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام ولا ارتداداً عن ديني, فقال عمر: دعني يا رسول الله أضرب عنقه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنه شهد بدراً وما يدريك لعل الله عز وجل قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم". وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمة فقال رجل من الأنصار: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله؟ فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فاحمر وجهه وقال: "رحم الله أخي موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر"، وكان صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يبلغن أحد منكم عن أحد أصحابي شيئاً، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر".

بيان إغضائه صلى الله عليه وسلم عما كان يكرهه

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف في وجهه غضبه ورضاه، وكان إذا اشتد وجده أكثر من مس لحيته الكريمة، وكان لا يشافه أحد بما يكرهه، دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهها فلم يقل له شيئاً حتى خرج فقال لبعض القوم: لو قلتم لهذا أن يدع هذه: يعني الصفرة, وبال أعرابي في المسجد بحضرته فهمَّ به الصحابة فقال صلى الله عليه وسلم: "لا تزرموه" أي لا تقطعوا عليه البول، ثم قال له: "إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من القذر والبول والخلاء" وفي رواية: "قربوا ولا تنفروا" وجاءه أعرابي يوماً يطلب منه شيئاً فأعطاه صلى الله عليه وسلم ثم قال له: "أحسنت إليك؟" قال الأعرابى : لا، فزاده شيئاً ثم قال: "أحسنت إليك؟" قال: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً, فقال له النبي صلى الله عليه وسلم "إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي شيء من ذلك، فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك، قال: نعم, فلما كان الغد أو العشى جاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم "إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضي أكذلك؟" فقال الأعرابي: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً, فقال صلى الله عليه وسلم "إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه، فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفوراً، فناداهم صاحب الناقة :خلوا بيني وبين ناقتي فإني أرفق بها وأعلم، فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردها هوناً حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها، واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار".

بيان سخاوته وجوده صلى الله عليه وسلم

كان صلى الله عليه وسلم أجود الناس وأسخاهم، وكان في شهر رمضان كالريح المرسلة لا يمسك شيئاً، وكان علي رضي الله عنه إذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال: كان أجود الناس كفاً، وأوسع الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وأوفاهم ذمة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشيرة, من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه, يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله: وما سئل عن شيء قط على الإسلام إلا أعطاه وأن رجلاً أتاه فسأله فأعطاه غنماً سدت ما بين جبلين فرجع إلى قومه وقال: أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة. وما سئل شيئاً قط فقال لا. وحمل إليه تسعون ألف درهم فوضعها على حصير، ثم قام إليها فقسمها فما رد سائلاً حتى فرغ منها، وجاء رجل فسأله فقال: "ما عندي شيء ولكن ابتع علي فإذا جاءنا شيء قضيناه"، فقال عمر: يا رسول الله ما كلفك الله ما لا تقدر عليه، فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال الرجل: أنفق ولا تخشى من ذي العرش إقلالاً, فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وعرف السرور في وجهه، ولما قفل من حنين جاءت الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة فخطفت رداءه، فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: "أعطوني ردائي، لو كان لي عدد هذه العضاه نعماً لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً".

بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم

كان صلى الله عليه وسلم أنجد الناس وأشجعهم، قال علي رضي الله عنه: لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم، وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً، وقال أيضاً: كنا إذا احمر البأس ولقى القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه، قيل: وكان صلى الله عليه وسلم قليل الكلام قليل الحديث، فإذا أمر الناس بالقتال تشمر، وكان من أشد الناس بأساً، وكان الشجاع هو الذي يقرب منه في الحرب لقربه من العدو، وقال عمران بن حصين: ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة إلا كان أول من يضرب. وقالوا: كان قوي البطش, ولما غشيه المشركون نزل عن بغلته فجعل يقول: "أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب" فما رؤي يومئذ أحد أشد منه.

بيان تواضعه صلى الله عليه وسلم

كان صلى الله عليه وسلم أشد الناس تواضعاً في علو منصبه، قال ابن عامر: رأيته يرمي الجمرة على ناقة شهباء لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك، وكان يركب الحمار موكفاً عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف، وكان يعود المريض، ويتبع الجنازة، ويجيب دعوة المملوك، ويخصف النعل، ويرقع الثوب، وكان يصنع في بيته مع أهله في حاجتهم، وكان أصحابه لا يقومون له لما عرفوا من كراهته لذلك, وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم، وأتى صلى الله عليه وسلم برجل فأرعد من هيبته فقال له: هون عليك فلست بملك، إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد، وكان يجلس بين أصحابه مختلطاً بهم كأنه أحدهم فيأتي الغريب فلا يدري أيهم هو؟ حتى يسأل عنه، حتى طلبوا إليه أن يجلس مجلساً يعرفه الغريب فبنوا له دكاناً من طين فكان يجلس عليه، وقالت له عائشة رضي الله عنها: كُلْ - جعلني الله فداك - متكئاً فإنه أهون عليك، قال: فأصغى رأسه حتى كاد أن تصيب جبهته الأرض ثم قال: بل آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد، وكان لا يأكل على خوان ولا سكرجة حتى لحق بالله تعالى، وكان لا يدعوه أحد من أصحابه وغيرهم إلا قال: لبيك، وكان إذا جلس مع الناس إن تكلموا في معنى الآخرة أخذ معهم، وإن تحدثوا في طعام أو شراب تحدث معهم، وإن تكلموا في الدنيا تحدث معهم رفقاً بهم وتواضعاً لهم، وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه أحياناً ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية ويضحكون فيتبسم هو إذا ضحكوا، ولا يزجرهم إلا عن حرام.

بيان صورته وخلقته صلى الله عليه وسلم

وكان من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد، بل كان ينسب إلى الربعة إذا مشى وحده, ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فإذا فارقاه نسبا إلى الطول، ونسب هو عليه السلام إلى الربعة، ويقول صلى الله عليه وسلم: جعل الخير كله في الربعة.

وأما لونه فقد كان أزهر اللون ولم يكن بالآدم ولا بالشديد البياض, والأزهر هو الأبيض الناصع الذي لا تشوبه صفرة ولا حمرة ولا شيء من الألوان, ونعته عمه أبو طالب فقال: وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل.

ونعته بعضهم بأنه مشرب بحمرة، فقالوا: إنما كان المشرب منه بالحمرة ما ظهر للشمس والرياح كالوجه والرقبة، والأزهر الصافي عن الحمرة ما تحت الثياب منه. وكان عرقه صلى الله عليه وسلم في وجهه كاللؤلؤ أطيب من المسك الأذفر.

وأما شعره فقد كان رَجِل الشعر حسنه ليس بالسبط ولا الجعد القطط، وكان إذا مشطه بالمشط يأتى كأنه حبك الرمل، وقيل: كان شعره يضرب منكبيه، وأكثر الرواية أنه كان إلى شحمة أذنيه، ربما جعله غدائر أربعاً تخرج كل أذن من بين غديرتين. وربما جعل شعره على أذنيه فتبدو سوالفه تتلألأ، وكان شيبه في الرأس واللحية سبع عشرة شعرة, ما زاد على ذلك.

وكان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً وأنورهم لم يصفه واصف إلا شبه بالقمر ليلة البدر, وكان يرى رضاه وغضبه في وجهه لصفاء بشرته, وكانوا يقولون هو كما وصفه صاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه حيث يقول: أمين مصطفى للخير يدعو كضوء البدر زايله الظلام

وكان صلى الله عليه وسلم واسع الجبهة أزج الحاجبين سابغهما، وكان أبلج ما بين الحاجبين كأن ما بينهما الفضة الخالصة, وكانت عيناه نجلاوين أدعجهما، وكان في عينيه تمزج من حمرة, وكان أهدب الأشفار حتى تكاد تلتبس من كثرتها, وكان أقنى العرنين - أي: مستوي الأنف -، وكان مفلج الأسنان - أي: متفرقها - وكان إذا افتر ضاحكاً افتر عن مثل حب الغمام،

لم يكن بالطويل الوجه ولا المكلثم, كان كث اللحية, وكان يعفى لحيته ويأخذ من شاربه, وكان أحسن عباد الله عنقاً لا ينسب إلى الطول ولا إلى القصر, ما ظهر من عنقه للشمس والرياح فكأنه إبريق فضة مشرب ذهباً يتلألأ في بياض الفضة وفي حمرة الذهب, وكان صلى الله عليه وسلم عريض الصدر لا يعدو لحم بعض بدنه بعضاً، كالمرآة في استوائها وكالقمر في بياضه، موصول ما بين لبته وسرته بشعر منقاد كالقضيب، لم يكن في صدره ولا بطنه شعر غيره, وكانت له عكن ثلاث يغطي الإزار منها واحدة وتظهر اثنتان, وكان عظيم المنكبين أشعرهما ضخم الكراديس - أي رؤوس العظام من المنكبين والمرفقين والوركين -

وكان واسع الظهر، ما بين كتفيه خاتم النبوة، وهو مما يلي منكبه الأيمن فيه شامة سوداء تضرب إلى الصفرة حولها شعرات متواليات كأنها من عرف فرس, وكان عبل العضدين والذراعين طويل الزندين رحب الراحتين سائل الأطراف كأن أصابعه قضبان الفضة, كفه ألين من الخزّ, كأن كفه كف عطار طيباً - مسها بطيب أو لم يمسها -■ يصافحه المصافح فيظل يومه يجد ريحها، ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها على رأسه, وكان عبل ما تحت الإزارِ في الفخذين والساق, وكان معتدل الخلق في السمن بدناً في آخر زمانه، وكان لحمه متماسكاً يكاد يكون على الخلق الأول لم يضره السمن.

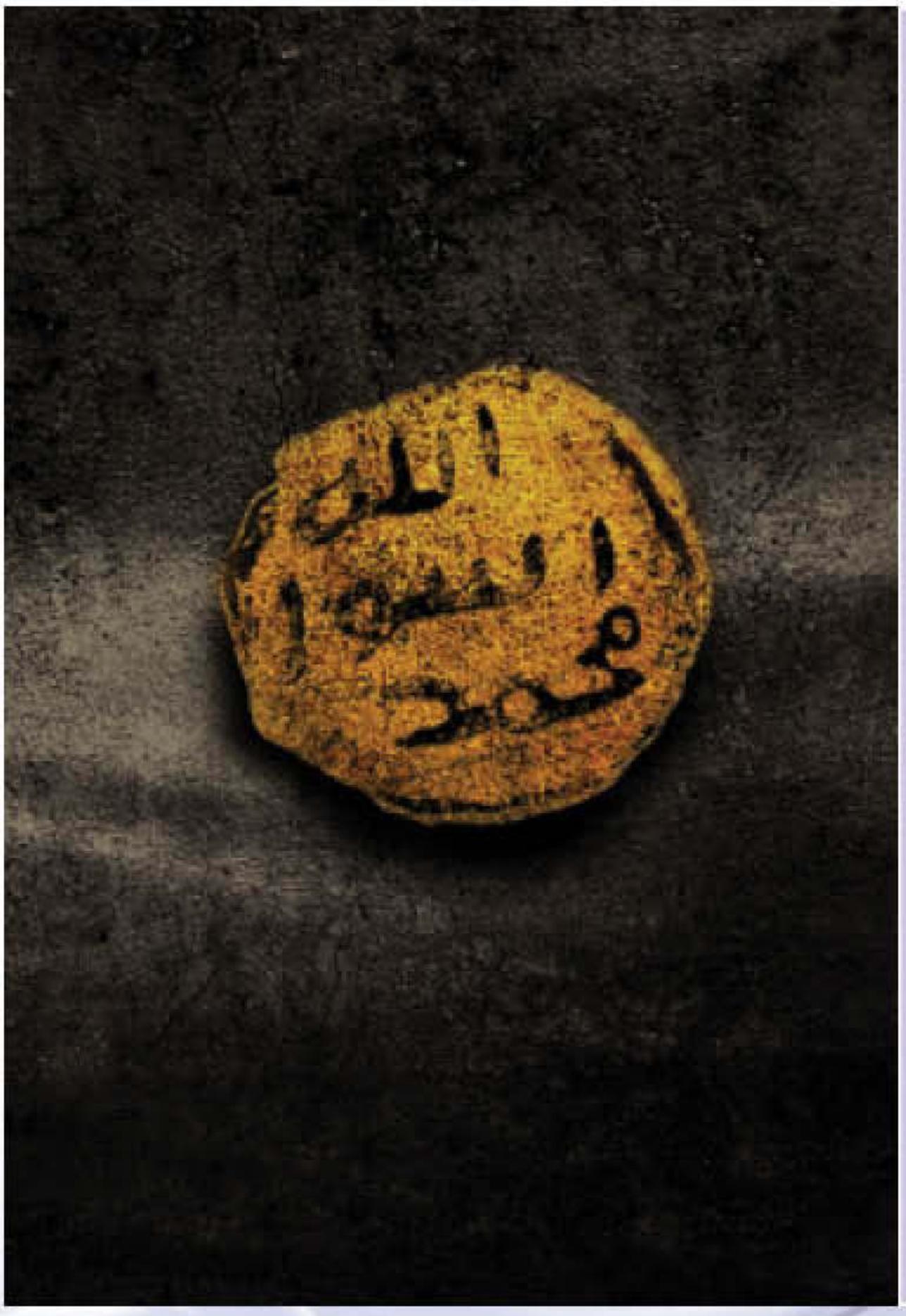

حاله مع أمور الخلافة

وأما مشيه صلى الله عليه وسلم فكان يمشي كأنما يتقلع من صخرٍ وينحدر من صبب, يخطو تكفياً ويمشي الهوينى بغير تبختر - والهوينى تقارب الخطى -, وكان عليه الصلاة والسلام يقول: "أنا أشبه الناس بآدم صلى الله عليه وسلم, وكان أبي إبراهيم صلى الله عليه وسلم أشبه الناس بي خلقاً وخلقاً", وكان يقول: "إن لي عند ربي عشرة أسماء: أنا محمد, وأنا أحمد, وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر, وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد, وأنا الحاشر يحشر الله العباد على قدمي, وأنا رسول الرحمة، ورسول التوبة، ورسول الملاحم، والمقفّى قفيت الناس جميعاً، وأنا قثم". قال البحتري: والقثم الكامل الجامع, والله أعلم.

بيان معجزاته وآياته الدالة على صدقه

اعلم أن من شاهد أحواله صلى الله عليه وسلم، وأصغى إلى سماع أخباره المشتملة على أخلاقه وأفعاله وأحواله وعاداته وسجاياه، وسياسته لأصناف الخلق وهدايته إلى ضبطهم وتألفه أصناف الخلق وقوده إياهم إلى، مع ما يحكى من عجائب أجوبته في مضايق الأسئلة، وبدائع تدبيراته في مصالح الخلق، ومحاسن إشاراته في تفصيل ظاهر الشرع، الذي يعجز الفقهاء والعقلاء عن إدراك أوائل دقائقها في طول أعمارهم، لم يبقَ له ريب ولا شك في أن ذلك لم يكن مكتسباً بحيلة تقوم بها القوة البشرية, بل لا يتصور ذلك إلا بالاستمداد من تأييد سماوي وقوة إلهية, وأن ذلك كله لا يتصور لكذاب ولا ملبس, بل كانت شمائله وأحواله شواهد قاطعة بصدقه حتى أن العربي القح كان يراه فيقول: والله ما هذا وجه كذاب، فكان يشهد له بالصدق بمجرد شمائله فكيف من شاهد أخلاقه ومارس أحواله في جميع مصادره وموارده؟ وإنما أوردنا بعض أخلاقه لتعرف محاسن الأخلاق، وليتنبه لصدقه عليه الصلاة والسلام وعلو منصبه ومكانته العظيمة عند الله؛ إذ آتاه الله جميع ذلك وهو رجل أمي لم يمارس العلم ولم يطالع الكتب، ولم يسافر قط في طلب علم، ولم يزل بين أظهر الجهال من الأعراب يتيماً، فضلاً عن معرفة الله تعالى وملائكته وكتبه

وغير ذلك من خواص النبوة، لولا صريح الوحي؟ ومن أين لقوة البشر الاستقلال بذلك؟ فلو لم يكن له إلا هذه الأمور الظاهرة لكان فيه كفاية. وقد ظهر من آياته ومعجزاته ما لا يستريب فيه محصل, فلنذكر من جملتها ما استفاضت به الأخبار واشتملت عليه الكتب الصحيحة، إشارة إلى مجامعها من غير تطويل بحكاية التفصيل.

فقد خرق الله العادة على يده غير مرة, إذ شق له القمر بمكة لما سألته قريش آية، وأطعم النفر الكثير في منزل جابر وفي منزل أبي طلحة ويوم الخندق، ومرة أطعم ثمانين من أربعة أمداد شعير وعناق وهو من أولاد المعز فوق العتود, ومرة أكثر من ثمانين رجلاً من أقراص شعير حملها أنس في يده، ومرة أهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشير في يدها فأكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك وفضل لهم، ونبع الماء من بين أصابعه عليه السلام فشرب أهل العسكر كلهم وهم عطاش, وتوضئوا من قدح صغير ضاق عن أن يبسط عليه السلام يده فيه، وأهراق عليه السلام وضوءه في عين تبوك ولا ماء فيها, ومرة أخرى في بئر الحديبية فجاشتا بالماء؛ فشرب من عين تبوك أهل الجيش وهم ألوف حتى رووا، وشرب من بئر الحديبية ألف وخمسمائة ولم يكن فيها قبل ذلك ماء.

وأمر عليه السلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يزود أربعمائة راكب من تمر كان في اجتماعه كربضة البعير - وهو موضع بروكه - فزودهم كلهم منه وبقي منه فحبسه، ورمى الجيش بقبضته من تراب فعميت عيونهم ونزل بذلك القرآن في قوله تعالى: "وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى"، وأبطل الله تعالى الكهانة بمبعثه صلى الله عليه وسلم فعدمت وكانت ظاهرة موجودة، وحن الجذع الذي كان يخطب إليه لما عمل له المنبر حتى سمع منه جميع أصحابه مثل صوت الإبل فضمه إليه فسكن، ودعا اليهود إلى تمني الموت وأخبرهم بأنهم لا يتمنونه فحيل بينهم وبين النطق بذلك وعجزوا عنه، وهذا مذكور في سورة يقرأ بها في جميع جوامع الإسلام من شرق الأرض إلى غربها يوم الجمعة - جهراً - تعظيماً للآية التي فيها.

وأخبر عليه السلام بالغيوب، وأنذر عثمان بأن تصيبه بلوى بعدها الجنة، وبأن عمار تقتله الفئة الباغية، وأن الحسن يصلح الله به فئتين من المسلمين عظيمتين، وأخبر عليه السلام عن رجل قاتل في سبيل الله أنه من أهل النار فظهر ذلك بأن ذلك الرجل قتل نفسه، وهذه كلها أشياء إلهية لم تعرف البشرية البتة بشيء منه حتى لما تقدمت المعرفة, لا بنجوم ولا بكشف ولا بخط ولا بزجر، لكن بإعلام الله تعالى له ووحيه إليه. واتبعه سراقة بن مالك فساخت قدما فرسه في الأرض وأتبعه دخان حتى استغاثه فدعا له فانطلق الفرس, وأنذره بأن سيوضع في ذراعيه سوار كسرى فكان كذلك، وأخبر بمقتل الأسود العنسي الكذاب ليلة قتله، وهو بصنعاء اليمن وأخبر بمن قتله وخرج على مائة من قريش ينتظرونه فوضع التراب على رءوسهم ولم يروه، وشكا إليه البعير بحضرة أصحابه وتذلل له، وقال لنفر من أصحابه مجتمعين: "أحدكم في النار ضرسه مثل أحد، فماتوا كلهم على استقامة وارتد منهم واحد فقتل مرتداً، وقال لآخرين منهم: آخركم موتاً في النار؛ فسقط آخرهم موتاً في النار فاحترق فيها فمات، ودعا شجرتين فأتتاه واجتمعتا ثم أمرهما فافترقتا. وكان عليه السلام نحو الربعة فإذا مشى مع الطوال طالهم، ودعا عليه السلام النصارى إلى المباهلة فامتنعوا فعرفهم صلى الله عليه وسلم أنهم إن فعلوا ذلك هلكوا فعلموا، صحة قوله فامتنعوا، وأتاه عامر بن الطفيل بن مالك وأربد بن قيس وهما فارسا العرب وفاتكاهم عازمين على قتله عليه السلام فحيل بينهما وبين ذلك ودعا عليهما، فهلك عامر بغدة وهلك أربد بصاعقة أحرقته، وأخبر عليه السلام أنه يقتل أبي بن خلف الجمحي فخدشه يوم أحد خدشاً لطيفاً فكانت منيته فيه.

وأُعلم عليه الصلاة والسلام بالسم فمات الذي أكله معه وعاش هو صلى الله عليه وسلم بعده أربع سنين وكلمه الذراع المسموم.

وأخبر عليه السلام يوم بدر بمصارع صناديد قريش ووقفهم على مصارعهم رجلاً رجلاً فلم يتعدَّ واحد منهم ذلك الموضع وأنذر عليه السلام بأن طوائف من أمته يغزون في البحر فكان كذلك، وزويت له الأرض فأري مشارقها ومغاربها وأخبر بأن ملك أمته سيبلغ ما زوي له منها فكان كذلك، فقد بلغ ملكهم من أول المشرق: من بلاد الترك إلى آخر المغرب من بحر الأندلس وبلاد البربر ولم يتسعوا في الجنوب ولا في الشمال - كما أخبر صلى الله عليه وسلم سواء بسواء. وأخبر فاطمة ابنته رضي الله عنها بأنها أول أهله لحاقاً به فكان كذلك، وأخبر نساءه بأن أطولهن يداً أسرعهن لحاقاً به فكانت زينب بنت جحش الأسدية أطولهن يداً بالصدقة أولهن لحوقاً به رضي الله عنها.

ومسح ضرع شاة حائل لا لبن لها فدرت وكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود رضي الله عنه، وفعل ذلك مرة أخرى في خيمة أم معبد الخزاعية، وندرت عين بعض أصحابه فسقطت فردها عليه السلام بيده فكانت أصح عينيه وأحسنهما، وتفل في عين علي رضي الله عنه وهو أرمد يوم خيبر فصح من وقته وبعثه بالراية، وكانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه صلى الله عليه وسلم، وأصيبت رجل بعض أصحابه صلى الله عليه وسلم فمسحها بيده فبرأت من حينها وقل زاد جيش كان معه عليه السلام فدعا بجميع ما بقي فاجتمع شيء يسير جداً فدعا فيه بالبركة، ثم أمرهم فأخذوا فلم يبق وعاء في العسكر إلا ملئ من ذلك، وحكى الحكم بن العاص بن وائل مشيته عليه السلام مستهزئاً فقال صلى الله عليه وسلم: كذلك فكن، فلم يزل يرتعش حتى مات، إلى غير ذلك من آياته ومعجزاته صلى الله عليه وسلم، وإنما اقتصرنا على المستفيض. ومن يستريب في انخراق العادة على يده، ويزعم أن آحاد هذه الوقائع لم تنقل تواتراً، بل المتواتر هو القرآن فقط، كمن يستريب في شجاعة علي رضي الله عنه وسخاوة حاتم الطائي، ومعلوم أن آحاد وقائعهم غير متواترة، ولكن مجموع الوقائع يورث علماً ضرورياً، ثم لا يتمارى في تواتر القرآن وهي المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق، وليس لنبي معجزة باقية سواه صلى الله عليه وسلم، إذ تحدى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغاء الخلق وفصحاء العرب، وجزيرة العرب حينئذ مملوءة بآلاف منهم، والفصاحة صنعتهم وبها منافستهم ومباهاتهم، وكان ينادي بين أظهرهم: "أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً"، وقال ذلك تعجيزاً لهم فعجزوا عن ذلك وصرفوا عنه، حتى عرضوا أنفسهم للقتل ونساءهم وذراريهم للسبي، وما استطاعوا أن يعارضوا ولا أن يقدحوا في جزالته وحسنه، ثم انتشر ذلك بعده في أقطار العالم شرقاً وغرباً قرناً بعد قرن وعصراً بعد عصر، وقد انقرض اليوم قريب من خمسمائة سنة فلم يقدر أحد على معارضته.

فما أعظم جهل من ينظر في أحواله, ثم في أقواله, ثم في أفعاله, ثم في أخلاقه, ثم في معجزاته, ثم في استمرار شرعه إلى الآن, ثم في انتشاره في أقطار العالم, ثم في إذعان ملوك الأرض له في عصره وبعد عصره مع ضعفه ويتمه، ثم يتمارى بعد ذلك في صدقه.

وما أعظم توفيق من آمن به وصدقه واتبعه في كل ما ورد وصدر، فنسأل الله تعالى أن يوفقنا للاقتداء به في الأخلاق والأفعال والأحوال والأقوال بمنه وسعة جوده.

الباب الثالث

3

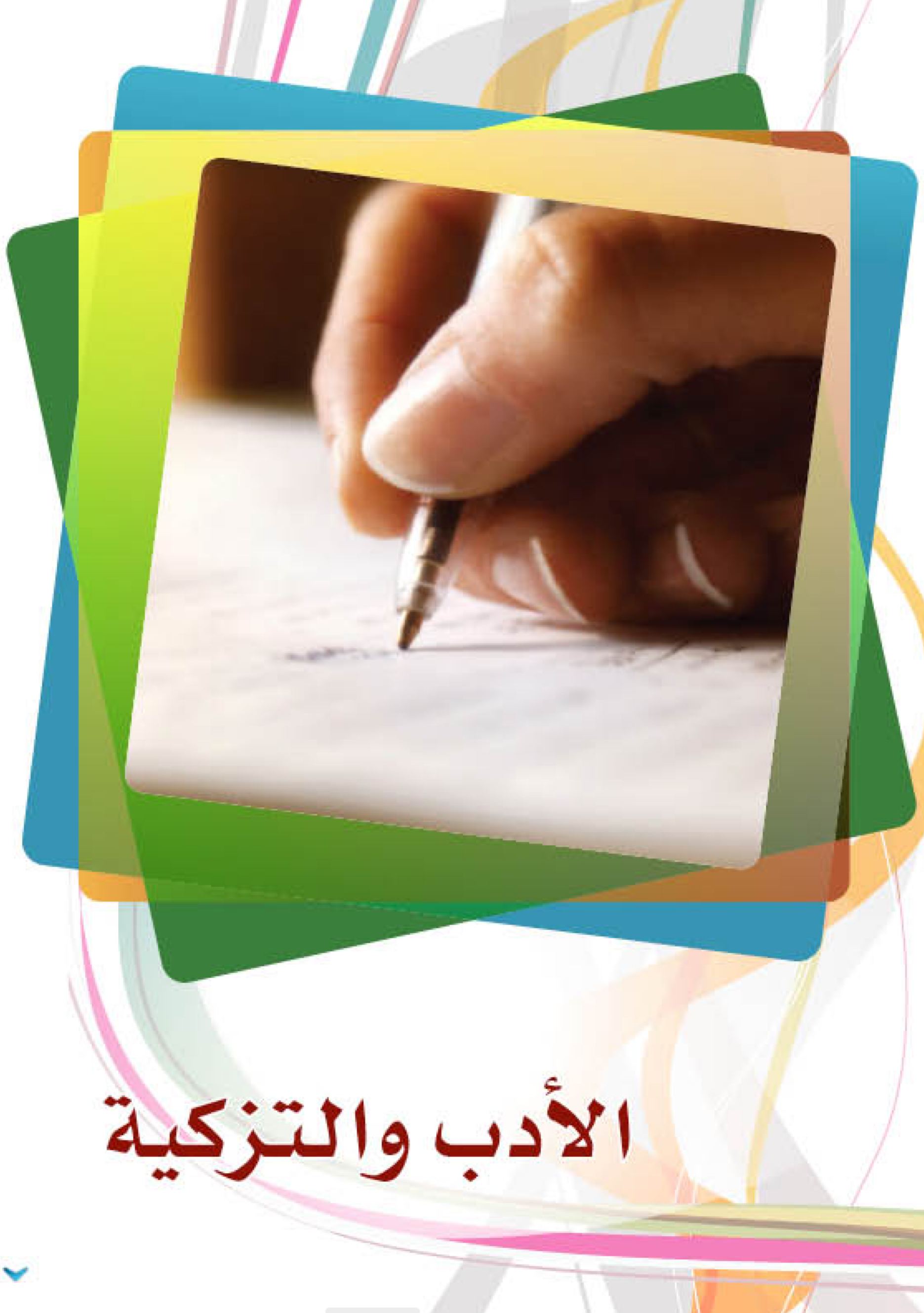

الأدب والتزكية

أولاً: الشعر والتزكية

إن من الشعر لحكمة, كلما أردت أن أختم كتابي, وجدت في الشعر ما لا يقوم الكتاب إلا به, فقررت أن أضع بين أيديكم مقتطفات بسيطة, من أجمل ما عرف من الشعر في تزكية الأنفس والأخلاق.

السلامة

يا نفس إن لم تظفري لا تجزعي ... وإلى موائد جود مولاك اهرعي

وإذا تأخر مطلب فلربما ... في ذلك التأخير كل المطمع

واستأنسي بالمنع وارعي حقه ... إن الرضى وصف المنيب الألمع

وإذا بدا من ناطق الوجدان ما ... يدعوك لليأس الذميم الأشنع

فاستيقظي من نومة الغفلات ولي ... كن الرجا لك مرتعا فيه ارتعي

إن العطا إمداده متنوع ... يا حسنه ذاك العطا المتنوع

وردوا على نهر الحياة وكلهم ... شربوا وكم في الركب من متضلع

حاشا الكريم يردهم عطشى وقد ... وردوا وأصل الجود من ذا المنبع

يارب لي ظن جميل وافر ... قدمته أمشي به يسعى معي

كل الذي يرجون فضلك أمطروا ... حاشاك أن يبقى هشيما مربعي

ثم الصلاة على الحبيب محمد ... سببي القوي إلى المقام الأرفع

هو عصمتي هو عروتي فاستمسكي ... يا نفس بالمجد العظيم الأمنع

عبد القادر بن محمد بن علي الحبشي

لا تيأسن من لطف ربك

إن كنت تغدو في الذنوب جليدا ... وتخاف في يوم المعاد وعيدا
فلقد أتاك من المهيمن عفوه ... وأفاض من نعم عليك مزيدا
لا تيأسنْ من لطف ربك في الحشا ... في بطن أمك مضغة ووليدا
لو شاء أن تصلى جهنم خالداً ... ما كان أَلْهَمَ قلبك التوحيدا

نور الله لا يهدى لعاص

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ... ونور الله لا يهدى لعاصي

ما بال دينك

ما بال دينك ترضى أن تدنسه ... وثوبُكَ الدهرَ مغسولٌ منَ الدنَسِ
ترجو النجاة ولم تسلك طريقتها ... إن السفينة لا تجري على اليبس

تقوى الله

ألا إنَّ تقُــوى الله أكــــرمُ نِسْبــة
تسَامـى بها نحـو الفخــارِ كريــمُ
إذَا أنتَ نَافَستَ الرِّجَالَ عَلَى التُّقَى
خَــرجتَ مِنَ الدُّنَــيا وَأنتَ سَليـمُ
أرَاك امْـرأً تَرجُـو مِـن الله عَفـوَهُ
وأنــتَ علـى ما لا يحــبّ مقيــمُ
وانَّ امــرأً لا يَرتَجِـي النَّاسُ عَفـوه
ولــمْ يأمَنــوا منــهُ الأذَى للئيــمُ

بغض الحياة

بُغْضُ الحَيَاةِ وَخَوفُ الله أخرَجَنِي
وَبَيــعُ نَفسِـي بِمَـا لَيسَـتْ لَهُ ثَمَنَا
إنِّــي وَزَنــتُ الـذِي يَبقَــى لِيَعـدِلَهُ
مَا لَيـسَ يَبقَـى فَلا والله مَا اتَّزَنَـا
أرَى أناساً بأدنــى الدينِ قـدْ قنعُـوا
ولاَ أراهمْ رضُوا فـي العيشِ بالدونِ
فاستغنِ بالله عـنْ دنيَا الملوكِ كمَا
استغنَى الملوكُ بدنياهمْ عنِ الدينِ

لا تكن لحوحاً في طلبك

قال عدي بن زيد:

كفــى زاجــراً للمــرء أيـام دهــره ... تــروح لـه بالــواعظات وتغتــدي
إذا أنــت طالبــت الرجـال نوالهــم ... فَعُفَّولا تطلـب بجَهــد فَتُنْكــدي
عن المــرء لا تسأل وسل عـن قرينه ... فكل قريــن بالمقــارن يقتــدي
ولا تظهــرنْ ود امــرئ قبـل خُبْــره ... وبعــد بلاء المــرء فاذمُـمْ أوِ احْمَـدِ

- الجهد : أراد به الإلحاح
- تنكد : تمنع
- جمهرة أشعار العرب (ص 180)

لا يغرنك المظهر

لا يعجبنّك من يصون ثيابه
حذر الغبار وعرضه مبذول
ولربما افتقر الفتى فرأيته
دنس الثياب وعرضه مغسول

ذم الدنيا

قال الشاعر :

أرى الدنيا لمن هي في يديه
هموماً كلما كثرت لديه
تهين المكرمين لها بصُغْر
وتكرم كل من هانت عليه
إذا استغنيت عن شيئ فدعه
وخذ ما أنت محتاج إليه

رتبة الناس

والناس أشباه ولكن فرقت
ما بينهم في الرتبة الآراء
والنفس إن صلحت زكت فتفاوتت
من فطنة لعبت بها الأهواء
لو لم يكن بين الرجال تفاوت
ما كان فيهم سادة ورِعاء

• جمهرة أشعار العرب

ابن آدم والمعصية

قال محمود الوراق:

يا ناظراً يرنوا بعيني راقد ... ومشاهداً للأمر غير مشاهد
تصل الذنوب إلى الذنوب و ترتجي ... درك الجنان بها وفوز العابد
و نسيت أن الله أخرج آدماً ... منها إلى الدنيا بذنب واحد

• أدب الفقهاء (ص 130)

الاشتغال بعيوب النفس عن عيوب الآخرين

يقول الشاعر :

يمنعني من عيب غيري الذي
أعرفه عندي من العيب
عيبيَ بالظن مني لهم
ولست من عيبي في ريب
إن كان عيبي غاب عنهم فقد
أحصى ذنوبي عالم الغيب

• العوائق (ص 151 - 152)

اشتدي يا أزمة

قال أبو الفيصل النحوي:

اشتدّي أزمة تنفرجي ... قد آذن ليلك بالبلَج
وظلام الليل له سُرُج ... حتى يغشاه أبو السرج
وسحاب الخير لها مطر ... فإذا جاء الإبّان تجي

• آداب الفقهاء (ص 14)

إدراك الشرف

رأت جارية للمنصور قميصه مرقوعاً فكلمته فقالت:

قد يدرك الشرفَ الفتى ورداؤه خلق وجيب قميصه مرقوع

- البيت لابن هرمة في ديوانه
- سير أعلام النبلاء (ج 7 ص 87)

الدنيا

أنشد ابن القيم :

مايزت بين جمالها و فعالها فإذا الملاحة بالقباحة لا تفي

حلفت لنا أن لا تخون عهودنا فكأنها حلفت لنا أن لا تفي

- الفوائد (ص 60)

اشتدي يا أزمة

قالت النسمة:
هذا النحل غالى في أذاه.
كم على وجنتك الغضة
قد أطبق فاه
ومضى يرشف منها الدم حتى
منتهاه!
عجبا مما أراه!
لم لا تبدين شكوى مما أتاه!
و لماذا الشوك
لا يبدي له أي انتباه؟!
قالت الزهرة:
فليرشف كما شاء هواه
كل أعضائي فداه!
لِمَ أشكو؟!
كلنا فوق منايا غيره يعدو..
لتحقيق مناه.
أنت يا شهقة روح الريح,
تمتصين عطري..
لتسوقيه إلى كل اتجاه,
وهو يمتص دمائي..

ثم يلقيها
ويلقي معها ذوب دماه
عسلا فوق الشفاه!
وأنا ..تاجي وعرشي
وعطوري المشتهاه
كلها
من جسد الطين
ومن روح المياه!
نحن يا أختاه نعطي ما جنينا
وهو يجني ثم يعطي ما جناه.
هكذا تحلو الحياه
حين يشقى كلنا
من أجل إسعاد سواه!

الشاعر:أحمد مطر

فبمـــن يلـــوذ

يا رب إن عظمـت ذنوبـي كثـرة ... فلقد علمت بأن عفوك أعظم

إن كان لا يرجـوك إلا محسـن ... فبمن يلـوذ ويستجيـر المجرم

أدعـوك ربَّ كما أمـرت تضـرعاً ... فإذا رددت يـدي فمـن ذا يرحم

مالـي إليك وسيلة إلا الرجـا ... وجميل عفوك ثم أنـي مسلـم

أبو نواس

إله الخلـــق

إليك إلهَ الخلـق أرفـــع رغبتـــي
وإن كنتُ يا ذا المن والجود مجرما
ولما قســـا قلبي وضاقت مذاهبـي
جعلت الرجا منـي لعفـوك سُلّما
تعاظمنـــي ذنبـي فلـــما قـرنتُه
بعفـوك ربـي كان عفـوك أعظما
فما زلـت ذا عفـو الذنب لـم تـزل
تجـــود وتعفـــو منـــة وتكرمـــا
فلولاك لم يصمد لإبليس عابـد
وكيـــف وقـد أغـوى صفيك آدما

فإن تعـــف عنـــي تعفُ عن متمرد
ظلـــوم غشـــوم لا يـزايل مأثـــما
وإن تنتقـــم منـــي فلســـت بآيـس
ولو أدخلت نفسي بجرمي جهنما
ألســـت الذي غذّيتنـــي وهديتنـي
ولا زلـــتَ مَنّانـــاً علـــي ومنعـــما
عسى مَن له الإحسان يغفر زَلتي
ويستـــر أوزاري وما قـــد تقدمـا

الإمام الشافعي

لا تعذبني

إلهي لا تعذبني فإني
مُقِرٌّ بالذي قد كان مني
وما لي حيلةٌ إلا رجائي
وعفوك إن عفوتَ وحسنُ ظني
فكم من زَلّة لي بين البرايا
وأنت علي ذو فضلٍ ومَنِّ
إذا فكرتُ في قُدُمي عليها
عضضت أناملي وقرعتُ سني
يظن الناس بي خيراً وإني
لشرُّ الناس إن لم تعف عني
أُجَنُّ بزهرة الدنيا جنوناً
وأُفني العمر فيها بالتمني
وبين يديَّ محتَبس ثقيل
كأني قد دُعيت له كأني
ولو أني صدقتُ الزهد فيها
قلبتُ لأهلها ظهر المِجَنِّ

أبو العتاهية

يا من يرى

أبو القاسم السُهَيْلي

يا مَن يرى ما في الضمير ويسمع ... أنت المُعَدُّ لكل ما يُتوقَّعُ
يا من يُرجَّى للشدائد كلها ... يا من إليه المشتكى والمَفْزَعُ
يا من خزائن رزقه في قول: كُن ... امنن فإن الخير عندك أجمع
مالي سوى فقري إليك وسيلة ... فبالافتقار إليك ربي أضْرَعُ
مالي سوى قرعي لبابك حيلة ... فلئن رُدِدْتُ فأيَّ باب أقرع
ومن الذي أدعو وأهتف باسمه ... إن كان فضلك عن فقيرك يُمنعُ
حاشا لجودك أن تقنط عاصياً ... الفضل أجزل والمواهب أوسعُ

النفس تبكي

النفسُ تبكي على الدنيا وقد علمت
أن السعادة فيها ترك ما فيها
لا دارَ للمرءِ بعد الموت يسكُنها
إلا التي كانَ قبل الموتِ بانيها
فإن بناها بخير طاب مسكنُه
وإن بناها بشر خاب بانيها
أموالنا لذوي الميراث نجمعُها
ودورنا لخراب الدهر نبنيها
أين الملوك التي كانت مسلطنةً
حتى سقاها بكأس الموت ساقيها
فكم مدائنَ في الآفاق قد بنيت
أمست خرابا وأفنى الموتُ أهليها
لا تركَنَنّ إلى الدنيا وما فيها
فالموت لا شك يُفنينا ويُفنيها
إن المكارم أخلاقٌ مطهرةٌ
الدين أولها والعقل ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها
والجود خامسها والفضل ساديها
والبر سابعها والشكر ثامنها
والصبر تاسعها واللين باقيها
والنفس تعلم أني لا أصادقها
ولست أَرْشُدُ إلا حين أعصيها
فاعمل لدارٍ غداً رضوانُ خازنها
والجار أحمد والرحمن منشيها
قصورها ذهب والمسك طينتها
والزعفران حشيشٌ نابتٌ فيها
أنهارها لبنٌ محضٌ ومِنْ عسلٍ
والخمر يجري رحيقاً في مجاريها
والطير تجري على الأغصان عاكفةً
تسبحُ الله جهراً في مغانيها
من يشتري الدار في الفردوس يعمرها
بركعةٍ في ظلام الليل يحييها

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

إذا متـــنا

ولو أنا إذا متنا تُركنا ... لكانَ المَوْتُ راحَـةَ كُلِّ حَـيّ
ولكـنا إذا متنا بُعثنا ... ونُسأل بعد ذا عن كل شَيَّ

علي بن أبـــي طالب كرم الله وجهه

تـــربة أحمـــد

ماذا عَلَى مَنْ شَمَّ تُرْبَةَ أحمد ... أن لا يشمَّ مدى الزمان غواليا
صُبَت علـيّ مصائبٌ لـو أنـها ... صبّت على الأيام صِرْنَ لياليا

فاطمة بنت محمد ﷺ رضي الله عنهما

وصية الإمام علي لابنه الحسين رضي الله عنهما

أَحُسَـيْنُ إنّـي واعِـظٌ وَمُـؤَدِّبُ ... فَافْهَـمْ فَأَنْـتَ العَاقِلُ المُتَأَدِّبُ
واحفـظ وصية والـد متحـنن ... يـغذوك بالآداب كيـلا تعطـب
أبنـيّ إن الـرزق مكفـول به ... فعليـكَ بالاجمال فيـما تطلب
لا تَجْعَلَنَّ المـالَ كَسْبَكَ مُفْـرَدا ... وتقـى إلهـك فاجعلْ ما تكسبُ
كفـلَ الإلـه بـرزق كـل بريّـةٍ ... والمـال عاريـةٌ تجـيء وتذهـب
والـرِّزْقُ أَسْـرَعُ مِنْ تَلَفُّتِ ناظِرٍ ... سبباً إلـى الانسـان حـين يسبب
ومن السيول إلى مقر قرارهـا ... والطيـر لِلأَوْكـارِ حـينَ تُصَـوَّبُ
أبنـيَ إن الذكـرَ فيـه مـواعظٌ ... فَمَـنِ الّـذي بِعِظاتِـهِ يَـتأَدَّبُ
إقْـرَأْ كِتَابَ الله جُـهْدَكَ وَاتْلُـهُ ... فيمَـنْ يَقـومُ بِهِ هناكَ ويَنْصِبُ
بِتَفَكُّـرٍ وتخشُّـعٍ وتَـقَرُّبِ ... إن المقـرب عنـده المتقـرب
واعْبُدْ إلَهَكَ ذا المَعارِجِ مخلصاً ... وانْصُتْ إلى الأَمْثَالِ فِيْمَا تُضْرَبُ

وإذا مَـــرَرْتَ بِآيَـــةٍ وَعْـــظِيَةٍ ... تَصِفُ العَذَابَ فَقِفْ ودَمْعُك يُسْكَبُ

يا مَنْ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَـاءُ بِعَدْلِه ... لا تجعَلَنّـي فـــي الذيـن تعـذَّب

إِنّـي أبـوءُ بِعَثْرَتِـي وَخَطِيْئَتِـي ... هَرَبا إِلَيْـكَ وَلَيْس دُوْنَكَ مَهْرَبُ

وإذا مَـــرَرْتَ بآيَةٍ فـــي ذِكْرِهـا ... وَصْفُ الوَسِيْلَةِ والنعيمُ المُعْجِبُ

فاسأل إلهك بالإنابة مخلصاً ... دار الخلـــود ســـؤال مـن يتقـرب

واجْهَدْ لَعَلَّكَ أنْ تَحِلّ بأَرضِـهَا ... وَتَنَـــالَ رَوْحَ مَساكِـــنٍ لا تُخْـــرَبُ

وتنال عَيْشاً لا انـقِطَاعَ لوَقْتِـه ... وَتَنَـــالَ مُلْكَ كَـــرَامَةٍ لاَ تُسْلَـــبُ

و لقد نصحتك إن قبلت نصيحتي ... والنُصْـحُ أَرْخَصُ ما يُبَاعُ وَيُوْهَبُ

لبست ثوب الرجا

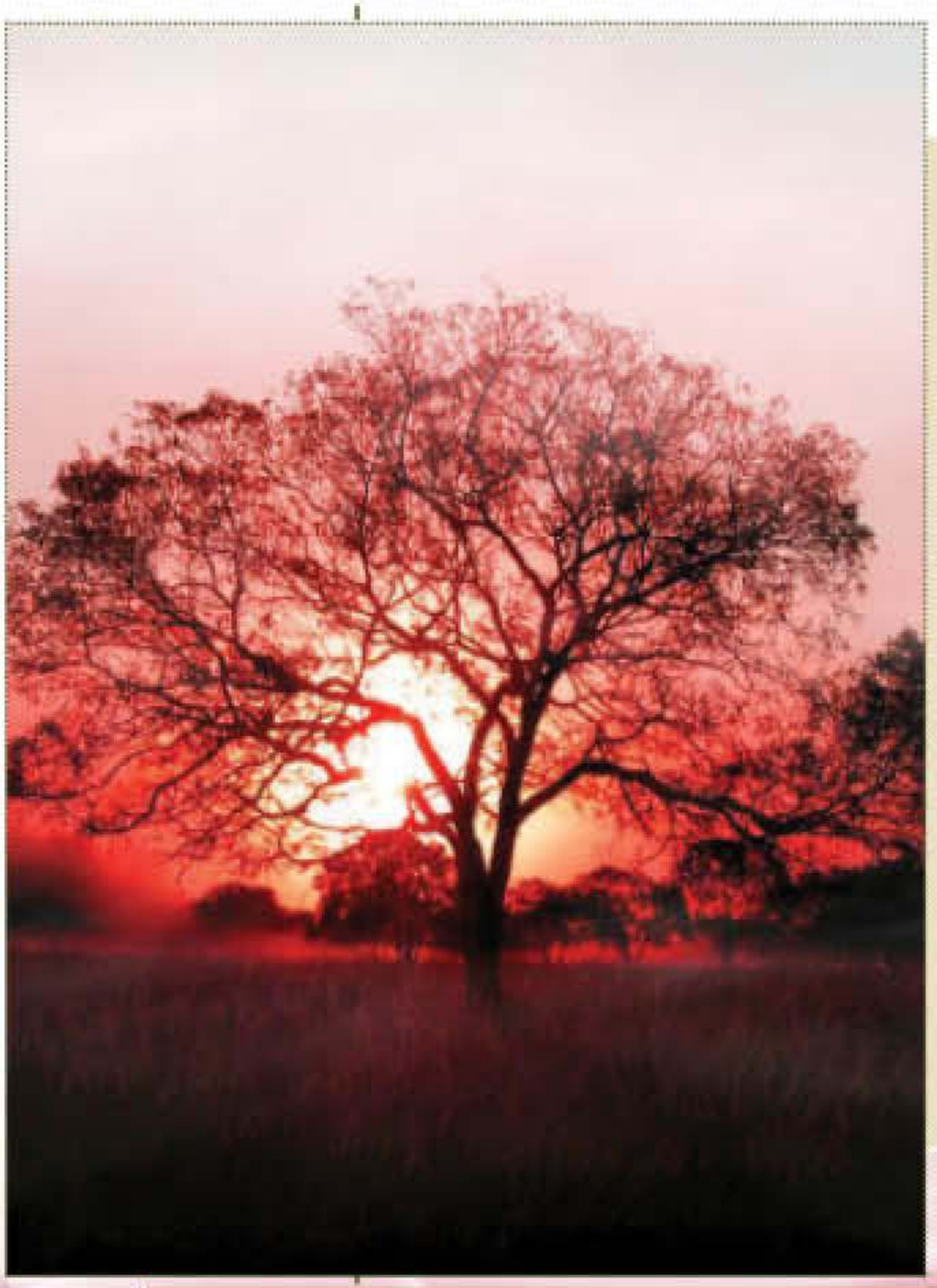

لبِستُ ثوب الرَّجا والناس قد رقدوا
وَبِتُّ أشكـو إلـى مولاي ما أجِـدُ
وقُلـتُ يا أمَلـي فـي كلُ نائبـة
يامَـنَ عليه لكشـف الضُرِّ أعتمدُ
أشكـو إليك أمـوراً أنـت تعلمها
ما لـي علـى حملها صبرٌ ولا جَلَدُ
وقـد مدَدْتُ يـدِي بالذُّلِّ مبتهلاً
إليـك يا خيـر من مُدَّتْ إليه يَدُ
فـلا تَرُدَّنَّـها يا ربِّ خائبـةً
فبَحـرُ جـودِكَ يُروي كل منْ يَرِدُ

للشيخ . أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي رحمه الله

ثانياً: مناجاة الصالحين وثناؤهم

كان للصالحين ولا زال في دعائهم ومناجاتهم فنون وأدب, ولا يرقى الإنسان لمنزلة التزكية وتربية النفس دون أن يتقن الأدب في الدعاء والمناجاة مع الله, وهذا ليس من أصول الدين, لكنها من أصول المحبة.

فنورد لكم في هذا الفصل, نصوصاً من مناجاة الصالحين وثنائهم ودعائهم, منذ عهد الصحابة وحتى العصور المتأخرة, وللأمانة العلمية, فقد استخلصت الجزء الأكبر من هذه الأدعية من كتيب رائع للدكتور محمد موسى الشريف بعنوان مناجاة وتسبيح. فجزاه الله عنا خير الجزاء.

من تسبيحات الصحابة والتابعين وثنائهم:

قال الخليفة الراشد علي بن أبي طالب, رضي الله عنه: ((كل شيء خاشع له, وكل شيء قائم به, غِنى كل فقير, وعزُّ كل ذليل, وقوة كل ضعيف, ومفزع كل ملهوف.

مَن تكلم سمع نطقه, ومن سكت علم سره, ومن عاش فعليه رزقه, ومن مات فإليه منقلبه.

لم تَرَكَ العيون فتخبر عنك بل كنت قبلَ الواصفين من خلقك.

لم تخلق الخلق لوَحْشة, ولا استعملتهم لمنفعة, ولا يسبقك مَن طلبتَ, ولا يُفلتك من أخذت, ولا ينقص سلطانَك من عصاك, ولا يزيد في ملكك من أطاعك, ولا يرد أمرَك من سَخِط قضاءك, ولا يستغني عنك من تولى عن أمرك.

كل سر عندك علانية, وكل غيب عندك شهادة...

سبحانك ما أعظم شأنك, سبحانك ما أعظم ما نرى من خلقك, وما أصغر أي عظيمة في جنب قدرتك, وما أهولَ ما نرى من ملكوتك, وما أحقر ذلك فيما غاب عنا من سلطانك, وما أسبغَ نعَمك في الدنيا وما أصغرها في نعم الآخرة)).

وقال . أيضاً . رضي الله عنه: ((انقادت له الدنيا والآخرة بأزِمّتها, وقذفت إليه السموات و الأرض بمقاليدها, وسجدت له بالغدوّ والآصال الأشجار الناضرة... وآتت أُكُلَها بكلماته الثمار اليانعة)).

وقال . أيضاً . رضي الله عنه: ((يا أرحم الراحمين, يا صاحبي عند شدتي, يا مؤنسي في وحدتي, يا حافظي في نعمتي, يا وليّي في نفسي, يا كاشف كربتي, يا مستمعَ دعوتي, يا راحمَ عبرتي, يا مقيلَ عثرتي, يا إلهي بالتحقيق, يا ركني الوثيق... يا مولاي الشفيق, يا رب البيت العتيق... يا فارج الهم, وكاشفَ الغم, ويا منزِل القطر, ويا مجيبَ دعوة المضطرين, يا رحمن الدنيا والآخرة و رحيمهما... يا كاشفَ كل ضرٍ وبلية, ويا عالم كُلِّ خَفِيَّة, يا أرحم الراحمين...)).

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ((اللهم: إني أسألك بنور وجهك الذي أشرقت له السموات والأرض أن تجعلني في حرزك وحفظك وجوارك وتحت كنفك)).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ((اللهم: إني أسألك بنعمتك السابغة التي أنعمت بها, وبلائك الذي ابتليتني, وبفضلك الذي أفضلت علي أن تدخلني الجنة...)).

وقال أحد الصحابة رضي الله عنهم: ((يا من لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون, ولا يصفه الواصفون, ولا تغيره الحوادث, ولا يخشى الدوائر, يعلم مثاقيل الجبال, ومكاييل البحار, وعدد قطر الأمطار, وعدد ورق الأشجار, وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار, وما تواري منه سماء سماء, ولا أرضٌ أرضاً, ولا بحر ما في قعره, ولا جبل ما في وعره, اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك...))فوهب له رسول الله ﷺ ذهباً أهدي له وأخبره أنه أعطاه إياه لحسن ثنائه على الله تعالى.

وقال عمر بن ذر رحمه الله تعالى: (اللهم:إنا قد أطعناك في أحب الأشياء إليك أن تطاع فيه: الإيمان بك والإقرار بك, ولم نعصك في أبغض الأشياء أن تُعصى فيه: الكفر و الجحد بك, اللهم فاغفر لنا ما بينهما.
وأنت قلت (وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللهُ مَن يَمُوتُ), ونحن نقسم بالله جهد أيماننا لتبعَثن من يموت, أفتراك تجمع بين أهل القَسَمين في دار واحدة).

وقال أحد السلف: (يا من يملك حوائج السائلين, ويعلم ضمائر الصامتين. يا من ليس معه ربٌّ يُدعى, ويا من ليس فوقه خالق يُخشى, ويا من ليس له وزير يُؤتى, ولا حاجب يرش. يا من لا يزداد على كثرة السؤال إلا جوداً وكرماً, وعلى كثرة الحوائج إلا تفضلاً وإحساناً... يا من لا يشغله شأن عن شأن, ولا سمع عن سمع, ولا تشتبه عليه الأصوات, يا من لا تُغلطه المسائل و لا تختلف عليه اللغات, يا من لا يُبرمه إلحاحُ الملحين, ولا تضجره مسألة السائلين, أذقنا بَرْدَ عفوك وحلاوة مناجاتك).

وكان ذو النون المصري رحمه الله تعالى إذا قام إلى الصلاة قال: (يا إلهي: بأي رِجل أمشي إليك ؟ أم بأي عين أنظر إليك ؟ أم بأي لسان أناجيك ؟ أم بأي يد أدعوك ؟
ولكن الثقة بكرمك حملتني على الجراءة, وإن العبد إذا ضاقت عليه حيلته قَلّ حياؤه.

وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى: يا من يأوي كلُّ معتمد إليه, ويستغني به كل منقطع إليه. يا من جعل ديني توحيدَه, وعبادتي تمجيدَه, وجعل أطيب ساعاتي منه خَلَواتي, وألذ أوقاتي منه مناجاتي...
إلهي: قسا قلبي, وجهلت أمري, وبخلت بالماء عيني...
سيدي: أبعد الإيمان تعذبني, ومن مُقَطّعات النيران تُلبسني, وإلى جهنم مع الأشقياء تحشرني, وإلى مالك خازنها تُسَلمني, وفيها يا ذا العفو والإحسان تدخلني, وعفوك الذي كنت أرجو تحرمني.. ؟

من تسبيحات المتأخرين وثنائهم:

قال أبو حيان التوحيدي رحمه الله تعالى: اللهم: إني أبرأ إليك من الثقة إلا بك, ومن الأمل إلا فيك, ومن التسليم إلا لك, ومن التفويض إلا إليك, ومن التوكل إلا عليك, ومن الطلب إلا منك, ومن الرضا إلا عنك, ومن الذل إلا في طاعتك, ومن الصبر إلا على بابك, وأسألك أن تجعل الإخلاص قرين عقيدتي, والشكر على نعمتك شعاري ودثاري, والنظرَ في ملكوتك دأبي ودَيْدَني, والانقياد لك شأني وشغلي, والخوف منك أمني وإيماني, واللياذ بذكرك بهجتي وسروري.

وقال . أيضاً . رحمه الله تعالى: (اللهم: إنه لا غَني إلا من أغنيته, ولا مَكْفيَّ إلا من كَفيته, ولا محفوظ إلا مَن حفظته, فأغننا واكفِنا واحفظنا, وإذا أردت بقومٍ سوءاً فميزنا عنهم, يا أرحم الراحمين).

وقال . أيضاً . رحمه الله تعالى: (إلهنا: جهلوك فخالفوك, ونكروك فجحدوك, ولو فطنوا لما فاتهم منك لأحبوك, ولو أحبوك لعَبَدوك, ولو عبدوك لعرفوك, ولو عرفوك لكنت لهم فوق الأم الرؤوم والأب الرحيم, يا ذا الجلال والإكرام).

وقال . أيضاً . رحمه الله تعالى: (طُوبى لمن سبقت له منك الحسنى فصار بين أهل السموات والأرض من أولي الاغتباط...

وقال . أيضاً . رحمه الله تعالى: (يا حبيب القلوب, يا من يطّلع على الغيوب, ويغفر الذنوب, ويستر العيوب...).

وقال شَيْدَلَة رحمه الله تعالى: (إلهي: أذنبت في بعض الأوقات, وآمنت بك في كل الأوقات, فكيف يغلب بعضُ عمري مذنباً جميعَ عمري مؤمناً؟

إلهي: لو سألتني حسناتي لجعلتها لك مع شدة حاجتي إليها, وأنا عبد, فكيف لا أرجو أن تهب لي سيئاتي مع غناك عنها, وأنت ربٌ.

فيا من أعطانا خيرَ ما في خزائنه، وهو الإيمان به قبل السؤال، لا تمنعنا أوسعَ ما في خزائنك، وهو العفو مع السؤال.

إلهي: حجتي حاجتي, وعُدتي فاقتي, فارحمني.

إلهي: كيف أمتنع بالذنب من الدعاء ولا أراك تمنع مع الذنب من العطاء, فأن غفرت فخير راحم أنت, وإن عذبت فغير ظالم أنت.

إلهي: أسألك تذللاً فأعطني تفضلاً.

وقال. أيضاً . رحمه الله تعالى: (إلهي: تعرض لك... المتعرضون, وقصدك القاصدون, وأمّل فضلَك ومعروفك الطالبون, ولك... نفحات وجوائز, وعطايا ومواهب, تمن بها على من تشاء من عبادك, وتمنعها ممن لم تسبق له العناية منك, وهأنذا عبدك الفقير إليك, المؤملُ فضلك ومعروفك...).

وقال أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى: (ربُّ: لمن أقصد وأنت المقصود, وإلى مَن أتوجه وأنت الموجود, ومَن ذا الذي يعطي وأنت صاحب الكرم والجود, ومن ذا الذي أسأل وأنت الرب المعبود, وهل في الوجود ربٌّ سواك فيُدعى, أم هل في الملك إله غيرك فيُرجى وإليه يُسعى, أم هل كريمٌ غيرُك يطلب منه العطا, أم هل جواد سواك فيُسأل منه الرضا, أم هل حليم غيرك فيُنال منه الفضل والنُعمى, أم هل رحيم غيرك في الأرض والسما, أم هل حاكم سواك فترفع إليه الشكوى, أم هل طبيب غيرك فيكشف الضر والبلوى, أم هل رؤوف غيرك للعبد الفقير يعتمد عليه, أم هل مليك سواك تبسط الأكف بالدعاء إليه, فليس إلا كَرمُك وجودك لقضاء الحاجات, وليس إلا فضلك ونعمك لإجابة الدعوات.

إلهي: قد وجدتك رحيماً فكيف لا أرجوك, ووجدتك ناصراً معيناً فكيف لا أدعوك.

مَن لي إذا قطعتني, ومن ذا الذي يضرني إذا نفعتني, ومن الذي يعذبني إذا رحمتني, ومن ذا الذي يَقْرَبُني بسوء إذا نجيتني, ومن ذا الذي يمرضني إذا عافيتني؟...).

قال الشيخ عبد العزيز الدِّيريني رحمه الله تعالى: (إلهي: كيف يحيط بك عقل أنت خلقته ؟ أم كيف يدركك بصر أنت شقَقته ؟ أم كيف يدنو منك فكر أنت وفقته؟ أم كيف يحصي الثناءَ عليك لسان أنت أنطقته؟...

إلهي: كيف يناجيك في الصلوات من يعصيك في الخلوات, لولا حلمك ؟

أم كيف يدعوك في الحاجات من ينساك عند الشهوات لولا فضلك ؟...

اللهم: يا حبيب كل غريب, ويا أنيس كل كئيب: أي منقطع إليك لم تكفه بنعمتك؟

أم أي طالب لم تلقه برحمتك؟ أم أي هاجر هجر فيك الخلق فلم تصله؟

أم أي محب خلا بذكرك فلم تؤنسه؟ أم أي داع دعاك فلم تُجبه؟...

إلهي: كيف نتجاسر على السؤال مع الخطايا والزلات؟ أم كيف نستغني عن السؤال مع الفقر والفاقات؟...

يا حبيب القلوب أين أحبابك ؟ يا أنيس المنفردين أين طلابك؟

من الذي عاملك فلم يربح ؟ من الذي التجأ إليك فلم يفرح ؟ ومن وصل إلى بساط قربك واشتهى أن يبرح ؟

لا قوة على طاعتك إلا بإعانتك, ولا حول عن معصيتك إلا بمشيئتك, ولا ملجأ منك إلا إليك, ولا خير يُرجى إلا في يديك).

وقال رحمه الله تعالى: (إلهي: لولا أنك بالفضل تجود ما كان عبدك إلى الذنب يعود.
ولولا محبتك للغفران ما أمهلت من يبارزك بالعصيان, وأسبلت سترك على من أسبل ذيل النسيان, وقابلت إساءتنا منك بالإحسان.
إلهي: ما أمرتنا بالاستغفار إلا وأنت تريد المغفرة, ولولا كرمك ما ألهمتنا المعذرة.
أنت المبتدئ بالنوال قبل السؤال, والمعطي من الإفضال فوق الآمال, إنا لا نرجو إلا غفرانك, ولا نطلب إلا إحسانك...
إلهي: أنت المحسن وأنا المسيء, ومن شأن المحسن إتمام إحسانه, ومن شأن المسيء الاعتراف بعدوانه.
يا من أمهل وما أهمل, وستر حتى كأنه قد غفر, أنت الغني وأنا الفقير, وأنت العزيز وأنا الحقير...).

وقال رحمه الله تعالى: اللهم: وان كانت ذنوبنا فظيعة فإنا لم نرد بها القطيعة... إلى من نلتجئ إن صرفتنا ؟ إلى أين نذهب إن طردتنا ؟ بمن نتوسل إن حجبتنا ؟ من يُقبل علينا إن أعرضت عنا ؟
إلهي: كيف تردنا الذنوب عن سؤالك ونحن الفقراء إلى نوالك؟ ها نحن قد أنخنا ببابك, فتعطف علينا مع أحبابك. إلهي: أنت لنا كما تحب فاجعلنا لك كما تحب.
اللهم: إنك قبلت الوفاء من السحرة حين ذكروك مرة وسجدوا لك سجدة, وإنا لم نزل مقرين بربوبيتك, معترفين بوحدانيتك, ما سجدنا قط إلا بين يديك, ولا رفعنا حوائجنا إلا إليك...).

وقال رحمه الله تعالى: (إلهي: إن كنا لا نقدر على التوبة فأنت تقدر على المغفرة.
إلهي: قد أطعناك في أكبر الطاعات: الإيمان بك, والافتقار إليك, وتركنا أكبر السيئات: الشرك بك, والافتراء عليك, فاغفر لنا ما بينهما ولا تخُجلنا بين يديك.
إلهي: إن ذنوبنا صغيرة في جنب عفوك, وإن كانت كبيرة في جنب نهيك.
إلهي: لو أردت إهانتنا لم تَهْدنا, ولو أردت فضيحتنا لم تسترنا, فتممِ اللهم ما به بدأتنا, ولا تسلبنا ما به أكرمتنا.
إلهي: أتحرق وجهاً بالنار كان لك ساجداً؟ ولساناً كان لك ذاكراً؟ وقلباً كان بك عارفاً ؟

وقال الشيخ ابن عطاء الله السَكَندري رحمه الله تعالى: متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ؟
ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك ؟.

تسبيح بعض الصالحين لم تذكر أسماؤهم:

وقال بعض الصالحين:
(إلهي: أنت أجل وأعظم وأعز وأكرم من أن تطاع إلا بإذنك, وتُعصى إلا بعلمك ؛ لأنك علام الغيوب.
اللهم: إني لم آت الذنوب جرءة مني عليك ولا استخفافاً بحقك ولكن جرى بذلك قلمك, ونفذ به حكمك, والمعذرة إليك...
إلهي: مني ما يليق بلؤمي, ومنك ما يليقِ بكرمك...
إلهي: كيف تَكِلُني وقد توكلت لي, وكيف أضام وأنت النصير لي, أم كيف أخيب وأنت الحَفِيّ بي...
إلهي: ما ألطفك بي مع عظيم جهلي, وما أرحمك بي مع قبيح فعلي...
إلهي: كلما أخرسني لؤمي أنطقني كرمك, وكلما أيأستني أوصافي أطمعتني منتُك...
إلهي: ماذا وجد من فقدك, وما الذي فقد من وجدك...
إلهي: كيف يرجى سواك وأنت ما قطعت الإحسان, وكيف يُطلب من غيرك وأنت ما بدلت عادة الامتنان...
إلهي: كيف أخيب وأنت أملي, أم كيف أُهان وعليك مُتَكلي...
إلهي: ما أردت بمعصيتك مخالفتك, ولا عصيتك إذ عصيتك وأنا بمكانك جاهل, ولا لعقوبتك متعرض, ولا لنظرك مستخف, ولكن سوّلت لي نفسي, وساقتني شهوتي, وأعانني على ذلك استعدادي, وغَرّني سترك المَرْخِيّ علي فعصيتك بجهلي, وخالفتك بقبيح فعلي فمِن عذابك الآن مَن يستنقذني, أو بحبلِ من أعتصم إن قطعتَ حبلك عني...).

- تلخيص وتنقيح من كتاب تسبيح ومناجاة
- للدكتور محمد موسى الشريف

الباب الرابع

4

خواطر باحث عن الطريق

ناصر المجيبل

ناصـــر المجيـــبل

لماذا نزكي قلوبنا ؟

إن انتقال الإنسان من التوحيد العقلي, إلى التوحيد الذوقي, هو مضمون السير إلى الله, فتعبده لا خوفاً من النار وطمعاً في الجنة فقط, بل حباً وشوقاً وتعظيماً ولهفة له, فإن كان راضياً فلا شيء بعد رضاه.

العالم المجدد

لكي يكون العالم "أو طالب العلم" مجدداً في علمه, لابد أن يقوم على معالجة وإزالة شيء من أمراض عصره, فإن لم يكن كذلك فهي بضع كلمات يثاب عليها, وشتان ما بين الطبيب المعالج, وبين الطبيب المداوي.

فالطبيب المعالج هو من يشخص ويستنبط الدواء اللازم, والطبيب المداوي هو من يعطي دواء غيره لغيره.

القـــطار

لو صحوت فجأة ووجدت نفسك في عربة قطار تسير مسرعة, ولا تعرف أي شيء عن المكان الذي تسير إليه, هل من المعقول أن تلهيك مناظر الطريق أو الركاب الذين معك في العربة عن معرفة من أنت وإلى أين تتجه ولماذا ومن يسير بك ؟

إننا صحونا في هذه الدنيا ونحن لا نعرف إلى أين تسير بنا هذه الحياة, فهل من المعقول أن تلهينا كل الملهيات عن البحث عن إجابات الأسئلة السابقة ! لنكون مستعدين للنزول في المحطة القادمة.

صحة القلب

كل عضو من أعضاء جسم الإنسان لا يستطيع أن يؤدي وظيفة من وظائفه إذا أصيب بمرض, فالعين لا تبصر إذا مرضت, والأذن لا تسمع إذا طرشت, وكذلك القلب, فلا يقدر على أداء وظيفته وهي العلم والمعرفة وحب الله والخشوع والتفكر والتلذذ بذكره, إذا كان مريضاً بخبائث الأوصاف, من الكبر والعجب والحسد والرياء.

فن الفهم

لا يفهم العلم عن طريق شعبه أو فرع منه, بل يفهم بأصله, فإذا أراد المتعلم إتقان علم, فليتقن تعلم أصله وأساسه, حتى يتمكن من الإصغاء لفروعه ومذاهبه. فالدين لا يتعلم بالسنة قبل القرآن, ولا القرآن قبل اللغة, ولا التفقه بالمذاهب قبل السنة, كما لا يفهم التاريخ المعاصر إذا لم يفهم الماضي.

ثمرة العلم

إلى من هم في بداية الطريق, وإلى من بدأ, ليس ثمرة العلم أن تتقن الكلام والمجادلة والتحصين والمراوغة, بل ثمرته الحقيقية نور يقذفه الله في قلب عبده, ليطهره ويزكيه بنيته في تعلمه. فلا خير في علم لا يرتقي بالعبد مرتقى أعلى, ولا يكون ذلك إلا بصفاء النية.

أبى العلم!

كما قال الإمام أبو حامد الغزالي عندما سئل عن سبب اعتزاله الناس والتدريس مدة ثم عاد, فقال : (طلبت العلم لغير الله, فأبى العلم إلاّ أن يكون لله), وكان معروفاً قبل اعتزاله بحبه وشغفه بمناظرة أقرانه ومجادلة خصومه وبراعته في ذلك.
فسبحانه ربنا ما ألطفه بعبده حين أراد له الخير, فأعاده بعلمه إليه.

الخشوع

إن الخشوع هو المظهر الأرقى لصحة القلب, وإذا ذهب الخشوع وانقطع الهاتف بين القلب وربه, فكيف للقلب أن يتأثر بموعظة, وإذا انقطعت الموعظة والاتصال الرباني, فلا دنيا ينفع عندها ولا دين.

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: من عرف من على يمينه وشماله متعمداً وهو في الصلاة, فلا صلاة له. ولا يعني هنا أن الصلاة لم تكتب, فقد سقط عنه الفرض, ولكنه فوّت مناجاة ربه, فهل من صلاة لولا المناجاة؟

حياة الصلاة

يعيش المؤمن حلاوة الصلاة بمراتب ست وهي:

حضور القلب, فالتفهم, فالتعظيم, فالهيبة, فالرجاء, فالحياء.

فإن حضر القلب مع الصلاة وحدها وصل به للحضور مع اللفظ, واللفظ يرمي صاحبه مع معنى اللفظ فيرفعه لتفهم الحوار الإلهي, فإذا تفهم حقيقة الحوار بين عبد وربه, توصل لتعظيم هذا المقام, وإذا عظم المقام حصلت الهيبة, وثمرة الهيبة الرجاء, فكم من ملك مهيب وتخاف سطوته ولكن لا ترجى مثوبته, وإن حصل الرجاء كان الحياء, وهي أعلى مراتب الخشوع. وهي استشعار التقصير وتوهم الذنب, ولولا المقدمات الخمس لما كان الحياء في قلب عبد.

من كتاب المستخلص لتزكية الأنفس, باختصار وتعديل

رزق ابن آدم

أرأيت لو أنك تعمل في شركة كبيرة مرموقة, وقد أرسلتك لمهمة عمل تؤديها في أحد البلدان, فهل تقلق من نفقة السفر وزاده ؟ بالطبع لا, فشركتك الكبيرة تغنيك عن ذلك, إذا كان هذا حالنا مع البشر, فهل تعتقد بأن من أرسلك في مهمة إلهية في الأرض, يتركك تحمل هم الزاد وتكاليف السفر؟ أتخشى من الفقر من الخالق, ولا تخشاه من المخلوق؟

وبالرغم من سوء أدبنا هذا, ما يزال الرزاق يمد في رزقه, والمنان يزيد من عطائه. ومازال ابن آدم يخشى الفقر وهو يؤدي مهمة أرسله ربه في دنياه وآخرته من أجلها.

﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾. (الذاريات: 22)

فرعون

يقول تعالى : ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى, فقولا له قولاً ليناً﴾ (طه: 44،43) فسبحانك ربي ما أرحمك, إذا كان هذا لطفك وحلمك بفرعون القائل: "أنا ربكم الأعلى", فكيف حلمك بعبد قائل: "سبحان ربي الأعلى !

من درس للشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله بتعديل وتصرف

عبادة الصالحين

مهما بلغ مبلغ العبادة منّا ونافسنا فيها البشر, فإيانا والغرور, فإبليس قد عبد الله تعالى مع الملائكة مدة طويلة, بل إنه ورد في الأثر أنه ما من موضع شبر في الأرض إلا ولإبليس فيه سجدة, ولكنه العُجْب, أدى به لمعاداة ربه، فأصبح في أسفل السافلين.

في الغرور

إن هذه الدنيا بما فيها لا تسوى عند الله جناح بعوضة, فلنتخيل, لو أن رجلاً أو امرأة ملك الدنيا بما فيها, ودخل على قوم وهو متكبر متعالٍ مغرور, وعندما يسألونه السبب يقول: أنا عندي جناح بعوضة !

الكبر

قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) رواه مسلم

يجد المتأمل للحديث عدة أسباب تمنع المتكبر من دخول الجنة وهي: بالكبر يعتقد الإنسان أنه خير من غيره. فلا يجمع الله من فرق بين نفسه وبين الناس في الدنيا وفي الآخرة بمكان واحد. فمنع عن الجنة.

بالكبر لا يستطيع الإنسان أن يعترف بأخطائه, وخصوصاً أمراض قلبه, وإذا تشبع قلبه بالمرض, فلا حياة له ولا ذوق ولا أدب مع الله.

بالكبر لا يقدر أن يحب للمسلمين ما يحبه لنفسه, فهو يعتقد أنه أفضل منهم, ويعتقد أنه لو حصل عطاء أو خير لشخص غيره, أن فرصته في الحصول عليها ضعيفة, فكان طعناً في كرم الله وقدرته وفضله. فالملك يعطي دون أن ينقص من ملكه شيء.

التكبر في الدين

يقول عليه الصلاة والسلام: (إذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم) رواه مسلم فهو يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجياً, محتقراً لخلق الله آمناً مكر الله فيه, وكيف يأمن مكر الله وبطشه من كان متيقناً من تقصيره وذنوبه؟

كرم الله

إنه من كرم الله عجائب كبرى, فمهما حاولت أن تتمثل بصفة الكرم في الدنيا على عبد من عباد الله, أو شيء من العطاء, فيأبى الله إلا أن يكون أكرم من خلقه, فيجازيك بأضعاف ما قدمت, وقد جربتها, جربتها كثيراً, وإن جلّ ما فيها من لذه, لذة عظيمة, لا تتمثل في إكرامه لك, بل هي لذة الإحساس بقرب الله منك, وما أعظمها من لذة, وما أكرمها من مكرمة.

ويا له من شعور تقشعر له الأبدان, لو تذكرنا, أنه جل في علاه هو من تفضل علينا وألهمنا ورزقنا القدرة والفكرة والإلهام في الطاعة, ثم يقوم بعدها بشكرنا على طاعة هو وهبنا فعلها, فما أصدقه حين قال : ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة﴾ (البقرة: 254)

اغترار الإنسان

لا يغر الإنسان أنه قد قطع شوطاً في تهذيب نفسه وتطهير قلبه, فقد يكون قد صدق في معالجة أمراض قلبه, ولكنه كمن اقتلع شجيرات المرض من بين الزرع, ولكن بذورها مازالت تحت التربة, وقد تظهر مجدداً, متى ما سقاها, بظنه أنه قد اقتلعها.

ثمرة العبادة

من الناس من اشتغلوا بالاهتمام بالفرائض وتعمقوا في أدائها, ولا يعيبهم ذلك, ولكننا اليوم نسينا أن أصل هذه الفرائض أن تعلمنا أحكاماً وفضائل من ثمراتها, فثمرة الحرص على الصلاة في وقتها, هي احترام المواعيد مع الآخرين, وثمرة الوقوف في صف واحد متناسق متوازٍ, هي إيقاف سيارتك خارج المسجد في مكان رصف السيارة السليم, ولو كان بعيداً, وتصف نعليك في رف الأحذيه- فكيف نصف جيوشنا اليوم؟ إذا لم نتعلم صف نعالنا؟, وثمرة تكبيرة الإحرام تجانس الغاية بين المسلمين, وثمرة سورة الفاتحة, هي البحث في القواعد المشتركة بين مخالفينا فنبدأ عملنا بها, وثمرة سنة ما بعد الفاتحة, هي احترام حرية التعدد والاختيار, وثمرة الركوع والسجود هي تذكرة لنا بعواقبنا ومصيرنا, وهكذا،, فإن لم يكن لنا نصيب في أفعالنا وأخلاقنا من عبادتنا, فلماذا أسلمنا!؟

الخشوع

إن الخشوع في الصلاة ليس بحاجة لإمام حسن الصوت, بل لقلب حسن الحس.

جريمة الإنسان

إذا كان الإنسان منا متى ما مرّ بمصيبة لجأ إلى الله بكتابه أو سنته, لإيمانه أن النجاة فيهما, فكم هي جريمة الإنسان في حق نفسه ومجتمعه, وفي حق العالم, إذ يرفض أو يعارض أو يحول بين وحي الله وبين تطبيقه للبشرية!

يقولون

يعتقد بعض الناس ومنهم المتدينون أن اتباع تعاليم الدين هي تقييد لهوى النفس, والشهوات, وبعض الحرية, وما تدبروا أن الإسلام قد حررهم من عبودية شهوة المال والنكاح والجاه والسلطان والقوة وحب الدنيا بأجمعها وغيرها, وجعلهم عبيداً لإله واحد مستحق فقط ! فأي حرية هذه, وأي تحرير هذا بعد هذا التحرير؟

يعتقد!

يعتقد الكثير ممن يطلقون على أنفسهم "علمانيين" أو "لا دينيين" أن الإنسان الملتزم بتعاليم دينه, إنما هو كتلة متفجرة من شدة الضغط والصبر, وما درى المسكين أنه كتلة متفجرة من السعادة واللذة والراحة والسكينة والطمأنينة, وأن عدم شعورك بحب الاتباع والإيمان ولذة مناجاة الله والخلوة معه - رزقنا الله ذلك وإياكم - لا يعني بالضرورة عدم وجودها.
فاطلبها, فإنه لا يرد عبداً ناجاه.

والباقي على الله

كنت في زيارة لأحد العلماء في أحد البلدان, وكان قد تحدث إليه بعضهم عن نشاطنا في الإعلام وغيره, فجالسني يسألني عن نفسي, فبدأت الحديث خجلاً أمام من أتحدث عن نفسي! وبعد أن انتهيت, ختمت كلامي بـ «أعمل ما عليّ, والباقي بيد الله», فابتسم ونظر إلي فقال: ناصر, يا بني, نعم نحن نعمل ما علينا عمله مجتهدين, ولكن كل شيء على الله, فحتى عملنا الذي نعمله لولا توفيق الله الذي استخدمنا فيه ووفقنا للعمل ما كان للعمل أن يكون, فكيف يكون «الباقي على الله», فكأنما صفعني أحد على عقلي, منذ متى وأنا أقِلُ أدبي على الله؟ وأتجرأ عليه!, وأعتقد أنني فعلت شيئاً هو أساساً من فعله؟ فهذه رسالة, نحن نعمل كل ما علينا توفيقاً من الله, وكل شيء لله.

كيف تتفوق؟

في نفس اللقاء السابق, سألت العالم الجليل, من باب حرصي على التفوق, وددت لو أتعرف على سر إلهي قد يسهل علي الجهد الكبير الذي أبذله في كل عمل كي أتفوق, فسألته: كيف أتفوق على أقراني؟ فقال لي: سألت نفس هذا السؤال لشيخي, وقال لي: لا يتفوق الرجل على أقرانه, إلاّ إذا تمنى «حقيقةً» أن يفوقه أقرانه !
آهٍ, كم أتعبني هذا الجواب, وكأنها صفعة على الخد الآخر, كيف كنت أعمل ولا أتمنى ذلك؟ هل تقوم أمم وحضارة على حسد ؟ بل هل يقوم قلب حي نابض بالإيمان بغير هذا المفهوم؟

ليلة القدر

في ليلة القدر تتنزل الملائكة, ومعها مقادير كل شيء, ومنها أرزاق العباد للعام القادم, ومع مقادير كل شيء شروط للحصول عليها, فافعل ما تفعل, واعمل ما تعمل, فلن تحصل على أي شيء إلا بطريق واحد, أن تبذل سببه وشرط الحصول عليه, وقد يكون من الأسباب الدعاء, وبذل السبب, سواء أكان دعاء, أم بذلاً من الإنسان للسبب, فكلها بتوفيق من الله, فلولاه لما دعاه, ولولاه لما بذل السبب.

فإذا حصل رزقنا, تفكرنا في لحظه, وقلنا بأننا أوتينا ذلك بعملنا واجتهادنا, فيكون هذا الخاطر, سبباً في منع خير آخر, قد كتبه الله في مقاديرنا. وهكذا ..!

أمر آخر, حاشاه جل في علاه, أن يجعل في أسباب عطائه, وسيلة دنيئة أو خيانة للحصول على رزق, فلنتفكر قبل أي شيء, قبل أن نخطئ في سبيل الرزق, أن هذا ليس من أسباب الله في الحصول على الرزق, بل في محقه.

مستشفى الدعوة

إن الداعية أو جماعة الدعاة, إنما هم أطباء القلوب, في مستشفى القرآن والسنة, فإذا مرض أحد الدعاة أو أحد المصابين بمرض من أمراض الدنيا, فكيف يتركونه ويطردونه!, أرأيتم مستشفى يطرد مرضاه؟

نطق الأحكام تعبد!

لماذا قد جعل الله سبحانه وتعالى الأحكام الفقهية والقانونية في الشريعة نصوصاً في القرآن؟ ولم تجعل في كتاب مستقل, أليس من الأجمل أن يكون القرآن مجموعة من النصوص الروحانية والقصص الإلهية؟

إن أعجب ما في هذه الأحكام, ومن شدة أهميتها, أن جعلها الله تعالى في أقدس كتاب, بل وجعلك تتعبد في قراءة كل حُكم, وتصلي به, وتؤجر بمجرد قراءتك له .. ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين, فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾ (البقرة: 278).

فنحن نَتَعبد بقراءة نص الحكم, ونعذب بعدم تطبيقه.

أمسك يدها

روي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: دخل الحبشة المسجد يلعبون, فقال لي: يا حميراء, أتحبين أن تنظري إليهم؟ فقلت: نعم, فقام بالباب, وجئته, فوضعت ذقني على عاتقه, فأسندت وجهي إلى خده, قالت: من قولهم يومئذ: أبا القاسم, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم, حسبك؟ فقلت: يا رسول الله لا تعجل, فقام لي, ثم قال: حسبك؟ فقلت: لا تعجل يا رسول الله, قالت: ومالي حب النظر إليهم, ولكني أحببت أن يبلغ النساء مقامه لي, ومكاني منه. رواه النسائي في السند الكبرى.

إن جل ما تتمناه نساء هذا اليوم, أن يمسك زوجها يد زوجته, فيعرض بعضنا لأسباب مختلفة, فهل سنرفض الآن بعد هذه القصة؟

تواضع في بيتك

تقول عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم: كان عليه السلام يخصف نعله, ويخيط ثوبه, ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته.

كيف وهو القائل: (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

فاستمتع بخدمة أهلك كما كان قدوتك كذلك.

طاب ممشاك وطابت ويداك يا حبيبنا كم كنت رائعاً !

حق الخادم

قال عليه السلام: (إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه, فقد كفاه علاجه ودخانه –انتهى من إعداد وجبتك– فليجلسه معه, فليناوله أكلة أو أكلتين, أو لقمة أو لقمتين, فإنه وَلِيَ حرَّه وعلاجه–أي تحمل النار في الطبخ والتحضير–) رواه البخاري ومسلم.

إذا كنا نشتكي من خدمنا هذه الأيام, فكم يشتكي خدمنا منّا؟ هل أعطيناهم حقهم الآدمي الذي وصانا فيهم قدوتنا؟ فكر قليلاً, ما هي مساحة غرفة خادمك, وهل ترضى أن تنام ابنتك فيها؟

مفارقة عجيبة

كثيراً ما نجد هذه الأيام من يحكم على شيء دون معرفته, كي أوضح أكثر, كثيراً ما نجد بعض الذين أغرتهم دنياهم وجهلوا "حقيقة دينهم" ينتقدون حجاب المرأة, ودورها وحقها في وجودها في البيت, وهي "المنتقدة" غير متحجبة, وغير متفرغة لرعاية بيتها, أرجوكم, اسألوا المتحجبات عن رأيهم في الحجاب فهم أصحاب التجربة وأعلم به من غيره, واسألوا ملكات بيوتهم, هل وجدوا فيها شيئاً من ظلم؟

فهل يتحدث في الرياضيات من تخصصه لغة عربية؟, وهل يُسأل في الفقه من درس الكيمياء؟

رجال الدين

من هم رجال الدين في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم؟

من هم رجال الدين في زمن التابعين؟

كانوا كلهم رجال دين, ونساء دين.

إن هذا المصطلح أوجد في الناس شعوراً أن المسؤول عن حماية ورعاية وحفظ الدين هم رجال الدين أو العلماء فقط, وحجم دور عامة الناس إلى سائلين, فهل دورنا أن نسألهم فقط؟!

إلى سيدات المجتمع

إلى سيدات مجتمعاتنا, المطالبين "بتحرير المرأة": لست أقدر على الجدال من غيري, ولكن يراودني سؤال فطري, اسألي طفلك, أي حضن يريد, حضنك أم حضن المربية؟ إذا كان حضنك فهذه مصيبة, وإذا كان حضن المربية فهذه مصيبة أعظم!

اسأليه يا أمه, أي ثدي يشتهي أن يشم, ثديك, أم الثدي الاصطناعي؟ سيدتي: هل هنالك أهم منه؟ إنه صانع مستقبلنا, فهلا أنشأتموه نشأة فطرية؟

هل الإسلام أبخس حق المرأة!

في الإسلام إذا أنفقت الزوجة على زوجها فهذه صدقة, وإذا أنفق الزوج على زوجته فهذا واجب عليه, يأثم بتقصيره فيه.

للرجل مثل حظ الأنثيين!

هنالك أكثر من ثلاثين حالة تأخذ فيها المرأة مثل الرجل أو أكثر منه, أو ترث هي ولا يرث نظيرها من الرجال, في مقابلة أربع حالات محددة ترث فيها المرأة نصف الرجل. فهل يجوز بعد هذا أن نصور أن الإرث في الإسلام قائم على الذكورة والأنوثة؟

من كتاب "لك القرار" بتعديل واختصار

الرزق

يقول العلماء: إن عقل العبد مقسوم من رزقه !
قد يظن معظمنا أن الرزق هو المال, كيف والبشر من الفقراء أضعاف الأغنياء؟ هل تركهم خالقهم دون رزق؟
إن من لطائف قدرته أن قسم الأرزاق كماً ونوعاً بين عبيده, فمنهم من كان رزقه بالمال, ومنهم من كان رزقه بعقله, ومنهم من كان رزقه بقوة بدنه, ومنهم من كان رزقه براحة باله, ومنهم من كان رزقه بصلاح أبنائه, ومنهم من كان رزقه بدينه وصلاحه, وهكذا ..
فلا يوجد من فئات الناس السابقين من لديه القدرة على ان يعيش منفرداً أو أن يستغني عن أي فئة أخرى.
يا صاحب المال, ويا صاحب العلم, ويا صاحب القوة, إذا رأيت من تعتقد أنه أقل منك في رزق, فتفكر ماذا أعطاه الله ولم يعطك ؟ قد تكون دعوة لا ترد, فاحذر دعوته.

الحسد

من عجائب الحسد, أن صاحبه يعيش في الدنيا معذباً لحسده, وفي الآخرة يعذب بما حسد.
فهو يعيش في الدنيا في نكد وذل لكثرة ما يحسد ويغتم من الخير الذي عند الناس, وفي الآخرة يحمل وزرهم.

يا رب

إن قلت: أتوب إليك يا رب, ولم تتب عن الذنب, كان كذباً, ولكن قال: أسألك توبة يا رب, فيكون ذلك دعاء.

مدح الناس

إذا مدحَنا الناسُ, فلا يجب أن نفرح, فإنهم لا يرون منا إلا الظاهر. ولو رأوا بواطننا لما صافحنا أحد.

نفحات

قال صلى الله عليه وآله وسلم:(إن لربكم في أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها, فلعلها أن تصيب أحدكم نفحة فلا يشقى بعدها أبدا) رواه الطبراني في الأوسط, يقول العلماء في تفسير هذا الحديث: إن التعرض للنفحة الإلهية يستلزم بذل طاعة في أي وقت بنية خالصة, فتكون باباً للتعرض لنفحة إلهية, وسبباً في أن ينظر الله لعبده العاصي المقصر, فينقله من أبعد المبعدين لأقرب المقربين, ولهذا فحذار أن تشمت أو تغتاب تائباً لمعصية سابقة, فلعلها أورثته ذلاً إلى الله حتى رضي الله عنه وقربه, وكان من أوليائه أو من أقرب المقربين له, والتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

اللهم نفحة منك ونظرة علينا, برحمتك لا بطاعتنا, وبفضلك لا بقوتنا, نفحة تنقي منها قلوبنا، وترزقنا اليقين والإيمان, ونموت على ذلك, اللهم آمين.

حقيقة الانتصار

ليس الانتصار هو مقياس الحقيقة, بل هو مقياس الفاشلين, كلٌ يبحث عن ما ينقصه, من يعمل للنصر فإن النصر لا يدوم, ومن يعمل للرسالة فالرسالة خالدة, والخلود مقياس أصحاب الرسالات.

لوحة فنان

عجباً لإنسان -أنا منهم- يدخل معرض فنان تشكيلي, فيرى طائفةً من اللوحات الفنية الجميلة, ما إن يتأملها حتى يسري في قلبه حب وإعجاب هذا الفنان مبدع هذه اللوحات الجملية ولو لم يره, ونحن ندخل معرض هذا الكون كله, ونرى أعاجيب الجمال التي تلامس العين تارة والأنف تارة والأذن وغيرها, أفلا نحب هذا الإله خالق الفن والفنان كما نحب هذا الإنسان الذي رسم.

ساعي البريد

تخيل لو أن ساعي بريد أوصل إليك رسالة فيها خبر ترقية أو مكافأة أو جائزة قيّمة, منّا من يأخذه فرحه بإكرام ساعي البريد لحمله البُشرى, ولكن لا يوجد عاقل يرى عامل البريد هو المعطي للجائزة وهو صاحب الفضل فيها, ونحن في كل يوم تمر علينا لطائف جود وكرم الله عن طريق ساعي بريد من البشر, فنحب هذا الإنسان, وننسى الله الذي سخره لنا وأودع في يديه هديته وعطاءه.

بحبك لي اغفر لي

يروى أن امرأة كانت خادمة عند أحد البيوت, وكانت تقوم في الليل تصلي، ذات يوم سمعها صاحب البيت تناجي الله بدعاء تقول فيه: "اللهم إني أسألك بحبك لي أن تغفر لي", فتعجب صاحب البيت منها وانتظرها حتى انتهت ثم سألها: كيف تسألين الله بهذا وما هذا الدلال على الله؟ ولم لا تسألينه "اللهم بحبي لك؟" ففيها أدب مع الله, فقالت: لولا حبه لي لما أيقظني هذه الساعة، ولولا حبه لي ما أوقفني بين يديه، ولولا حبه لي ما أنطقني بهذه النجوى.

القصة من الرسالة القشيرية.

مناجاة في الختام

يا رب, يا من أطلق أيدينا للكتابة، وألسنتنا بالدعاء، وقلوبنا بالمناجاة، على ما كان منّا من إساءة, من كان مرتكباً لما لا يرضيك ألهمه ما يرضيك ..

إلهنا وسيدنا, هذه أنفسنا بين يديك، وقلوبنا بين يديك، والحال لا يخفى عليك, أمرتنا فتركنا, ونهيتنا فارتكبنا, ولا يسعنا إلا حلمك وجودك.

إلهنا, كم عاهدناك على التوبة فنقضنا العهود, وكم عاهدناك على الإقبال فلم نف, وأقبلنا على سواك, ولكن وعزتك وجلالك لم يكن خُلفاً تعمدناه, ولم يكن إعراضاً أردناه, ولم تكن جرأة قصدناها, وكيف نجترئ وكيف نقصد وكيف نعاندك وأنت الله!

اللهم اجبر كسر قلوبنا بقبول عندك, فقلوبنا لا تتوجه إلى غيرك, وأجسادنا لا تسير إلا في طاعتك, نوايانا تتعلق بك، اقطع علائق قلوبنا عَنْ مَنْ دونك, واجعلنا من قوم تحبهم ويحبونك, ,

اللهم إن لك صفوة من خلقك, أذقت قلوبهم من صفو ودادك ما شغلهم بك عمن سواك, ونحن وإن لم نكن مثلهم ولم تكن أعمالنا كأعمالهم, ولكنا عبيدك, وقلوبنا تسترحم نسائم محبتك, ,

اللهم إنا إذا وردنا إليك, ليس معنا كثير عمل, لكنا إذا وقفنا بين يديك, سنقول: إننا نحبك, وإن كذبت أعمالنا أقوالنا, فوالله إنا نحبك, وأنت المطلع على ما في قلوبنا, وأنت القادر على أن تأخذ بأيدينا, ,

إلهنا, لسان عصاك, ويد غدرت بك, ونفس خانتك, تجري عليها نداءً وخطاباً يتوجه إليك ! ما أعظم كرمك !

لولا محبتك لنا لما أنطقت الألسن ولا الأيدي قائلة: يا الله, أعداداً في شرق الأرض وغربها لم تعطهم ذلك, وأعطيتنا ذلك, أتراك بعد أن وفقتنا تردنا ؟ كيف ولم يقف على بابك صادق فخيبت رجاه !

واجعل آخر كلامنا "لا إله إلا الله محمد رسول الله"

الخاتمة

الحمد لله الذي قدر وهدى, ووفق فأعان, كانت هذه الكلمات والأوراق توفيقاً من الله, ونعمة منه أجراها على عبده, فما كان فيها من خير فمنه وحده, وما كان فيها من شر أو خطأ فمني ومن الشيطان .

الآن وبعد أن أتممت قراءة ما كتب بين دفتي هذا الكتاب, إذا كنت قد اعتقدت أنك قد زكيت نفسك وطهرت قلبك, فهذا مرض آخر, أرجوك, أعد قراءة الكتاب مرة أخرى.

فبعد أن يئس الشيطان من أن يلهمك بأن رحمة الله وعفوه بعيدة والطريق إليه شاق وصعب, ويراك اليوم أنك قد عرفت الطريق إلى ربك, فالحل ليغويك مجدداً أن يلهمك أنك نجحت وقد وصلت إلى نهاية الطريق موسوساً : « تهانينا لقد نجحت, وأنهيت الاختبار, أنت الآن أفضل من غيرك, ما أحسنك, والله إنك لعبد مخلص !».

الحذر الحذر, فالمؤمن فطن كيس, ولا يُلْدَغُ من جُحْر مرتين, ومهما وصلنا من الذوق والأدب مع الله, فإننا ننظر لعبادتنا أنها ناقصة, والنقص مع الله تقصير, والتقصير بحق الخالق ذنب, فرحم الله أقواماً قالوا: إن استغفارنا يحتاج إلى استغفار.

ناصر المجيبل

المراجـــع

م	اسم الكتاب	المؤلف	الناشر
1	الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع	الخطيب البغدادي	دار الكتب العلمية
2	الفتح الرباني شرح مسند الإمام أحمد	أحمد البنا	دار إحياء التراث
3	العلم بين يدي العالم والمتعلم	جاسم مهلهل الياسين	دار الدعوة
4	ترتيب المدارك	القاضي عياض	دار الكتب العلمية
5	تاريخ بغداد	الخطيب البغدادي	دار الكتب العلمية
6	الزهاد الأوائل	د.مصطفى حلمي	
7	صفحات من صبر العلماء	عبد الفتاح أبو غدة	دار البشائر الإسلامية
8	الله في العقيدة الإسلامية	أحمد البنا	
9	جمهرة أشعار العرب	أبو زيد القرشي	دار الأرقم

م	اسم الكتاب	المؤلف	الناشر
10	أدب الفقهاء	عبد الله كنون	دار الكتاب المصري
11	هذا الدين	سيد قطب	دار الشروق
12	في ظلال القرآن	سيد قطب	دار الشروق
13	إحياء علوم الدين	أبو حامد الغزالي	دار الفكر المعاصر
14	المختار من عيون المعارف والأخبار	أميرة الشيخ رضا فرحات	دار الكتب العلمية
15	الجامع لأخلاق الراوي	الخطيب البغدادي	دار الكتب العلمية
16	حياة الصحابة	محمد يوسف الكاندهلوي	دار الحديث
17	النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد	ابن الغزي	دار الفكر المعاصر
18	الرقائق	محمد أحمد الراشد	دار البشير
19	تهذيب مدارج السالكين	عبد المنعم العزي	مؤسسة الرسالة
20	فتح القدير	الشوكاني	دار الوفاء
21	الفتاوى	محمود شلتوت	دار الشروق

م	اسم الكتاب	المؤلف	الناشر
22	الأدب المفرد	البخاري	دار المعارف الرياض
23	سلسلة أعلام المسلمين	مجموعة مؤلفين	دار القلم دمشق
24	طبقات الحنابلة	أبي يعلى الحنبلي	دار المعرفة
25	مناقب الإمام أحمد	ابن الجوزي	مكتبة الخانجي
26	مناقب عمر	ابن الجوزي	دار الحديث
27	طبقات الحنابلة	أبو يعلى الحنبلي	دار المعرفة
28	سير أعلام النبلاء	الذهبي	مؤسسة الرسالة
29	آداب الشافعي ومناقبه	الرازي	دار الكتب العلمية
30	مدارج السالكين	ابن قيم الجوزية	دار طيبة
31	المحاسن والمساوئ	البيهقي	دار إحياء العلوم
32	ديوان الشافعي	الإمام الشافعي	دار اليقين
33	تهذيب التهذيب	ابن حجر العسقلاني	مؤسسة الرسالة

م	اسم الكتاب	المؤلف	الناشر
34	آداب الفقهاء	عبد الله كنون	دار الكتاب المصري
35	وحي القلم	الرافعي	دار القلم
36	تفسير سورة النور	ابن تيمية	دار الكتب العلمية
37	صيد الخاطر	ابن الجوزي	دار ابن حزم
38	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	ابن تيمية	دار ابن حزم
39	الجواب الكافي	ابن قيم الجوزية	المكتبة العصرية
40	حلية الأولياء	أبو نعيم الأصفهاني	دار الكتب العلمية
41	حسن البنا الرجل والفكرة	محمد عبد الله السمان	دار الاعتصام
42	الأحاديث الصحيحة	الألباني	دار المعارف الرياض
43	معجم النحو	عبد الغني الدقر	مؤسسة الرسالة
44	مشكاة المصابيح	الخطيب التبريزي	دار ابن حزم
45	جولات في الفقهين	سعيد حوى	دار السلام

م	اسم الكتاب	المؤلف	الناشر
46	من المذبحة إلى ساحة الدعوة	عباس السيسي	دار التوزيع للنشر
47	العوائق	محمد أحمد الراشد	دار البشير
48	صفة الصفوة	ابن الجوزي	مكتبة مرزوق
49	الروح	ابن قيم الجوزية	دار ابن حزم
50	من الفكر والقلب	محمد سعيد رمضان البوطي	دار الفكر المعاصر
51	المصنف - المصنف في الأحاديث والآثار	عبد الله بن محمد بن أبي شيبة	دار المنهاج
52	الجامع الصغير	السيوطي	دار الكتب العلمية
53	وصايا ونصائح لطالب العلم	ابن الجوزي	مركز المخطوطات الكويت
54	مدارج السالكين	ابن قيم الجوزية	دار طيبة
55	هدي الساري مقدمة فتح الباري	ابن حجر العسقلاني	دار المعرفة
56	الفوائد	ابن قيم الجوزية	دار الحديث

م	اسم الكتاب	المؤلف	الناشر
80	تذكرة السامع والمتكلم	ابن جماعة	اضواء السلف
81	ابن القيم الجوزية حياته واثاره	بكر عبد الله ابوزيد	دار العاصمة
82	سنن ابي داود	أبو داود السجستاني	دار المعارف الرياض
38	الترغيب والترهيب	المنذري	دار المعرفة
84	فتوح الشام	الواقدي	دار الكتب العلمية
85	معرفة القراء الكبار	الذهبي	مؤسسة الرسالة
86	مقدمة الجرح والتعديل	الرازي	دار الكتب العلمية
87	مجابي الدعوة	ابن أبي الدنيا	مؤسسة الكتب الثقافية
88	صيد الخاطر	ابن الجوزي	المكتب الاسلامي
89	أوضح المسالك	ابن هشام الأنصاري	دار الكتب العلمية
90	الشرح الصغير لأقرب المسالك	مصطفى كمال	دار المعارف مصر
91	تذكرة الدعاة	البهي الخولي	دار البشير

م	اسم الكتاب	المؤلف	الناشر
92	أخلاقنا الاجتماعية	مصطفى السباعي	دار الوراق
93	المدهش	ابن الجوزي	دار الكتب العلمية
94	من صفات الداعية	محمد الصباغ	المكتب الإسلامي
95	دراسات إسلامية	سيد قطب	دار الشروق
96	مجموع فتاوى	ابن تيمية	دار الوفاء
97	العبودية	ابن تيمية	المكتب الإسلامي
98	القراء الكبار	الذهبي	مؤسسة الرسالة
99	بين العلماء والحكام	عبد العزيز البدري	مؤسسة الرسالة
100	عظماء في التاريخ	مصطفى السباعي	دار الوراق
101	الاستعداد ليوم المعياد	ابن حجر العسقلاني	دار الفكر المعاصر
102	شذرات الذهب	ابن العماد	دار ابن كثير
103	نهاية النهاية	ابن كثير	دار المعرفة

م	اسم الكتاب	المؤلف	الناشر
104	بستان الواعظين	ابن الجوزي	المكتبة العصرية
105	الرقائق	محمد أحمد الراشد	دار البشير
106	مجموعة الرسائل السلفية	الصقعبي	
107	net.Islamweb .www		
108	عمر بن عبد العزيز	محمد علي الصلابي	دار التوزيع
109	سيرة عمر بن عبد العزيز	عفت وصال حمزة	دار ابن حزم
110	سيرة عمر بن عبد العزيز	ابن الجوزي	دار الكتب العلمية
111	سعيد النورسي	مصطفى زكي العاشور	
112	شخصيات استوقفتني	د.محمد سعيد رمضان البوطي	دار الفكر المعاصر
113	بحث عروة بن الزبير	عبد الرحمن بن فؤاد الجار الله	.www//:http /Doat/net.saaid .index/aljarallh htm
114	حلية الأولياء	أبو نعيم الأصفهاني	دار الكتب العلمية

م	اسم الكتاب	المؤلف	الناشر
115	البداية والنهاية	ابن كثير	دار المعرفة
116	عمر بن عبد العزيز	صالح العلي	شركة المطبوعات بيروت
117	عمر بن عبد العزيز	عبد الستار الشيخ	دار القلم دمشق
118	عمر بن عبد العزيز	وهبة الزحيلي	دار قتيبة دمشق
119	عمر بن عبد العزيز	عبد الرحمن الشرقاوي	دار غريب القاهرة
120	البحر الرائق شرح كنز الدقائق	ابن نجيم	دار الكتب العلمية
121	الآداب الشرعية والمنح المرعية	ابن مفلح	مؤسسة الرسالة
122	غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب	السفاريني	دار الكتب العلمية
123	الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية	محمد منير الدمشقي	دار ابن كثير دمشق- بيروت
124	الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية	عبدالرؤوف المناوي	مؤسسة الرسالة – لبنان
125	ألبوم صوتي: معالم السلوك للمرأة المسلمة	الحبيب علي زين العابدين الجفري	طابا للنشر والتوزيع

م	اسم الكتاب	المؤلف	الناشر
126	ألبوم صوتي: من روائع التابعين	د.طارق محمد السويدان	قرطبة للإنتاج الفني
127	ألبوم صوتي: سيرة أبي بكر الصديق	د.طارق محمد السويدان	قرطبة للإنتاج الفني
128	ألبوم صوتي: سيرة عمر بن الخطاب	د.طارق محمد السويدان	قرطبة للإنتاج الفني
129	السيرة الخالدة – السيرة النبوية	د.طارق محمد السويدان	قرطبة للإنتاج الفني
130	موقع العلامه الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله http://www.binbaz.org.sa		
131	مكتبة المشكاة الإلكترونية http://www.almeshkat.net		

شكر خاص

كل الشكر لكل من ساهم وأعان بما استطاع لإنجاز هذا العمل:

العلماء الأفاضل الذين قدموا وزكوا هذا الكتاب للناس, فكان ذلك أسمى تكريم لي, وأخص العلامة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ليس تمييزاً ولكن عرفاناً له فقد كان هذا هو أول كتاب يقدمه ويزكيه, وقد شرفنا بأن قبل ذلك.

والدي العزيز أ.بدر ناصر المجيبل لما قدمه لي من ملاحظات ونصائح لغوية وبلاغية, ولما قدمه لي من مكتبته الزاخرة.

الشيخ طلال العامر, ومكتبته (العامرية) لتوفيره بعض الكتب والمراجع.

د.ياسر عجيل النشمي لما أفاض علينا من توجيهات ونصائح.

العم علي خلف – أبا أحمد- وحرمه, لما قدماه لي من مواد وكتب احتوتها مكتبتهما.

جميل أن يُقدم مع هذا الكتاب كلمات مغناة توصل مقاصد الكاتب، فجزيل الشكر للمنشدين سلمان الملا ويوسف الدغيشم على أدائهم الراقي لأناشيد هذا الكتاب، والأجمل أنهم قدموها كهدية لباكورة مؤلفاتنا.

كل الشكر لمن قام بتصميم الكتاب وأشرف على إخراجه.

وأخيراً وليس آخراً زوجتي الحبيبة, لما قدمته لي من دعم وصبر ومساندة, وأمانتها على نفسها وبيتي ومالي وأبنائي أثناء غيابي وانشغالي.